رواية

معتز شرباش

الكابوس

طقوس مناسبة للقتل

الرواق للنشر والتوزيع

ساحر الكتب

إهداء

إلى والدي (رحمه الله)

أنا سمعت كلامك وكتبت رواية جديدة

تنويه

عاشت، ولا تزال، كل شخصيات هذه الرواية، فقط في خيال مؤلفها.

معتز شرباش

ارتداد

رواية

نادر صِدِّيق

إهداء

إلى حبيبتي

حنان

تنويه

كل شخصيات هذه الرواية حقيقية، حتى غير الحقيقية منها. وكل أحداثها حدثت، حتى المستحيل منها.

نادر صِدِّيق

الجزء الأول

(1)

دعا وليد الله سرًّا، كما اعتاد أن يفعل كُلَّما واجه عجزه، أن يختفي. أغلق عينيه بقوة، وتمنى لو منحه الله القدرة على غلق أذنيه أيضًا؛ ليتوقف عن سماع السمفونية الرهيبة التي كان يُعذّبه سماعها، والتي شارك في عزفها أطفال قليلة الأدب يلعبون في الشارع أسفل عمارته، ومروَحة صاخبة لم تُلطِّف حر يونيو الخانق، وصراخ أولاده الذين كانوا يتعرَّضون في هذه اللحظة إلى عملية تفريغ ضغط؛ تقوم بها زوجته فيهم، كلما أخطأ أحدهم ومارس حقه في أن يكون طفلًا.

عَلا صراخ أطفاله، واقتحمت صورة زوجته، وهي تضرب بغِلٍّ طفليه، خياله بالرغم من كل محاولات منعها.

يعلم أنها تحت ضغط هائل؛ بسبب ضيق الحال، ويعلم أيضًا أن أي مُحاوَلة منه لحماية الأطفال من بطشها يلزمها كبش فداء يتلقى البطش بدلًا منهم، ولكنه لم يكُن مُستعدًّا لتلقِّي أي إهانات إضافية هذه الليلة. تكفيه إهانة رئيسه في العمل المستترة له صباحًا بعد طلبه سُلفة؛ حتى يتمكّن من السفر لأربعة أيام كمصيف متقشف لن يحدث.

تحوّل صراخ أطفاله إلى بكاء، وسمع خطوات زوجته عائدة نحوه. كان يرى، بالرغم من إغلاقه عينيه، ملامح الغضب، والتشفّي على وجهها.

كانت تنتقم منه هو في أطفاله.

أراد أن يفتح عينيه وأن يعتبر، كعادته، ما كان كأن لم يكُن، ولكنه لم يستطِع. ليس اليوم. نما غضب خبيث داخله، شَعَر به يتصاعد ويغلي كبركان خمد لوقت أطول من اللازم، شَعَر بروحه تتضخم وتضغط حدود جسده من الداخل، وبجلده يتمدد، وبجسده يتمزق بفعل الضغط المكبوت داخله.

أراد أن يفتح عينيه ويقتلها.

سرت رعشة إثارة في أطرافه عند رؤيتها في خياله مقتولة، حماسة خبيثة مجنونة تزحف على جسده وتدفعه ليفتح عينيه ويرى ملامحها الخبيثة، فيقتلها. تسارعت أنفاسه. كست حمرة الغضب وجهه. أغلق قبضتيه حتى ابيضت أصابعه وهرب منها الدم واندفع يُغذي غضبه. وفي اللحظة التي قرر فيها أن يترك لغضبه العنان شعر بنفسه يهوي.

في بادئ الأمر تخيّل أن العقار ينهار تحته، حاول مرارًا وفشل أن يفتح عينيه، أن يصرخ، أن يتشبث بأي شيء، لكن

شيئًا ما، غير أرضي، منعه. شعر وكأنه يُحشَر في نفق من دُخان ثقيل يحاوطه كالمهد في سقوطٍ رهيب لا يعرف نهاية.

ثم توقف كل شيء فجأة كما بدأ، ليفتح عينيه ويرى ما لا يمكن أن يتصوّره أخصب خيال على وجه الأرض.

فكيف يُمكن لخيال أرضيّ أن يتصوّر ما لا ينتمي للأرض؟

(2)

فصل من رواية (العاقِبة) للروائي نادر عبد القادر

عاد الطبيب إلى منزله بعد يوم مثمر، جمع خلاله من الأموال ما يكفيه شهرًا ويزيد. علَّق سلسلة مفاتيحه في مكانها المُخصص خلف باب الشقة، ثم توجه نحو غرفة مكتبه، التي لا يستخدمها في العمل، ولكنه أراد لنفسه غرفة مكتب، فحصل لنفسه على واحدة، كما اعتاد أن يفعل، منذ أصبح غنيًا كفاية ليفعل، مع كل شيء تقريبًا. وضع حقيبته إلى جوار المكتب الخشبي الذي يلمع حتى في الإضاءة الخافتة التي تسللت من بين طرفَي ستائر المكتب الغامقة اللون، مثلها مثل كل شيء في الغرفة. وقف كعادته خلف مكتبه، ينظُر إلى حائط إنجازاته، كما يُسمّيه، والذي عُلِّقت عليه شهاداته الدراسية كلها جنبًا إلى جنب، وتعلوها شهادات التقدير المختلفة التي حصدها على مدى عشرين عامًا من العمل الجاد، وتعلوها عدة صور جمعَته مع شخصيات لا تظهَر عادةً إلا في مُستهل نشرات الأخبار، بعضها، أي الصور، في حفلات تم تكريمه خلالها، والبعض الآخر في مُناسبات اجتماعية تتسم بالحصرية لدرجة أن مُجرد حضورها يُعَد إنجازًا لمَن هو مثله.

كان يشعُر بالفخر في كل مرة ينظُر فيها إلى حائطه هذا،

وكأنه يراه للمرة الأولى.

على يمينه كانت هناك مرآة تعكس فخره وكأنها تُغذيه، ابتسم لنفسه وبادلها نظرات إعجاب كان ينتزعها بسهولة ممن لم يعرفه. ولم يحصل عليها أبدًا ممن عاشره.

«**نرجسي!**». همَس مُتعجبًا.

هكذا سبَّته مُطلّقته الأولى منذ قليل بعد أن أعلمها أنها لن تحصل منه على مليم واحد، حيًا كان أو ميّتًا. أما عن أولاده منها، فلتتحمل عبء تربيتهم وحدها. كان هذا هو وعده لها عندما طلبت الطلاق منه، وها هو يلتزم به.

«ألم تطلُبي بكامل عقلك الخروج من الجنة؟ لا تشتهي فاكهتها إذن». هكذا سخر باسمًا منها، قبل أن تسبّه وتنهي المكالمة باكية قهرًا، كما وشى صوتها.

اعتدل ليواجه نفسه، ويعاينها، وكأنها سلعة تعرف كيف تجعل نفسها مرغوبة، خلع سترته، وعاين جسده الرياضي بإعجاب مريض.

«**وما العيب في أن يحب أحدهم نفسه؟ رحِم الله امرأً عرف قدر نفسه. وأنا أعرف قدري!**».

ولّى جانبه شطر المرآة؛ كما يفعل كل يوم صباحًا ومساءً

ليلاحظ انتفاخ عضلات صدره المُحبب، واستواء بطنه، وهذا عندما لاحظها؛ نُقطة حمراء في وسط حائط إنجازاته، بدت له كخطيئةٍ تُلوِّث صفحته، دقق النظر فيها فلم تكشف له عن ماهيّتها؛ فاقترب ليستوضحها، وما إن أصبح أمامها حتى اختفت. لم يُسعفه ذكاؤه -الذي استغله كثيرًا ليؤذي الناس ويستغلّهم- ليدرك أنها انتقلت إلى مؤخرة رأسه قبل أن تخترق رصاصة القنّاص زجاج مكتبه، وتعبُر بين طرفَي ستائره، وتمُر عبر مُخه لتستقر في وسط حائطه، مُلطِّخة إيّاه بدمائه في غفلة منه، مضيفة إلى حائط إنجازاته إنجازًا أخيرًا، لم يُحققه بنفسه، ولكنه استحقّه أكثر من أي إنجاز آخر سبقه إلى حائطه، وتاركة لطخة كريهة كانت بمثابة آخر شهاداته في هذه الدنيا التي اشتراها بآخرته؛ شهادة وفاته.

(3)

رفع النقيب حازم الشريف عينيه عن شاشة هاتفه الذكي عندما سمع نقرتين على باب غرفة مُعاوني المباحث في القسم، ونظر صوب الباب، ليرى رئيسه في العمل، الرائد محفوظ يدلُف إلى الغرفة. أغلق الأخير الباب خلفه؛ حتى لا يتسرّب الهواء البارد، الذي يصرخ التكييف بصخب في أثناء تبريده، من الغرفة. لاحظ حازم هدوء خطوات رئيسه؛ مما يعني أنه لن يُكلِّفه بمُهمة، وأنه جاء فقط ليدردش معه قليلًا.

قام حازم بطوله الفارع، وجسده الرياضي، وابتسم لرئيسه الذي يحترمه، ويحبه، ويعتبره أخًا له، وليس فقط رئيسه في العمل.

- إزيّك يا حازم؟ أنا طلبت لنا قهوة من البُن بتاعي. عندك جديد؟ قال محفوظ وهو يجلس في مواجهة حازم، الذي جلس بدوره، وأجاب:

- تعيش يا محفوظ بيه، لا جديد تحت الشمس.

- سليم فين؟ ونظر نحو المكتب المقابل لمكتب حازم.

- مش كان مستأذن سيادتـ....

- آه صح، عنده مشوار للدكتور مع الجماعة. مش ناوي

تعملها أنت كمان بقى؟

- ليه كده بس يا محفوظ بيه؟ أنا زعّلتك في حاجة؟ ثم أنا ما بأحبهمش أصلًا.

- فيه راجل مش بيحب الستات؟

- لا، أنا أقصد الدكاترة. قال حازم وضحك، وبدوره ضحك محفوظ.

ارتدى حازم بنطلونًا جينزًا أزرق، وقميصًا أبيض. كان طويل الوجه، قمحي اللون، وسيم وطفولي الملامح، وشعره أسود كثيف ومموّج ودائمًا ما يلمع؛ مما يُعطي انطباعًا عنه أنه أنهى لتوه تصوير إعلان لزيت الشعر.

دلف جابر عسكري الخدمة، بعد نقرتين على باب المكتب إلى الداخل، حاملًا صينية عليها كوبان من القهوة؛ فشكره محفوظ، وأوصاه:

- لو تليفون مكتبي رن رُد عليه، وتعالَ انده لي على طول.

أومأ جابر وغادر المكتب بلا كلام.

- بتقرا إيه؟ سأل محفوظ.

عقد حازم حاجبيه، ففسَّر محفوظ وهو يلتقط فنجانه:

- ما أنت مش بتمشي من غير رواية، أنا تايه عنك؟

ضحك حازم، وفتح درج مكتبه وأخرج رواية (العطش) للروائي (جو نيسبو)، وأدارها ليواجه غلافها وجه رئيسه، الذي أومأ وقال:

- إمممم. ثم رشف رشفة من قهوته، وكأنه شعَر بالعطش. ما فيش أخبار عن اسمه إيه اللي اختفى ده؟

- وليد سرحان. لا يا محفوظ بيه، أغلب الظن إنه طفش من البيت. اللي مستعجب له فعلًا إن ما لهوش وجود في أي مكان، بس هيروح فين يعني؟ هيظهر.

- ولسة مراته متمسّكة بالحكاية بتاعتها؟

- بإصرار مش طبيعي! قال حازم وهو يمُط شفتيه، ويفرد كفيه باستغراب حقيقي، ثم مدّ يمينه نحو فنجانه ورفعه وارتشف منه على مهل باستمتاع.

- يعني إيه كان قاعد على الكنبة، وفجأة اختفى؟! إيه يخلّيها تقول كده في رأيك؟

أعاد حازم كوب قهوته إلى مكانه، وقال:

- هي كانت قايمة تدخل المطبخ، وساياه قاعد على الكنبة، وقبل ما تدخل المطبخ بصّت عليه ما كانش موجود،

والغريب، حسب كلامها، إن باب المطبخ قصاد باب الشقة، والكنبة بعيد؛ يعني لا يمكن يكون نزل منه. وردًا على سؤال سيادتك، التفسير المنطقي الوحيد إنها مش عاوزة يتقال عليها طفّشت الراجل.

هز محفوظ رأسه وكأنه يزن كلام حازم، ثم سأله:

- ما فيش احتمال تكون خلّصت عليه فعلًا زي ما حماتها اتهمتها يا حازم؟ وخصوصًا إنه عدّى تقريبًا شهر على اختفائه.

أومأ حازم برأسه وهو يلتقط فنجانه، ويقول:

- حطّيت الاحتمال ده قصادي واشتغلت عليه بالفعل، بس طلع إنه مستحيل. ثم رشف من قهوته رشفة سريعة، وأعاد كوبه لمكانه وهو يستطرد:

- آخر حد شاف وليد سرحان حيّ يُرزَق، هو الولد اللي بياخد الزبالة، خبّط على الباب الساعة 7 تقريبًا في نفس ميعاده كل يوم، ووليد اللي فتح له بنفسه، والست اتصلت بحماتها بتعيّط الساعة 7:41 وبالنجدة الساعة 7:52 دقيقة بالظبط.

- فهمتك. قال محفوظ وهو يُنهي قهوته. تقصد إنها حتى لو قتلته جثته كانت هتكون لسة موجودة جوّا الشقة.

- بالظبط يا فندم، ده غير إن الولاد كانوا معاهم في البيت.

- غريبة الحكاية دي!

- جدًّا، بس عمومًا هتتحل، ما فيش لغز مش بيتحل، وغالبًا بعدها بيطلع الحل كان بسيط.

- وسرقة مكتب الصرافة؟ قال محفوظ وهو ينهض.

- ما فيش جديد. قام حازم بدوره. ولا كاميرا جايبة وشه، كل اللقطات بالخوذة وهو سايق الموتوسيكل. وتحتها كان لابس قناع، فحتى موظفين المكتب ما حدش اتعرّف عليه.

(4)

توقف نادر عبد القادر عن القراءة قبل آخر كلمتين؛ ليزيد من تأثير نهاية الفصل، الذي اختاره ليفتتح بقراءته الندوة التي أُقِيمت على شرفه، رفع عينيه وجال بهما في الصالة أمامه؛ ليرى تأثير كلماته. كان للإثارة وانقطاع الأنفاس حضور محسوس في الهواء، شَعَر بهما وابتسم بفخر لم يُعكّره سوى أن عدد الحضور الذي أمامه أقل من عدد الحضور في الندوة السابقة، والذي بدوره كان أقل من عدد الحضور في الندوة التي سبقتها، وتخيّل نفسه، في يوم ليس ببعيد، يجلس في ندوة، أُقِيمت على شرفه، وحيدًا ينظُر إلى مقاعد خالية، ثم رأى نفسه تُذبَح على مذبَح الأدب على أيدي أشخاص بدَت كرتونية، وكلٌّ منهم يفتقد جزءًا من جسده؛ في دلالة واضحة على فقدانه القدرة على الخلق الكامل للشخصيات، والإبداع، اللتين كانتا أهم ما يُميّزانه بصفته روائيًا، واللتين جعلتا رفوف الأكثر مبيعًا موطنًا آمنًا لكل أعماله لمُدة طويلة، قبل أن يواجه سدّة كتابة لمُدة طالت، وباتت تُهدد بقاء أعماله على رفوفها المُعتادة، بل بقاءه هو نفسه في دائرة الضوء.

ارتدى اليوم قميصًا أزرق، وبنطلونًا جينزًا غامقًا، لونه بين الأزرق والأسود. كان نادر وسيم الملامح بلا إفراط، وذقنه

غير حليق، وشعره الأسود الخفيف غير مُصفف بعناية ولكنه غير مُنفّر الشكل، ملابسه بها لمسة فوضى مُحببة تُعطي انطباعًا بعدم الاكتراث.

اعتاد نادر أن يرى قُرّاءه كأقمار تدور حوله، وتعكس له ضوء شمس إبداعه الأخّاذ، ولكن منذ أكثر من عامين وهو يشعُر بخبو ما يرتد منهم إليه من بريق. لم يعترف علنًا أن موهبته في مأزق، ولا أن سدّته طالت، ولكن عدم الاعتراف بالشيء لا ينفيه. هو يعلم أن كل مَن يقرأ له يعلم أنه في مأزق، ولكنه وكل مَن حوله اتفقوا دون كلام على تجاهُل الحديث عن العفريت؛ حتى لا يتجسّد، وكأن الكلام عنه سيجعله حقيقيًّا أكثر، أو أن تجاهُله سيقتله كما يقتل الإهمال الحُب.

- شهادة وفاته. قال نادر واضعًا حدًّا لفقرة القراءة التي يبدأ بها عادةً ندواته.

أخّرَ التأثر الذي سبّبته نهاية المشهد المقروء، والذي بدا مرئيًّا بفضل براعة نادر الغائبة، موجة التصفيق التي بدأت خجولة، ثم اندفعت بصخب أعاد لنادر، للحظات، شعوره بالتميُّز.

جلست داليدا، ناشرة نادر الجميلة، ذات الشعر الأسود المنفوش، إلى جواره، في بلوزة بيضاء، وجينز أزرق ضيق

أظهر رشاقتها اللافتة، وإلى جوارها جلس رجل الأعمال ماجد صاحب مكتبات (شمس)، بشعره الأبيض المُصفف للخلف بعناية، وأناقته المُكلِّفة المُتكلِّفة التي تُميِّز الأثرياء من مُحبي الأضواء. الرجل الذي قرر اقتحام سوق الإنتاج السينمائي كما اقتحم سوق المكتبات -دعمًا للثقافة، على حد قوله- منذ بضع سنوات كانت كافية لتكون مكتبته هي قِبلة كل راغب في شراء الكتب.

ثُبِّتَ أمام نادر هاتف ذكي على حامله؛ لينقل وقائع الندوة في بث مباشر عبر حسابات تواصُله الاجتماعي الافتراضية، وآخر موجَّهة كاميرته نحو الجمهور.

- على فكرة، الشخصية دي هي أحب شخصية خلقها نادر لقلبي. قالت داليدا بعد أن هدأت موجة التصفيق.

سأل نادر مازحًا:

- الدكتور اللي اتقتل؟

تسللت ضحكات هادئة من أفواه الحضور، قبل أن تُجيب داليدا وهي تضحك:

- لا، اللي قتله. حسّيته بيمثّل الضمير، أو تقدر تقول الكارما.

- العاقِبة. صحّح نادر.

أيّدت بعض الهمهمات تعقيب نادر، فأومأت داليدا برأسها اقتناعًا، ثم قالت:

- هنفتح الأسئلة يا شباب لمُدة نُص ساعة، وبعدين نبدأ التوقيع. اللي عند...

- اسمحوا لي قبل بداية الأسئلة. قاطعها نادر. كُنت حابب الأول أشكُر داليدا، أهم ترس من تروس ماكينة العمل اللي بتنتج كل شيء بيوصل لكم عليه اسمي. وطبعًا، الأستاذ ماجد صاحب المكان، واللي دعمه للثقافة، والفن لا يخفى على أحد. وأخيرًا وليس آخرًا، أشكركم كلكم على اهتمامكم، وثقتكم فيّ. وأشار إلى الحضور بكف مفرود، وعرفان صادق.

- أنا اللي متشكر يا أستاذ نادر. عقّبَ ماجد. أنا بعد سنين من عملي في التجارة والصناعة حسّيت إنه جه الوقت إني أرُد الجِمِيل لشباب بلدي الواعي، وكان اختياري للفن والثقافة بديهي عشان أساهم ولو بجزء بسيط من تشكيل وعي يقدر يشيل مسئولية مستقبل وطننا الغالي. ووجودي في وسطكم بيسعدني جدًّا.

صفّق الحضور ولكنه توقف سريعًا؛ في إعلان صريح لرغبة الجميع في بدء ما جاءوا من أجله.

- اتفضلوا. قالت داليدا.

رفع البعض أيديهم؛ طلبًا للإذن بالسؤال، اختار نادر -كعادته- أجمل الطالِبات، مُشيرًا نحوها بابتسامة.

- أنا أكتر واحدة بتحبك من مُعجباتك، وعند...

- طب اسمك إيه يا أكتر واحدة بتحبني؟ قاطعها نادر سائلًا وكاسيًا وجهها بحمرة خجل لم تزِدها سوى جاذبية.

- ريهام. وابتسمت بغنج، ثم أكملت:

- الإلهام بييجي لك إزاي؟ من حد بتحبه؟ ولا مكان مُعين بتكتب فيه؟ ولا وقت مُحدد؟

- الإلهام يا ريهام. وابتسم؛ لتسري ضحكات خافتة على جُملته المُقفّاه. مش بييجي لي. أنا اللي بأجيبه. أنا بأعتبر الكاتب اللي بيستنى الإلهام كاتب ضعيف الإرادة.

سرَت في القاعة همهمات غذّت فيه رغبة مدح ذاته.

كأي فنان، عمَل نادر من أجل انتزاع آهات الإعجاب والانبهار هذه من الناس، وإن كانت سدّته تمنعه حاليًّا من انتزاعها بالطُّرق السلمية، فلا بأس من القليل من الجدل الذي يُبقي صاحبه دائمًا في دائرة الضوء التي تتغذى عليها روح أي فنان، وإن أنكر.

- مع احترامي للجميع، الناس مش زيّ بعضها، اللي بينفع

معايا مش بالضرورة ينفع معاكِ. من وجهة نظري، الإبداع ده عضلة زي أي عضلة في الجسم. ممكن الشخص يقوّيها بالتدريب، ويخلّيها تستحمل أكتر، وتشتغل أحسن في ظروف أصعب.

بدأ نادر شيئًا فشيئًا ينسى مشكلاته، وسدّته؛ كلاعب الكُرة الذي ما إن يسمع صفارة الحكم، وصوت الجمهور، ينسى كل شيء خارج خطوط الملعب ويذوب في موجة حماس تأخذه لأعلى مستويات التألق، على عكس حديثي العهد بالكتابة الذين تُصِيبهم مواجهة الجمهور بالتلعثم والارتباك. حتى صوته أصبح واثقًا وثابتًا أكثر بفضل نظرات المُعجبات الحالمة، وحتى نظرات الغيرة الحاسدة من الذكور كانت تُغذي فيه الأنا وتُشعِره بمكانته التي لا يصل إليها سوى قلّة.

- أنا عوّدت نفسي ما أكونش تحت رحمة مزاج مُعيّن، أو مكان مُحدد، أو حتى حد أدنى من الهدوء. بالتدريب، قدرت أعوّد ملكة الإبداع عندي تشتغل وقت ما أستدعيها.

في أثناء حديثه، مسح نادر، كعادته التي اكتسبها من ساعات وساعات أمضاها في ندوات كهذه، وجوه الحاضرين؛ ليعرف مَن سيسمح له بالسؤال التالي. كان هناك مَن ينبهر بإجابة نادر ويشعر بالرغبة في سؤاله سؤالًا له علاقة بالإجابة، فكان يضعه على رأس القائمة، ولكن هذا لم يحدث

الآن. وكان هناك أيضًا مَن يستفزه كلامه فتظهر ملامح تحدٍّ خبيث على ملامحه، فيستعد لمُهاجمة نادر؛ بسبب جوابه المُستفز، وهو ما يراه نادر الآن على ملامح أحدهم أمامه، هؤلاء، اعتاد تجاهُلهم، حتى تهدأ حدة السخط على ملامحهم، ثم يُعطي لهم الحق في الكلام بعد أن يُجيب عن سؤال أو اثنين قبلها؛ مما كان في معظم الأحيان يدفعهم لصرف النظر عن السؤال الذي بات منتهي الصلاحية تقريبًا بعد أن تغيّر موضوع الكلام.

ارتفعت بعض الكفوف عاليًا؛ طلبًا للكلام بعد انتهاء نادر من الإجابة، فأشار إلى فتاة هادئة الجمال، ورقيقة المحيا لتتحدث، مُتجاهلًا، مؤقتًا، الشاب الذي كان يستعد لمُهاجمته كما وشت ملامحه.

- أنا سمر. ما فيش جديد؟ أقصد على المستوى الشخصي، ارتباط، خطوبة؟

أثار السؤال سلسلة من الأصوات المتداخلة، بعضها مُستنكِر، والآخر مُستمتِع.

ابتسم نادر رغمًا عنه، ورغمًا عنه أيضًا، قفزت عيناه نحو فتاة جميلة جمالًا من فرط هدوئه لا يُمكن أن ينظُر إليها ناظر دون أن يتسمّر ولو للحظة، وكأن لجاذبيتها سحرًا يُنيم مغناطيسيًا دون قصد. ارتدت فستانًا صيفيًا بسيطًا، ناسَب

جمالها وأظهر رشاقتها دون إظهار مُبالَغ فيه للمفاتِن، أحمر اللون، وتغطيه أزهار بيضاء. لاحظ أنها أدارت عينيها في محجريهما وكأنها تقول: «بدأنا» عند سماعها السؤال، ثم نظرت إليه بملامح تقول: «رُد يا فالح».

- مش إحنا متفقين يا سمر، إن أحلى الروايات هي اللي لا يمكن تتنبأ باللي مكتوب في صفحتها الجاية؟ وإن الغموض ضروري لنجاح أي قصة؟ وإن المفاجأة دايمًا بتحلّيها؟ أنا بأعتبر حياتي بالنسبة لكم قصة، بلاش تحرقي الأحداث، كل حاجة في وقتها أحلى. رَد الفالح، الذي دائمًا ما فَلَح كُلّما تعلّق الموضوع بالكلام، فهو «بيّاع كلام»، كما اعتاد أن يُقدِّم نفسه.

أومأ للسائلة، ثم نظر إلى حنان، الجميلة ذات الفستان الأحمر، مُستكشفًا نسبة رضاها عن إجابة «الفالح»، ليُجيبه امتعاض ملامحها بأن النسبة كانت صفرًا.

عادت عدة كفوف للارتفاع طلبًا للكلمة، فأعطاها للشاب الذي تجاهله سابقًا، فلا بأس من بعض الشغب -الذي إذا أحسن نادر استغلاله، وهو ما كان يحدث في معظم الأحيان- يمكن أن ينقلب لصالحه.

- ماذا بعد؟ وجّه السائل ضربته.

- ماذا بعد؟ التكثيف في أبهى صوره. علَّق نادر على قِصر

سؤال الشاب؛ لينتزع بعض الضحكات، وليخفي توتره من السؤال الذي كان يسأله هو كل يوم لنفسه.

جلس الشاب بعد أن وجَّه ضربته لنادر، الذي رأى، في نفس لحظة جلوس الشاب، خلف الحضور خارج باب المكتبة الزجاجي، رجلًا يُخفي معظم ملامحه تحت غطاء للرأس متصل بقميص قماشه ثقيل لا يتناسب مع صهد يوليو الذي لا يرحم، كان الرجل ينظُر إلى نادر وكأنه لا يرى غيره، وبالرغم من اختفاء وجهه بالكامل، ولكنه، أي نادر، عَلِمَ عدة أشياء، دون سبب منطقي؛ أن هذا الرجل ينوي شرًّا له، وأنه ينظر إليه مباشرةً من خلف ظل غطاء رأسه، وعَلِمَ أيضًا أن هذا الرجل يعرفه، والأغرب أن نادر شَعَر أنه يعرفه.

بدا الغريب مألوفًا لنادر بشكل غير طبيعي.

لاحظ بعض الحضور توتُّر الروائي، وغيابه، فابتسم صاحب السؤال مُهنئًا نفسه على قاضيته التي أصابت الفذ في مقتل.

مالت داليدا نحو نادر قائلة:

- ماذا بعد يا نادر؟ مُذكّرة إياه بما يبدو وأنه نسيه.

نظر نادر لداليدا للحظة كمَن يفيق من غفوة غير مُرتب لها، ثم أعاد النظر نحو الشارع بحثًا عن الغريب، فلم يجده، والغريب أنه، أي نادر، كان على يقين من أنه لن يجده.

كان كل شيء حول هذا الغريب غير طبيعي، ومألوفًا بشكل يُدير الرأس.

عاد نادر ليتملك زمام نفسه، وأول ما لاحظ كان ابتسامة النصر على مُحيَّا السائل، الذي خدمه الحظ، فقرر أن يجعل منه عبرة لكل مَن يظن في نفسه القدرة على مُهاجَمة نادر عبد القادر في ملعبه، ووسط جماهيره.

- ما قولتلناش اسمك؟

- محمد.

- إزيّك يا محمد؟ ولم ينتظر إجابة. أنا فاهم إن السؤال بالفُصحى له هيبة، وإن التكثيف مُغري، وخير الكلام ما قلّ ودلّ، وكل الحاجات الحلوة دي، بس كلامك قلّ ولكنه لم يدلّ. التكثيف لا يجب أن يخل بالمعنى يا محمد. ولّا إيه؟

- مش فاهم حضرتك. أنا قصد...

- هو في الحقيقة اللي مش فاهم هو أنا. قاطعه نادر. سؤالك يحمل معنيين؛ الأول إنك تكون بتسأل عن قادم الأعمال. والثاني إنك تكون بتسأل عن ماذا بعد؟ في مسيرة نادر عبد القادر بشكل عام.

- أنا كنت أقصـ... ولم يشفع له ارتباك صوته عند نادر الذي

عاد لمُقاطعته مرة أخرى:

- خلّيني بما إنك ما حددتش تقصد أنهي فيهم، أخمّن أنا. أنت قصدت المعنى التاني، صح؟ ماذا بعد في مسيرتي. ولم ينتظر الشاب ليؤكد كلامه، وأكمل:

- ماذا بعد؟ سأل نادر وهو ينظُر لجمهوره ليتسلّح به. إيه اللي ناقص نادر عبد القادر لسّة ما حققهوش؟

حاول الشاب أن يُجيب، ولكن نادر لم يُعطِه الفُرصة، وأكمل:

- جائزة عالمية مثلًا؟!

لم يحاول الشاب أن يُجيب، فقد تعلّم الدرس، ولكن نادر ما كان ليتركه دون إراقة كرامته بالكامل على مذبحه؛ كقربان يُهدَر لإرضاء رب غاضب لن يرضى، فسأله مباشرةً:

- صح يا محمد؟ مش هو ده بس اللي ناقص؟ ولّا فيه حاجة تانية ناقصة؟

- لا، هو ده بس.

- جميل. ونظَر لجمهوره ليشهد شهادتهم على هزيمة منافسه المحتومة. الدنيا يا شباب علّمتنا حاجة. عشان تكسب شيء، لازم تخسر قصاده شيء. خلّوني أسألكم سؤال

يوضّح وجهة نظري. كام حد هنا قرأ آخر أعمال الشاعرة (لويز جلوك)؟

لا مُجيب.

- طب كام حد هنا يعرفها من الأساس؟

أجابه الصمت أنْ لا أحد.

- طيب بلاش شِعر، خلّونا في الرواية اللي مُفترَض إنكم جمهورها. كام حد هنا قرأ رواية للأديب (بيتر هاندكه)، الحاصل على نوبل في الأدب السنة اللي قبل لويز اللي ما حدش منكم عرفها؟

نفس الصمت.

- طب خلّونا في العربي، كام حد قرأ لـ(جلال برجس) أو (عبد الوهاب عيسوي) أو (هدى بركات)، أصحاب البوكر العربية؟

رفع أحدهم يده أخيرًا. واحد فقط من الحضور. وعملًا بمبدأ لا ضير من ضربة تحت الحزام لا يلاحظها الحكم، سأل نادر محمد قاضيًا عليه:

- ما قرتش لولا حد حاصل على جائزة عالمية يا محمد؟ أنت شكلك عاوزني آخد جايزة عشان تبطّل تقرأ لي. وضحك.

ليضحك معه الحضور كله ما عدا محمد بالطبع. هو ده بالظبط اللي قصدته. عشان أكتب مادة تصلُح للحصول على جائزة عالمية، هاخسر في المقابل رأس مالي الحقيقي، أنتم، جمهوري. ثم أكمل ليُثير المزيد من جدل لن يضُر:

- ثم مع احترامي الشديد لكل مَن فاز بجائزة عالمية، مش دايمًا الجوائز دي بتكون مُنصفة، يعني حد يصدق إن رواية (شوق الدرويش) مثلًا لا تفوز بجائزة عالمية؟ ده مثال، وفيه زيّه كتير. الإنصاف الحقيقي، والجايزة الحقيقية، واللي لا يُمكن تزويرها، ولا إهداءها بالمجاملات، هو اللي حواليك هنا ده يا محمد. حُب الناس، القُرّاء، ووجودهم بالآلاف في أي حدث بأكون أنا حتى أحد ضيوفه.

غرق المكان في موجة تصفيق هادرة شارك فيها كل مَن كان في المكتبة، ما عدا نادر.

ومحمد.

(5)

جاء دور آخر القُرّاء في الجمع الذي وقف أمام نادر ليحصل على توقيعه؛ كانت ريهام التي افتتح بسؤالها نادر فقرة الأسئلة. ضمّت آخر روايات نادر إلى صدرها كعشيق أرادت إخفاءه عن الأنظار. لم يمنع نادر نفسه من النظر إلى كتابه في حضنها وإلى ما حوله من فاكهة مُحرَّمة، وما كان ليستطيع إذا أراد؛ من فرط جمالها.

- ريهام إيه؟ سأل عن اسمها الثنائي وهو يلتقط منها كتابه، الذي نُقِل دفؤه، كدعوة غير بريئة، إلى يده، ومن ثَم إلى جسده كله.

- لسة فاكر اسمي؟ بغنج سألت.

- بلاش تواضُع يا ريهام، أنتِ قابلتي كام واحد عِرفِك، ونسي اسمك قبل كده؟

- بس أنت... وتركت انبهارها به على ملامحها يُكمِل الجُملة.

- صدقيني، أمام الجمال، يتساوى الرجال.

ضحكت، فلفتت ضحكتها نظر حنان، التي كانت غير بعيدة تحادث داليدا، فجاءت إليهما، وقالت بضيق حاولت إخفاءه وفشلت:

- مش ترحم نفسك شوية يا أستاذ نادر، تلاقيك تعبت خالص من كُتر الإهداءات.

وصلت رسالتها صاخبة كالرصاص للفتاة، فاستقامت في وقفتها، والتقطت كتابها من نادر، الذي قال لها وهي تُغادر مُحرَجة دون سلام:

- هاستنى رأيك يا ريهام. ثم نظر لحنان بغضب، لتبادله هي النظرة بأقسى منها. فتح فمه ليعترض على تصرُّفها، ولكن داليدا جاءت قبل أن ينطق وقالت له:

- يلّا يا نادر، كده هنتأخر على ميعاد العشاء اللي عامله الأستاذ ماجد على شرفك.

- عشاء؟ استنكرت حنان بصوت مكتوم. وطبعًا كنت عارف وما قولتليش!

- حتى لو ما أعرفش، ما ينفعش أقول لأ. الأستاذ ماجد صاحب مكتبات (شمس)، وبدأ في تأسيس شركة إنتاج فنّي. يعني في مجالنا ما يترفضلوش طلب.

- أستاذ تغيير مواضيع! أنا أقصد إني آخر مَن يعلم.

- خُفت تزعلي إنه عازمني أنا وأنتِ لأ.

- هيعزمني إزاي؟ وليه؟ هوّ حد عارف أنا مين يا نادر؟ ده

أنت نفسك مش عارف أنا أبقى لك إيه.

- ممكن تكمّلوا خناق بعدين؛ عشان لازم نتحرك؟

نظرت حنان لداليدا بغضب، وأشاح نادر ببصره نحو باب المكتبة، ليلمح، مرة أخرى، الغريب، واقفًا على الرصيف المُقابل للمكتبة، بالظبط كما رآه في المرة السابقة، لا يتحرك، وينظُر مُباشرةً نحوه بالرغم من اختفاء عينيه في ظل غطاء رأسه، يرتدي ملابس لا يُمكن أن تنتمي لهذا الوقت من السنة.

بدا مألوفًا لنادر بشكل مُفرط في الغرابة.

كل هذا جعل نادر يشعر وكأن هذا الرجل ليس رجلًا، شَعَر وكأنه نذير. رمزٌ لشيء آخر. غَلَّف نادر، في هذه اللحظة، شعور غريب، عزله عن واقعه، أن حياته هي رواية تُكتَب، وأن مؤلفها أراد تجسيد خطايا بطله في شكل ماديّ، فكان هذا الواقف ينظُر له عبر باب المكتبة الزجاجي. كان هذا أحد أسوأ عيوب خيال نادر الخصب.

كبّله خياله في وهم خلقه له كالكابوس، وأصبح الخوف هو كل ما يشعر به نادر الآن.

مرّ أحدهم أمام باب المكتبة، ليمسح وجود الغريب، في لقطة بدت وكأنها خدعة سينمائية مُتقنة، ليختفي الرجل، ويبقى الخوف غير المُبرر منه مُكبِّلًا نادر كقمصان المجانين

مُحكَمة الربط.

لاحَظَت حنان شحوب نادر الذي جاء نتيجة لخوفه، فنظرت حيث ينظُر، فلم تجد ما يُمكن أن يسبب حالة نادر، فسألته بقلق صادق:

- ما لَك يا نادر؟

تبخّر خوفه كالدخان عند سماعه صوتها الحنون الدافئ، وإن بقي عالقًا حوله في الهواء مُعيقًا تنفُّسه، أو هكذا شَعَر.

- شُفت حاجة؟ سألت داليدا، وهي تبحث بعينيها حيث نظر نادر، عمّا يُمكن أن يُخيفه هكذا.

- نادر، دي تاني مرة تسرح كده الليلة دي. قالت حنان. أنت كويس؟ تحب تروّح؟

- لا. لا، أنا كويس، يلّا بينا.

- هتقدر تسوق كده؟ سألت داليدا بقلق.

- أنا كويس، ما تقلقيش. قال نادر بإنهاك حلَّ به فجأة. بس مش عاوز أبقى لوحدي دلوقت، معلش، بلّغي ماجد بيه إن حنان هتيجي معانا العشاء. هاركب معاها وأحصلّك.

- ومين قال لك إني فاضية أساسًا؟ اعترضَت حنان. أنا أصلًا مش عاوزة آجي.

- أنا محتاج لك معايا النهار ده. قال قاضيًا على أي تمنُّع كانت تنويه.

- هابعت لك مكان المطعم يا حنان. قالت داليدا ثم نظرت لنادر. أنا هاركب مع أستاذ ماجد عربيته عشان نتكلم في الشغل على ما تيجوا. وهنتعِب حنان ترجّعنا ناخد عربياتنا من هنا، وبالمرة نتناقش وإحنا راجعين. فوّق كده يا نادر. الليلة ممكن تبقى بداية الحاجة اللي أنت محتاج لها بقى لك فترة. وبلاش تسرُّع في الردود، وحاول تسيبني أنا أقوم بمعظم التفاوض. عشان خاطرك وخاطري يا نادر، الراجل ده كنز.

(6)

في سيارة حنان، سرح نادر بعيدًا، وغرق في حالة من التأمُّل عادةً ما تقذفه إلى أكثر مناطق عقله سوادًا؛ الذكريات، ولم يمانع، فالهروب من الشعور الذي تملَّكه منذ رأى الغريب أول مرة كان له الأولوية.

- إزاي حاسس إنك تعرفه؟ مش بتقول ما شُفتش وشه كويس؟

- ما شُفتش وشه خالص!

- أمال تعرفه إزاي؟

- مش عارف! ثم أنا ما أعرفوش. أنا حاسس إني أعرفه.

- تفرق إيه؟

تنهَّد نادر بضيق، تاركًا زفرته تُجيب عن سؤالها المنطقي.

نظرت حنان نحوه بقلق وهو يتابع جانب الطريق سارحًا، وقالت بقلق:

- يا نادر، أنا بقى لي فترة ملاحظة إنك مش كويس، ومش حابة أضغط عليك عشان أنت ما بتحبش كده، بس الموضوع بدأ يقلِق.

***

جلست داليدا إلى جوار ماجد كامل في سيارته الفارهة على الكنبة الخلفية. وعزلهما زجاج السيارة الغامق عن أضواء الطريق وضوضائه.

- من غير لف ودوران. مهّدَ ماجد. أنا دخلت مجال المكتبات، والإنتاج الفني، مزيكا وسينما بعد توصية مستشارين قالوا إن هو ده المدخل الصح للجيل الجديد، اللي بطبيعة الحال هينفعني في أي انتخابات. يعني في الأول كنت داخله غير هادف للربح المادي المباشر منه. ده شغل المستشارين، بس أنا تاجر، ما يعرفش يشتغل في حاجة ما يكسبش من وراها على كل المستويات. فلو هنتكلم في الشغل يبقى نتكلم بلُغة التُجار، أنا محتاج لجاكت، وأنتِ عندك جاكت، بس ما تنسيش إن موضته قديمة شوية.

أبلغته ملامح داليدا اعتراضها على كلامه، فدلّل:

- ما تنكريش إن نادر النهار ده مش هو نادر من سنتين.

- يا ماجد بيه، الموضة مش بتقدَم إلا لما بينزل الأحدث منها، وحضرتك حالًا بتقارن نادر النهار ده بنادر من سنتين. ده ما لهوش غير معنى واحد؛ إن نادر بيلعب في مستوى لوحده.

- واضح إن اللي سمعته عنك كان في محلّه. قال وابتسم كاسرًا حدةٍ وليدة كانت على وشك أن تنمو في صوتها، واستجابت داليدا بابتسامة أفتن بكثير من ابتسامته.

- بس غيري جه قاس الجاكت ومشي، أنا مش نايم على وداني.

- العفو يا ماجد بيه، وعشان كده حضرتك أكيد عارف سبب رفضي العرض السابق، وأكيد عندك عرض أفضل منه، وإلا ما كنتش هتضيَّع وقتك في تفاوُض متكرر، مصيره الفشل.

- اللي أنتِ بتطلبيه كتير أوي؛ نظرًا للظروف. متفق معاكِ إن ما حدش لسة تفوّق على نادر، بس ده مش معناه إن مستواه مش في النازل.

اعتدل لمواجهتها بقدر ما سمحت مساحة السيارة، وسأل:

- عيني في عينك، قدرة نادر عبد القادر الإبداعية النهار ده زي ما كانت من كام سنة؟

***

لم ينجح تكييف سيارة حنان في خفض الحرارة المتصاعدة لحوارها مع نادر حول صحّته.

- لأ طبعًا، أنتِ اتجننتِ!

- اتجننت؟ ليه؟

- تسريب خبر إني باشوف دكتور نفساني فيه نهايتي.

- ما فيش دكتور كبير ممكن يسرّب بيانات مريضه.

- أنا خلاص بقيت مريض!

- ما تُقفش على الكلمة، أنت فاهم قصدي.

- أنا حد مشهور، ممكن أي حد يشوفني عنده.

- بلاش عنده، ييجي لك البيت.

- ومن إمتى الدكتور الكبير بيعمل زيارات منزلية؟

- ما أنا مش هاوصل معاك لحاجة.

- طب كويس إنك عارفة.

- أنا غلطانة يعني؟

- أيوة غلطانة.

أشاح نادر ببصره إلى خارج السيارة. كان يُحب مصر الجديدة بشوارعها العتيقة الأصيلة، ما كان يُعكّر جمالها الساحر هو زحام السيارات المقيت الدائم. والآن بعد التخلُّص من الزحام، أصبح التنقُّل في شوارع مصر الجديدة أسهل كثيرًا، وهي نعمة كبيرة، ولكنها، كأي نعمة، جاءت بمقابل

ليس بالقليل، دفعته الشوارع من حدائقها، وذكريات قاطنيها. تساءل نادر هل مَن قطع الأشجار ليحل الأزمة هو المسئول عن قتله للجمال؟ أو أن المسئول هو الشعب الذي يتكاثر بكثافة عالية في مساحة ضيّقة؟

كان خيال نادر عادةً ما يرحل به بعيدًا عن أي ضِيق حوله، حتى يهدأ أو يختفي سبب الضيق، وهي عادة حميدة ولكن بحدود.

مرّت سيّارة إلى جوار سيارة حنان، ناثرةً من سمّاعاتها عالية الجودة صخبًا مقيتًا مليئًا بصوت يليق بولولة المآتم يُغني، انتزع نادر من خياله، وأعاده لبُغض الواقع من حوله؛ فتنهّد بضيق، حارقًا الحدة التي تصاعدت بينه وبين حنان، لترُد هي هادمة جدار الصمت، بصوت يحمل قلقًا حقيقيًّا وتعاطفًا ملأ السيارة بدفء غطى على حرارة يوليو:

- يا نادر، أنت مش بتنام، باين عليك. ومش بتكتب. ومش متسامح مع فكرة إنك مش بتكتب. صدقني، طول ما أنت مش متسامح مع إنك بني آدم طبيعي، وطبيعي ييجي عليك وقت وتعطل، هتفضل مش قادر تكتب، وطول ما أنت مش بتكتب مش هترتاح، ومش هتنام. دوّامة مميتة أنت سايب نفسك فيها. تنهّدت بألم لحاله، وأكملت بنبرة أحن من خرير ماء نهر رقيق:

- أنا بأحبك، ومش باقول كل ده إلا علشان أنت بجد تهمني أكتر مما تتخيل. أنا خايفة عليك يا نادر.

رق لصوتها، وقال بصوت ملأه الامتنان:

- ما تخافيش. أنتِ عندك حق، بس ما تخافيش. داليدا هتمضي مع ماجد، وإن شاء الله الموضوع ده هيشغلني الفترة الجاية، وهيفرق معايا نفسيًّا.

- أنا خايفة الموضوع ده يعطل زي اللي قبله.

- حتى لو. داليدا قالت لي إنها شغالة على حاجة هتطلع بيَّ لفوق بسرعة الصاروخ. وأنا كمان هاعمل حاجة هتفرق معايا كتير.

***

- يعني إيه حاجة هترجعه تاني في دائرة الضوء بس مش هتقدري تقوليها لي دلوقت؟ عاوزاني أشتري سمك في ميّة يا داليدا؟ قال ماجد مُستهجنًا.

- لا، عاوزاك تشتري (Bestseller)، ومؤلف من طراز فريد، وكل أعماله ناجحة، وأشهر كاتب شباب في الوطن العربي. وموضوع شغل التسويق ده ما ينفعش أتكلم عنه في مرحلة الإعداد.

- يبقى ما ينفعش تحاسبيني عليه.

- أنا مش بأحاسبك عليه. قالت، ثم لان صوتها كثيرًا. الشراكة دي تهمّني، عشان كده باقول لك حاجات ما قولتهاش لصاحب العرض اللي قبلك. لكن صدقني، الصفقة دي مُنصفة لكل الأطراف. أنا بس عاوزة حضرتك تثق فيَّ.

غطى الصمت السيارة بغطاء رقيق، سرعان ما رفعه ماجد قائلًا بصوت مَن عقد عزمه على شيء ولكن دون يقين راسخ:

- مع إن الشغل ما فيهوش كده، بس أنا عاوز أثق فيكِ.

ابتسمت داليدا ابتسامة المُنتصر، وملأتها بسحرها الأخّاذ، وكأنها تكافئ ماجد على ثقته؛ كوردة تبث رحيقها في الهواء حول ساقيها.

- طب حيث كده بقى، هاقول لحضرتك سر حصري تاني، بس يفضل سر. قالت محاولة القضاء على آخر نبرات عدم اليقين في صوته. فحرّك سبّابته وإبهامه عرضيًّا على فمه وكأنه يغلقهما بسحّاب وهمي؛ علامة على كتم السر.

- نادر عنده أفكار كتير، متفقين ينشرها في شكل روايات، بس أنا نصحته يخلّيهم عشان أول أعماله اللي تتكتب للشاشة مباشرةً تكون على مستوى نادر بتاع زمان، مع وعد

إن العمل يتنشر في الدار عندي كرواية بعد نجاحه على الشاشة، أنا اللي يهمني كلنا نكسب، مش أنا بس.

هزّ ماجد رأسه في اقتناع شابَهُ شيءٌ ما، لم تستطِع داليدا تبيُّنه حينها.

***

- وأنت مش قلقان إنها تشتغل على حاجة أنت ما تعرفهاش؟ ضامنها للدرجة دي؟ سألت حنان في محاولة لتغيير الكلام عن صحة نادر النفسية؛ حتى لا تحبطه.

- أنا ضامن إنها مُدمنة نجاح، وممكن تعمل أي حاجة عشان تكسب أكتر. ده غير إنها مؤمنة بيّ جدًّا. أجاب نادر وهو يسند رأسه على مخدع كُرسيه بإنهاك نفسي أكثر منه بدنيًّا.

- موضوع تكسب ده ما يطمّنش، معنى كده لو بدأت... وانكسر صوتها مخافة جرحه، وأكملت بخفوت:

- يعني... لو بدأت تخسر، ممكن تسيبك.

ابتسم نادر مُقدِّرًا محاولة حنان عدم جرحه بكلامها، وقال:

- في حالتي أنا وداليدا الموضوع ده ما يقلِقش؛ لأن أنا النجم الوحيد في الدار عندها، ولأن عقدي معاها بالنسبة، يعني كل ما أعمل فلوس أكتر هي تكسب أكتر. وما تنسيش

إني قلت مُدمنة نجاح قبل حُب المكسب. في سوق داليدا، إنها تفسخ عقد مع نجم وهو في مكانة أقل من اللي بدأت معاه وهو فيها، ده سمعة سيّئة.

- آه، عشان كده قلبها عليك جدًا.

نظر نادر نحو ملامح حنان محاولًا كشف ما وراء جُملتها الأخيرة، هي تقصدها حرفيًا، أم أن غيرتها هي مَن نطقتها بدلًا منها؟ وفشل. فحاول مرة أخرى، ولكن بطريقة مباشرة:

- بالظبط كده. نجاحي بالنسبة لحياة داليدا العملية، حياة أو موت. وصمت للحظة نظرت خلالها حنان نحوه نظرة خاطفة لم تُرِحه، فأكمل فاتحًا الموضوع مباشرةً:

- باختصار كده، آخر حد ممكن تغيري منه داليدا، اللي بيننا شغل وبس. قال ناقلًا الكُرة لملعب حنان، وانتظر، ولكن ليس طويلًا، حيث اندفعت حنان قائلة مُحققة له ما أراد:

- أنا مش قلقانة من داليدا، أنا قلقانة من عينك الفارغة.

- يووه، مش هنخلص! عمومًا اطمني، قبل ما أعرفك حاولت معاها، بس هي كانت واضحة في الرفض؛ لأنها أذكى من إنها تعرّض علاقتها المهنية بيّ لأي تهديد ممكن تسبّبه علاقة خاصة. ثم مش كفاية عدّيت لك الحركة اللي عملتيها مع البنت وأنا بامضي لها نسختها؟

- أنت اللي تعديها؟! لا كتّر خيرك! مش كفاية سايباك لحد دلوقت مش عاوز تريّحني؟

داست حنان على الفرامل بقوة متفادية بائع نعناع ألقى بنفسه أمام سيارتها وهي على وشك الحركة بعد توقُّف وجيز في إحدى إشارات مصر الجديدة، ثم عادت للانطلاق مُسرعة بانفعال واضح بعد تفاديه.

- أنا قلت لك مليون مرة يا حنان، علاقتي بالجمهور خارج إطار الغيرة، وأنتِ عرفتيني وأنا مشهور، ما ينفعش تعترضي على كده. وقلت لك برضه مليون مرة، كل شيء بأوان. قال وهو يتابع الطريق بقلق بسبب اندفاع حنان غير المُبرر.

- علاقتك بالجمهور عمرها ما كانت مُشكلة بالنسبة لي، بالعكس، أنت عارف إني بافرح لما باشوف حُب جمهورك ليك. أنا مُشكلتي مع المُعجبات اللي علاقتك بتتحول معاهم ويبقوا «صديقات». وأشارت بعلامات التنصيص في كلمة صديقات تهكُّمًا.

- طب كويس إنك واخدة بالك إنهم صديقات! قال مُتجاهلًا التهكم، وعلامات التنصيص. وأخرج هاتفه الذي كان قد أغلقه في أثناء الندوة ونسي أن يفتحه بعد انتهائها، حيث ذكَّره الكلام عن «الصديقات» بهِنّ.

نظرت له حنان بملامح تحمل الحنق، والغضب، وخيبة الأمل، والشفقة في آنٍ، وتابعته وهو يفتح هاتفه، ولكنها لم تستطِع تمالُك نفسها؛ فقالت بصوت خذله ضعفها أمام حبها له:

- ربنا يعلم إن أنا مستحملة كل ده عشان بأحبك. بس أنا ست يا نادر وبأحس.

انشغل نادر للحظات بهاتفه بعد فتحه في متابعة سيل الرسائل والتعليقات التي انهمرت عليه، بعضها بسبب ما أثاره من جدل في أثناء الندوة، وبعضها بسبب تأخُّره في الرد على الرسائل، ولم يرُد على كلام حنان، والذي بدا وكأنه لم يسمعه، لتختتم هي كلامها بنبرة مكسورة:

- أتمنى ييجي عليك يوم وتبقى بتحس أنت كمان.

لم يُجِب نادر مُرتكبًا -كما نفعل كُلنا تقريبًا في هذا العصر- خطيئة الهروب من العالم الحقيقيّ، للعالم الافتراضيّ بمُجرد مرور غيمة من عدم الراحة في الأول.

(7)

في أحد المطاعم الفاخرة التي يملكها رجل الأعمال ماجد، جلس الأخير ومعه داليدا في انتظار وصول نادر لاستكمال حديثهما الذي بدآه في سيارته، ولم يفرغا منه.

وصل نادر سامحًا لحنان بالدخول قبله بتهذيب لم يمنعه مُشادتهما التي تركها نادر مُعلّقة في فراغ السيارة بينهما كدخان خانق ثقيل لا يطير.

كان جو المطعم من الداخل مثاليًا على عكس خارجه، درجة الحرارة مثالية، دون الشعور ببرودة التكييف، وكأن المطعم استعار فصل الخريف المُحبب في أمسيته هذه، والأضواء وُزِّعَت بحس فني لا يقل روعة عن الفن الذي غطّي الجدران في شكل مرايا ولوحات وصور، وصوت الموسيقى بدا وكأنه آتٍ من خلف الجدران، وكأن هناك مَن كان يسمعه بعيدًا بصوت عالٍ، فوصل الصوت لهم هادئًا مُهدِّئا.

تراخت ملامح نادر بفعل جو المكان، وأيضًا لأنه لاحظ أن ماجد قد قام بإفراغ المكان من زبائنه خصّيصًا حتى يتم الاجتماع في جو حميمي لا يمكن توفيره خارج المنزل، إلا إذا كنت تملك ما يكفي من الأموال بالطبع.

بقيت ملامح حنان عكرة كحالها عند مُغادرة السيارة، وليست لأن السيدات تصعب مصالحتهن كما هو مُروَّج، ولكن لأنهن يشعُرن بصدق مُحاولات الرجل لإرضائهن؛ يمكنك أن تُحاول ألف مرة، فقط لأنك ترغب في وأد المزاج السيئ، ولكنك ستفشل، في حين أنك إذا حاولت نصف مرة بصدق، ستنجح.

عَلَت ملامح داليدا نظرة «ألم تجدا سوى الليلة لتتعاركا؟!». ولكنها ابتسمت في استقبالهما، فالليلة لا ينقصها ضيق.

قام ماجد بتأدب وسلَّم على حنان، ثم نادر، وانتظر حتى قام النادل، الذي ارتدى قميصًا أبيض، وبنطلونًا أسود، وربطة عنق بابيون سوداء، بمساعدة حنان على الجلوس بتهذيب حقيقي، ثم أشار لنادر بالجلوس، وجلس أخيرًا.

أتى النادل بقوائم الطعام وناولها لحنان، ثم نادر الذي رفضها بكف مفرودة، وقال:

- أنا هاسيب ماجد بيه يختار لي على ذوقه، اللي واضح إنه حلو في كل حاجة. وأشار حوله في مُجاملة لطيفة أراد بها أن يزيل أي أثر لضيق قد تكون سبّبته ملامح حنان الصادقة. ولم يخفَ عليه أن حنان تدفن وجهها في قائمة الطعام فقط لتتجنب النظر لأيٍّ منهم.

- ليه الإحراج ده؟ أنا طلبت! قالت داليدا بخجل نصف حقيقي.

- أصلًا! قبل ما نيجي حتى؟

- ميّتة من الجوع.

- هتطلبي إيه؟ قال نادر لحنان باسمًا، مُزيحًا كالساحر ضيقها. حاولت أن تتماسك، والإبقاء على ملامحها العكرة، ولكنها عجزت.

- آآآه... هآخد زيّك. أقصد زي ما الأستاذ ماجد هيقول.

- أنا أعرف والدك كويس. قال ماجد مُخاطبًا حنان. ما اتشرفتش بمقابلته، بس ما حدش في البلد ما يعرفوش ويعرف قد إيه هو راجل عظيم.

أومأت حنان شاكرة.

- هتُطلب لنا إيه بقى يا ماجد بيه؟ سأل نادر.

- أنا كنت ناوي أعرض عليكم تسيبوا الشيف يفاجئنا، بس أنت بذوقك عملت كده من غير عرض منّي. أنا نفسي مش عارف، بس اطّمنوا، أنا واثق تمامًا في الشيف هنا.

- أنا فرحان فيكِ. قال نادر لداليدا. عشان طلبتي ومش هيفاجئك الشيف. فضحكت الأخيرة، ووضعت يدها على

وجهها.

- اوعى تفرّط فيها يا نادر. رفع ماجد سبابته وأكمل:

- أنا قررت، لو نويت أدخل مجال النشر، عرفت هاشارك مين.

- تشارك مين بقى يا ماجد بيه؟ هي بعد ما طلبت من غيري تتضِمن؟ دي باعتني بعشوة.

- ده أنا كمان حاولت. عرضت عليها تشتغل معايا، بس رفضت ومتمسكة بمجالها، وكمان بتحارب عشانك.

- خلاص سامحتك يا دي. قال نادر لداليدا وهو يبتسم بصدق. ثم نظر لحنان نظرة «أرأيت؟» عندما أكّد ماجد، دون ترتيب، كلامه لها عن داليدا، ليجد أن ملامحها قد لانت؛ فاتسعت ابتسامته، وبادلته هي بأكثر ابتساماتها سحرًا.

كأنها كانت تعلم أن ابتسامته تلك ستكون الأخيرة له في هذه الليلة.

- نتكلم في الشغل بقى. قال ماجد بجدّية انتقلت بفعل العدوى لملامح نادر. داليدا قالت لي إنك شايل أفكار على الرف عشان تكتبها للشاشة مباشرةً، كنت عاوز أسمع منهم حاجة.

لم يتمكّن نادر للحظة من فهم ما يعنيه كلام ماجد، ثم تحوّلت جديّة ملامحه إلى الغضب، ونظر إلى داليدا، التي بدوّرها نظرت بغضب مماثل لماجد، وكأنهم يلعبون لعبة تمرير الغضب.

في هذه اللحظة لمح نادر في إحدى المرايا البعيدة طيف الغريب، الذي رآه خارج مكتبة (شمس)، يمُر خلفه؛ فدار بسرعة ليجد المطعم خاليًا إلا منهم.

نظروا كلهم إليه، ثم إلى حيث نظر، ولكنه تجاهل نظراتهم، فردوا بتجاهل ردة فعله وكأنها لم تحدُث، وإن عَلِقَت على ملامحهم بعض أمارات الاستغراب، والقلق، والتعاطف، كلٌّ على حسب علاقته بنادر.

نجح نادر في السيطرة نسبيًا على ملامحه، في حين أن زلزالًا قاسيًا من عدم الفهم كان يضربه، دون رحمة، من الداخل.

قالت داليدا بغضب عندما رأت أن ماجد لم ينظر إليها حتى، وأبقى نظره مُعلقًا على نادر مُنتظرًا إجابة سؤاله، وكأنه لم يُخلِف لتوّه وعده لها في السيّارة:

- بس حضرتك وعدتني الكلام ده يفضل سر بيننا.

- وعدتك؟ أنا عملت كده. وأشار على فمه كما فعل في

السيارة، ثم أكمل:

- ما فيش حاجة اسمها أسرار في الشغل يا شباب، ده أول درس لازم تتعلموه في التجارة. سامحيني يا داليدا، الثقة بتيجي بعد الشغل، مش قبله.

جثم التوتر على المائدة، وأصبح ملموسًا، وكان الوحيد المُستعد له هو ماجد الذي أطلقه.

قال نادر بغضب مكتوم وعينين زائغتين، وهو يحاول السيطرة على انفعاله بسبب ما تخيّل أنه رآه:

- حصل خير، بس أنا ما اتعوّدتش أتكلم عن شُغلي قبل ميعاده.

- يا أستاذ ماجد، نادر دماغه مش بتشتغل زيّنا، الأفكار مش بتكون مترتبة في دماغه بصورة يقدر يشرحها لنا، بس هو بيكون فاهمها، أو بمعنى أصح، حاسسها.

- طيب، بس ما تنسيش إنك طالبة منّي أمضي مع نادر عقد إنتاج تلات أفلام، أنا ما أعرفش منهم غير قصة الرواية اللي قرأ منها فصل في الندوة. توقف عن الاسترسال، وأشار بسبّابته لنادر مُلطِّفًا:

- وهي قصة رائعة بالمناسبة. ثم أكمل كلامه، بعد أن رد

وجه نادر محاولة تلطيفه الأجواء بجفاء:

- وكمان عاوزة منّي أدفع قيمة الفيلم الأول كاملة، وإحنا لسّة ما مضّيناش ولا ممثل، وولا حتى الورق اتكتب.

- خلاص، بسيطة. نمضي عقد عمل واحد، وتدفع قيمة القصة، ولما الورق يجهز نبقى نتفق عليه في حينه. قال نادر مُتحدّيًا بعد أن استعاد السيطرة على نفسه.

- موافق. بس عندي تعديل بسيط، أشتري منكم القصة، وأنا هاجيب حد يكتب ورقها. أجاب ماجد مُتعمّدًا استفزاز نادر، ونجح.

- على أساس إن... قاطع ظهور النادل، مع عربة صغيرة رُصّت عليها أطباق فواتح الشهية الملوّنة، جُملة نادر.

غطّى الصمت المائدة كخيمة بلا مخرج، ومارست الموسيقى الهادئة فعل التهدئة ببراعة، فلانت تدريجيًّا ملامح كلٍّ من نادر وماجد، حتى إن الأخير ظهرت على ملامحه ابتسامة وليدة، لاحظتها داليدا، فبدأت كلامها حتى قبل أن يفرُغ النادل من فرش كل فواتح الشهية، وقالت مُستدعية كل سحرها وحكمتها:

- مُعظم المشكلات اللي بتواجه النوع ده من الصفقات هي اللُغة.

انتبه لها الجميع واشتركوا جميعًا في عدم الفهم، وكأنها تتحدث لُغة غريبة، فأكملت بصوت اكتسب الثقة، خاصةً أن النادل كان في طريقه إلى المطبخ بالفعل:

- اللغة اللي حضرتك بتتكلمها. وأشارت لماجد. غير اللغة اللي حضرتك بتتكلمها. وأشارت لنادر.

- وعشان كده حضرتك موجودة. قالت حنان باسمة، وهي تُشير نحو داليدا، بهدف تنقية الأجواء؛ لأنها تعلم أن حالة نادر النفسية ستسوء إذا ما فشلت هذه الصفقة، ولكن غضبه وغروره سيمنعانه من تقديم أي تنازُل لا يحفظ له كرامته كونه مُبدعًا، ونجحت، حيث ضحكت داليدا، وابتسم ماجد، وحتى نادر، بالرغم من غضبه، لم يتمكّن من منع نفسه من الابتسام.

- بالظبط. استعادت داليدا دفّة الحديث مُستغلة الهُدنة التي فرضتها طُرفة حنان. ممكن لو سمحتم تسيبوني أعمل شغلي؟ وكل واحد فيكم يعمل شغله؟

لم يُجِب نادر، وبادل ماجد بنظرة غير راضية بالكامل، ولكن الأخير قال متنازلًا:

- أنا محضّر لك خطة تسويق للفيلم الأول، ما حدش عملها قبل كده. مش عاوز سوء تفاهُم بسيط زي ده يؤثر على شغل

أنا بأحضّره من شهور. بُكرة لما نشتغل سوا، هتعرف إني مش عاوز غير مصلحة الشغل، اللي هي بطبيعة الحال مصلحتك. وأسئلتي عن الشغل طبيعية ومنطقية، ومش المفروض تزعّلك.

فتح نادر فمه ليُجيب، ولكن داليدا أشارت بيدها علامة الوقت المُستقطع فخنق كلامه ليسمعها:

- إحنا اتفقنا تسيبوني أنا أعمل شغلي. صح؟ يا ماجد بيه. إدّي لي شوية وقت، نادر يشتغل فيه على مُعالجة قصة تانية تكون مفهومة للناس العادية اللي زيّنا. وأنا هابعتها لحضرتك تشوفها قبل توقيع العقود. وأنا واثقة إنك هتنبهر. نادر مش شاطر في الكلام قد الكتابة. وقبل أن يعترض نادر، وجّهت وجهها بالكامل نحوه؛ حتى لا يلمح ماجد ملامحها المتوسلة:

- وأنت يا عم المُبدع بالراحة علينا شوية، حاول تفضي دماغك وتطلّع لنا حاجة مش مُشفرة نفهمها، عشان بس نجيب رِجل الزبون، وبعده تبدأ شغل في ورق فيلم **(العاقِبة)** على طول. وابتسمت.

وعندها مدّت حنان يدها بشجاعة، بذلت مجهودًا كبيرًا لتجمعها، ووضعتها فوق يد نادر، التي تشنّجت للحظة، ثم لانت واطمأنت، فانتقلت عدوى اللين لملامحه، وكأن في لمستها ترياقًا لتوتُّره.

(8)

خرجت حنان، وتلتها داليدا، ثم نادر من المطعم إلى الشارع الذي استقبلهم بحرارة ورطوبة سجلتا رقمًا قياسيًا في الارتفاع، وضوضاء صيف لم تنجح في لفت انتباه نادر؛ الذي بدا مُشتت الذهن ومُنهكًا لأقصى درجة؛ أفرغ تماسُكه المُدَّعى أمام مضيّفهم طاقته كلها.

تحرّك، فور خروجهم، الشاب الذي احتفظ بمفاتيح سيارة حنان عندما حضرت إلى حيث ركنها حسب تعليمات ماجد، الذي يعرف كيف يُريح ضيوفه، وعاد بالسيارة بعد دقائق، أمضاها نادر في البحث حوله عن الغريب، تحت أنظار كلٍّ من داليدا وحنان التي جمعت ما بين الشفقة والقلق.

تحرك نادر نحو الباب الخلفي عندما توقفت سيارة حنان أمامه، حتى دون أن يُلاحِظ أن داليدا اتجهت نحوه كما هو مُتوقَّع منها، ولم يُلاحظ أيضًا تسمُّرها ونظرها نحوه بتعجّب شديد وهو يأخذ مكانه زائغ البصر، ولكن حنان لاحظت، فأشارت لداليدا بأن تركب إلى جوارها، فامتثلت الأخيرة وابتلعت قلقها إلى حين.

أخرج نادر هاتفه من جيبه، ليجد عددًا كبيرًا من الإشعارات المتنوّعة من عدة برامج وصلته في أثناء اجتماعه مع ماجد،

فتنهّد بضيق وأعاد هاتفه إلى جيبه حتى دون أن يفتح قفل شاشته.

سمعت حنان زفرة ضيقه، فنظرت إلى داليدا وكأنها تطلب منها أن تفعل شيئًا، فاستجابت الأخيرة ودارت في كُرسيها ورسمت ابتسامة بدت سخيفة على وجهها، وقالت محاولة كسر جليد الكرب الذي ملأ السيّارة:

- إحنا لسة قصادنا وقـ...

- أنا مش هاكتب حاجة يا داليدا، ولا هامضي مع ماجد.
كُسِر الجليد، وجرف سيل الكرب كل طموحات داليدا، ولكنها لم تستسلم:

- نادر، فنّك ده سلعة. عُمرك سمعت عن سلعة بتختار اللي يشتريها؟

- مش يمكن المُشكلة إنك بتعاملي فنّي على إنه سلعة؟ علا صوته؛ أخيرًا وجد نادر مكانًا يُفرِّغ فيه ضيقه وتوتُّره.

- والله يا نادر أنا حسب ما أفتكر إن ده صميم شُغلي، وأنت بنفسك طلبت منّي ده في أول لقاء بيننا. لو سمحت احترِم ذكائي، أنا مش غريبة، ومش غبية، فما فيش داعي نذوّق الكلام.

أمسكت حنان يد داليدا مُحاوِلة تهدئتها، ولكن الأخيرة دفعت يدها بلُطف ونظرت لها نظرة مَن يعرف ما يفعل. نظرت حنان بإشفاق في مرآة السيارة لترى نادر يائسًا كما لم ترَه من قبل. ولكن داليدا كانت تعلم أن التعاقد الذي كانوا على وشك إتمامه مع ماجد هو آخر فرصة لنادر للخروج من ظلام سدّته إلى نور إبداعه من جديد، فلم تسمح لنفسها بالتهاون معه، حتى لو اضطرت لإيذائه بالحقيقة في سبيل نجاحه، ومن ثَم نجاحها.

- المُشكلة مش إني بأعامل فنّك كسلعة، المُشكلة في ثقتك في موهبتك أولًا، وفي ثقتك في نفسك ثانيًا. والاتنين بيزوّدوا بعض. أنت عُمرك ما كُنت مهزوز كده يا نادر.

- وهو أنا اللي حطتني في موقف إنه يسألني عن أفكار مش جاهزة؟ استنكَر بغضب.

- إحنا متفقين إني هاقول له كده عشان يتحمّس! دفعت داليدا عن نفسها التهمة.

- وأنا كنت أعرف إنه هيفاجئني؟

- لا أنا اللي كنت أعرف! استنكرت.

- عشان كده مش هامضي مع واحد قليل الذوق ومش بيفهم في الأدب.

بنبرة أقل حدة قالت داليدا على أمل أن تجد كلماتها في نادر بعض المنطق:

- مش قلة ذوقه هي سبب رفضك التعاقد مع ماجد، أنا معاك من سنين وعارفة كويس أنت بتفكر إزاي. وعارفة إن أكتر حاجتين في الدنيا بيضايقوك هما اللي حصلوا مع ماجد من شوية. صمتت للحظة وانتظرت أن ينظر إليها نادر الذي كان يشاهد واجهات المحلات مُتجاهلًا إياها، ثم أكملت حين فعل:

- الحاجة الأولى إنك ما تكونش أذكى واحد في المكان. والتانية إنك تتسئل سؤال مش عارف إجابته. والاتنين حصلوا النهار ده، ومع شخص واحد. إحنا حبينا نصيع على ماجد، وهو طلع أصيَع مننا. وده مش عيب على فكرة.

جاء اعتراض نادر على شكل زفرة مهزومة أيّدت كلام داليدا على عكس ما أراد، فأكملت طارقة على الحديد وقد بدأ يلين:

- العيب الحقيقي هو إنك تكون أذكى واحد في المكان، وعندك إجابات لألف سؤال من بتوع ماجد، بس ثقتك في نفسك تخليك مش شايف ده. أنت بتمُر بفترة مَر بيها كل الكُتاب الكُبار، ما لَك بقى؟ فيها إيه يعني لما تعترف إنك في

مُشكلة. أنت بشر على فكرة.

لا رد من نادر، الذي عاد لمُطالعة الشارع؛ هربًا وليس رغبة. فأكملت داليدا لتستفزه:

- شُفت لما الولد سألك النهار ده «ماذا بعد؟» أنت اتخضيت إزاي؟

سرت رعشة خوف في جسد نادر، توتر لها جسده كله، فظنّت داليدا أنها لفتت انتباهه، ولم تعلم أن طيف الغريب مر أمامه عندما أعادت هي السؤال الذي جسّده أمامه.

- أنت ما خُفتش من السؤال، الموضوع نفسي بحت. أنت دايمًا...

لمست حنان ذراع داليدا بلُطف لتلفت انتباهها، وقالت:

- لا، هو في اللحظة دي اتهيأ له إنه شاف حد يعرفه.

نقلت داليدا نظرها بين حنان ونادر للحظة مُطالِبةً أيًّا منهما بتفسير، وسألت عندما لم يأتِ:

- مش فاهمة شُفت مين تعرفه؟

- ما أعرفوش. قال بضيق، ونفاد صبر.

- طب ما إحنا بنشوف ناس ما نعرفهاش على طول.

- هو بيتهيّأ له يا داليدا. قالت حنان بصوت مكسور.

أسدل ستار الصمت نفسه على السيارة، حتى إن أصوات الشارع هدأت وكأنها ترفض أن تخدش جداره الرقيق، الذي بنى كلٌّ منهم جزءًا منه حوله لأسباب مُختلفة؛ داليدا للتفكير، وحنان تعاطُفًا، ونادر يأسًا وارتباكًا. وكانت داليدا أول الهادمين له:

- أنا دارسة علم نفس كجزء من التسويق، معنى إن يتهيّأ لك إنك شُفت حاجة خوّفتك لما سمعت السؤال ده تحديدًا؛ إنك خايف من السؤال، واللي شُفته ده تجسيد لخوفك. خوفك من «ماذا بعد؟». وده معناه إن أنت اللي خلقت العفريت ده. أنت اللي بنيت جوّاك الحاجز اللي مانعك تكون نادر اللي كان، من كُتر ثقته في موهبته وذكائه وفي نفسه، بينوّر زي الشمس في أي مكان يكون موجود فيه. خوفك بقى يتجسّد قصادك يا نادر، وده مش...

- خلاص؟! بقيت مجنون وبيتهيّأ لي؟ فيه حاجة تانية ناقصة عاوزين تزوّدوها؟ قال بصوّت ظنّه سيخرج غاضبًا ومُهدّدًا، ولكنه خرج مكسورًا مهزوزًا.

- يا حبيبي، والله العظيم إحنا خايفين عليك.

- ما فيش برة العربية دي حد بيحبك قد اللي جوّاها. قالت

داليدا واعتدلت مُولّية ظهرها لنادر، الذي قال بعد لحظات حاول خلالها السيطرة على ضيقه وصوته، ليخرج متماسكًا:

- أنا عارف. ما تزعلوش منّي. أنا بس مش كويس.

- ما حدش فينا بيزعل منك يا نادر.

تنهّد نادر زافرًا ضيقه؛ أراحه قليلًا وجودهما إلى جواره، واهتمامها به.

- أنا مش قادر أسوق. ممكن تروّحيني يا حنان؟ و...

صمت مُفكرًا، فعلِمت حنان فيما يُفكر، فسبقته قائلة:

- حاضر، هاوصلك، وبعدين هاوصّل داليدا عند عربيتها، وهأخلّي عم حمدي السوّاق يجيب لك العربية تحت البيت عندك، عشان لو محتاج لها الصبح، تصحى تلاقيها.

هز نادر رأسه بعرفان، وابتسم.

- يا سلام. حد يلاقي الدلع ده كله ويبقى مش كويس بذمتك؟ مازحته داليدا. ما تنساش بس تسيب معاها مفتاح العربية عشان عم حمدي ما يضطرش يُقطرها.

- لا ما أنا معايا النسخة الاحتياطي.

- الله الله. عُقبال نُسخة مفتاح الشقة. وغمزت لحنان،

التي كست ملامحها حمرة خجل زادتها جمالًا، ولكن بالرغم من خجلها لم تستطِع منع نفسها من النظر إلى نادر عبر مرآة سيارتها، لتجده غائبًا عنهما في شاشة هاتفه، لتتبخر ابتسامتها كنُقطة مطر وجدت نفسها وحيدة في الصحراء.

غرقت السيارة في صمت لاءم هدوء الشارع المُحبب حولها، حيث تخطّت الساعة منتصف الليل بدقائق.

قالت داليدا وسيارة حنان تدخل الشارع الهادئ الذي يسكنه نادر في حي مصر الجديدة العتيق:

- عاوزاك تفصل الليلة دي خالص، وتنسى كل حاجة مضايقاك.

- يا رب أعرف. ما هو البيه عاوز مُعالجة، وأنا دماغي مش بتبطل تفكير طول ما ورايا حاجة لازم تتعمل.

- أنا باقول الليلة دي. حد عارف من النهار ده لبُكرة هيحصل إيه؟ افصل أنت بس، وسيب كل حاجة عليَّ.

(9)

اتصل النقيب حازم بصديقه مجدي وفتح مُكبر الصوت وترك الهاتف على مكتبه، وقام ليُعيد بعض الملفات إلى أماكنها داخل مكتبة لها باب زجاجي، منتصبة على يمين مكتبه. أجاب صديقه بصوت لاهث:

- إيه يا جدّي؟ كلمتك في وقت غير مناسب ولّا حاجة؟ قال حازم وضحك بشقاوة.

- مناسب إيه يا حازم! أنا كنت باستحمى من الحر، وعرقت وأنا باتنشف. مش عارف فيه إيه؟!

أصدر جهاز التكييف المواجه للمكتبة زمجرة غاضبة، عندما عاد كبّاسه الخارجي للعمل، مُشاركًا مجدي استنكاره من درجات الحرارة المرتفعة. فالتفت حازم نحوه نصف التفاتة، وقال بصوت مرتفع ليعلو فوق صوت التكييف:

- أهو التكييف رد عليك أهو.

- سمعته. وضحك.

- هتنزل؟ أنا خلّصت شغل وما ليش نفس أرجع البيت دلوقت.

- إمممم... آآآآآ... غمغم مجدي مُفكرًا.

- أنت بتقطّع ليه يا عم؟ كنت واعد المدام بحاجة؟ سأل حازم وهو يغلق باب المكتبة بالمفتاح، ويعود إلى مكتبه ليجمع أشياءه.

- لأ، بس موضوع النزول الفجأة ده بيحتاج لتمهيد. وصمت لثوانٍ مُفكرًا، ثم سأل:

- طيب أنت هتكون على القهوة إمتى؟

- حسب ما نتفق.

- مش أنت كده كده رايح هناك؟

- لأ، لو مش هتيجي، أنا هاطلع على النادي أقرا شوية في الروقان.

- طيب خلاص. إدّي لي نص ساعة كده أشوف الدنيا عندي وأكلمك.

(10)

انتظرت حنان بعفوية أمام العقار الذي يسكُنه نادر حتى فتح الأخير بابه، الذي عانده قليلًا، كما فعل باب السيارة معه، قبل أن يستجيب، وكأنها تودّعه وداعًا أخيرًا من طرف واحد؛ كانت تشعُر بأنها لن تراه مرة أخرى، ولم تكُن تعلم وقتها إلى أي مدى كان شعورها في محله.

- لأ يا سامح، الفونط مش حلو. ثم أنا قلت لك قبل كده، في الأغلفة عاوزة ألوان فاتحة، الغوامق دي في الطباعة مش بتبان تفاصيلها. لو سمحت اسمع كلام الزبون، اللي هو أنا، وريّحه.

نظرت حنان بطرف عينها لداليدا وهي تستقبل الرسالة تلو الأخرى وترد عليها بثقة، ثم نظرت مرة أخيرة نحو باب العقار. لاحظت داليدا تردُّدها، فقالت بخُبث:

- لو عاوزة تطلعي، أنا ممكن أطلب أوبر.

نظرت لها حنان بلوم، ثم عاد التعاطف لملامحها، وقالت:

- خايفة عليه أوي. عمره ما وصل للحالة دي.

- ليكِ حق. ثم تنهّدت بضيق، وأكملت:

- بس بصراحة هو مزوّدها. مُشكلته إنه (Perfectionist)،

وعاوز كل حاجة تمشي حسب الخطة. وده ممتاز لما الأمور تكون ماشية كويس. بس لما الأمور مش بتمشي كويس، وده وارد جدًّا؛ لأننا في الدنيا مش في الجنة؛ نفسيته بتتأثر، وبيكون محتاج لمجهود عشان يقدر يتعامل. نادر بقى مش بيتقبّل الوضع، ولا حتى بيحاول يتقبله، ولا بيبذل المجهود المطلوب منه. عشان كده حالته بتسوء.

كانت داليدا تتحدث بنصف عقل، وهي تتابع رسائلها، التي تكدّست بسبب إغلاقها لهاتفها منذ بداية الندوة وحتى الآن؛ ما جعل حنان تتساءل عن مدى اهتمام داليدا بنادر الإنسان، وليس المُبدع.

- ما لِك؟ سألت داليدا. أنتِ عاوزة تقولي حاجة بس حيشاها. صح؟

استهلّت حنان كلامها بتنهيدة حملت الكثير، ومهّدت الطريق لكلامها بإعلان صريح أن قادم الكلمات نابع من أعمق مكان في روحها، فتركت داليدا هاتفها، وانتبهت.

- نادر إنسان وحيد لأقصى، وأقسى درجة. الإبداع بالنسبة له كان جاذب للانتباه، كان وسيلة لتحقيق التواصل اللي أي إنسان مننا ما يقدرش يعيش من غيره. الإنسان كائن بيعيش في قطيع، لو عاش لوحده؛ يدبل، ويموت ببطء. هو عايش في رعب عشان متهيّأ له إنه لو فقد قدرته على الإبداع،

هيفقد الشيء الوحيد اللي كان بيسمح له يكون فرد من قطيع؛ والرعب قاتل الإبداع. هو مقتنع إنه لازم يبدع عشان يفضل يلاقي حد جنبه، وده مخليه مش قادر يبدع؛ لأن الإبداع فعل عفوي وتلقائي، ما ينفعش يكون غصب. وأنا... انكسر صوتها وتحشرج. صمتت لتمنع بكاءً كان أقوى من قدرتها على المنع.

- اركني يا حنان. اركني.

امتثلت حنان، وقبل أن تُغطي وجهها بكفَّيها حتى لا ترى داليدا دموعها، اقتربت منها الأخيرة وجذبتها نحوها؛ فاستجابت دون وعي، وغرقت في حضن داليدا، تبكي عجزها عن إنقاذ الشخص الوحيد الذي أحبت على وجه الأرض، من الغرق في أحزانه.

- نادر عمره ما هيبقى لوحده، إحنا مش هنسمح بكده.

- المهم هو يسمح. قالت حنان بصوت مكتوم في صدر داليدا عبر بكاء لا ينقطع. نادر مش راضي يسمح لي أكون جنبه، عاوزة أطمّنه، بس هو مش راضي، ولو حس إني باقرّب عشان هو محتاج لده، هيعتبره شفقة وهيبعدني عنه. نفسي أساعده وأكون جنبه بس هو مش راضي. مش عارفة أعمل إيه.

- ما تعمليش حاجة. قالت داليدا وهي تهدهد حنان. ما ينفعش نجبر حد على وجودنا جنبه، لازم هو يطلبه، بس لو بنحبه كفاية، هنفضل موجودين ومُتاحين لحد ما يطلب وجودنا ويلاقينا. نادر بيحبك، بس هو لسة مش عارف ده. ومحتاج لك، بس مش عاوز يعترف بكده. بس صدقيني، مع الوقت كل حاجة هتتظبط. نادر لو رجع يكتب هيبقى شخص تاني، وهيخرج من الأزمة دي بدروس كتير هتؤثر على اختياراته كلها. خلّيكِ جنبه الفترة دي، عشان أنا مش هاقدر أقوم بالدور ده؛ بسبب الدار، وكمان بسبب الحاجات اللي باشتغل عليها عشان يرجع نادر عبد القادر تاني. وصدقيني هانت. خلّيكِ واثقة في كلامي؛ رجوع نادر عبد القادر بقى مسألة أيام.

ولم تكُن تعرف حنان وقتئذٍ كم كانت داليدا مُخطئة.

(11)

بدأت الليلة الأخيرة في حياة نادر عبد القادر كما يعرفها، بعدم استجابة باب سيارة حنان لمحاولته الأولى لفتحه. وفي أثناء مرور نادر من بين سيارتين مركونتين أمام منزله خدشت لوحة أرقام إحدى السيارات جانب قدمه، وقطعت بنطلونه؛ فنفخ بغضب لاعنًا حظه بغضب تسبّب في ارتعاش يده توتّرًا، وعندما أخرج مفاتيحه ليفتح باب العقار سقطت منه أرضًا.

بدا وكأن غضبه قد شنَّ، متواطئًا مع حرارة الجو، حربًا عليه.

حتى باب العقار لم يستجِب إلا بعد المحاولة الثالثة لفتحه، والتي جاءت بعد هبّة نسيم لطيفة، وكأن باب العقار كان يؤخره عمدًا لتلحق به هذه النسمة، التي بدت كتلويحة وداع أخيرة.

- طبعًا. اشمعنى أنت هتفتح من أول مرة! أنا شكلي هانام على السلم أساسًا. همس نادر مُخاطبًا باب العقار، ثم ابتسم بسُخرية، هدّأت من حدة غضبه.

ارتقى نادر الدرجات السبع التي تفصل باب العقار عن باب المصعد بهدوء، وعندما وصل لباب المصعد وجد

لوحة مفاتيحه مظلمة؛ مما يعني أن المصعد مُعطل. سبقت الابتسامة الساخرة هذه المرة غضبه إلى وجهه، ولم يستجِب لفكرة إيقاظ الحارس ليسأله عن سبب تعطُّل المصعد، وتوجه صوب السلم ليبدأ رحلة صعوده الطوابق الخمس مستسلمًا.

كان كل شيء يحاول منعه من الوصول لمنزله.

وصل نادر لباب شقته، والذي استجاب من أول محاولة لفتحه بتواطؤ، وكأن الأشياء يئسَت من محاولة منعه بسبب إصراره على السير بقدميه إلى فخّه المنصوب. خطا إلى الداخل، وأغلق بابها خلفه، وعلَّق سلسلة مفاتيحه على حامل مُثبّت في الحائط على شكل كرسي مقلوب.

أضاء نور غرفة الاستقبال لتظهر معالمها؛ غرفة متوسطة، تتوسط حائطها الأيمن صورة كبيرة لمركب على شاطئ يبدو مهجورًا، وفي مواجهة باب الشقة باب بلكونة تخفيه ستائر رمادية، يعلوها جهاز تكييف كبير، وفي الزاوية يُوجَد تلفاز يعلو طاولة سوداء مناسب لأثاث الغرفة العصري رمادي اللون القابع فوق سجادة سوداء تزيّنها على استحياء ورود ملوّنة، في منتصفها وُضِعت طاولة خشبية بيضاء عصرية التصميم.

توجه -بعد أن خلع حذاءه وتركه فوق سجادة صغيرة نامت بجوار باب الشقة لهذا الغرض، وبعد أن أطفأ الأنوار- نحو

غرفة مكتبه. كان أول شيء يقوم به نادر عند عودته إلى المنزل هو التوجه نحو غرفة مكتبه ليفتح الكمبيوتر ويترك هاتفه فوق شاحنه، ثم يتجه لغرفة نومه ليبدل ملابسه، ويعود بعدها لمكتبه ليبدأ ليلته.

ولكنه في هذه الليلة لن يفعل.

وضع هاتفه على المكتب الزجاجي الأسود، الذي يلمع حتى في الإضاءة الخافتة التي تسللت من بين طرفَي ستائر المكتب الغامقة اللون، مثلها مثل كل شيء في الغرفة. وقف كعادته خلف مكتبه، ينظُر إلى حائط إنجازاته كما يُسميه، حيث عُلِّقت لوحات تحمل كلٌّ منها أحد أغلفة رواياته جنبًا إلى جنب، وأسفلها شهادات التقدير المُختلفة التي حصدها على مدى تسع سنوات من الإبداع، وأسفلها عدة صور جمعته مع شخصيات لا تظهر عادةً إلا في مُستهل نشرات الأخبار، بعضها، أي الصور، في حفلات تم تكريمه خلالها، والآخر في مناسبات اجتماعية تتسم بالحصرية لدرجة أن مُجرد حضورها يُعَد إنجازًا للكثير من الناس.

كان يشعُر بالفخر في كل مرة ينظُر فيها إلى حائطه هذا، وكأنه يراه للمرة الأولى.

على يمينه كانت هناك مرآة تعكس يأسه وكأنها تُعيِّره به، ابتسم لنفسه وبادلها، بإنهاك مستسلم، نظرات يأس وجد

صعوبة متزايدة في إخفائها مؤخرًا.

«**ماذا بعد!**» قال في نفسه ساخرًا منها.

هذا السؤال الذي بعثره في أثناء الندوة، وجسّد، حسب تحليل داليدا المنطقي، خوفه في شكل كائن غريب طارده، وسكن خياله، طوال الليلة. سرت رعدة خوف مُنذرة في جسد نادر عندما مر طيف الغريب في خياله، الذي صوّر له الغريب يقتله بسكين على شكل قلم، في تحذير أخير له أن «انتبِه!».

رفع رأسه إلى سقف الغرفة وهمس:

- يا رب، لو كان اللي أنا فيه ده عقاب على حاجة لازم أتوب عنها، أنا محتاج لإشارة تفهّمني.

تنهّد بعُمق، وعاد ينظر إلى نفسه مُجدّدًا، قبل أن يلاحظها؛ نقطة حمراء في وسط حائط إنجازاته، بدت له كخطيئة تُلوِّث صفحته، دقّق النظر فيها فلم تكشف له عن ماهيّتها، فاقترب ليستوضحها. نعم، اقترب بسذاجة الأطفال، فالعقل البشري يتمتع بالقدرة على فصل الواقع عن الخيال، والدليل أننا يُمكننا مشاهدة مشاهد القتل التي تحدث في الأفلام لعلمنا أنها مُدّعاة، ولكن يصعب مشاهدة تسجيل حقيقي لمشهد قتل أقل فظاعة من هذا الذي شاهدناه في الفيلم

دون أن نجفل. كان ما قرأه نادر على مسامع قُرّائه منذ ساعات يحدث له، ولم ينتبه؛ لأن عقله كان يعلم أن ما كتبه منذ سنوات، وقرأه منذ ساعات، ينتمي لعالم الخيال، فلم يستحضره في الواقع.

وكان هذا بالطبع قبل أن يُرفَع الستار الفاصل بين خيال نادر عبد القادر وواقعي.

اختفت، بالطبع، النقطة الحمراء من على الحائط بمُجرد أن أصبحت رأس نادر في مرماها. اتسعت عينا نادر برُعب في لحظة إدراك لم تدُم طويلًا قبل أن يُلطّخ دمّه الحائط، كإهداءٍ أخير أُرغِمَ على توقيعه.

لتنتهي في لحظة حياة نادر عبد القادر كما عرفها.

الجزء الثاني

(12)

فصل من رواية (العاقِبة) للروائي نادر عبد القادر

بعد مرور أكثر من ساعتين على إطلاقه الرصاصة القاتلة التي أودت بحياة الطبيب، تحرك القاتل، مرتديًا ملابس رياضية سوداء بالكامل، من مكانه الذي قبع فيه بصبر يراقب شقة ضحيّته عبر نظارة مُكبّرة، مُغادرًا بهدوء الشقة التي استخدمها لارتكاب جريمته؛ فالوقت متأخرًا جدًّا، أو مُبكرًا جدًّا إذا أردنا الدقة، وهو لا يرغب في أن يراه أحد.

كان هذا أحد أهم أسباب بقائه خارج السجن حتى الآن؛ أن لا أحد يراه في أثناء قيامه بعمله أبدًا. والسبب الآخر، أنه أبدًا لا يُقدِم على مواجهة، لم يختَر، بعناية، كل شيء فيها؛ بدءًا من حالة الخصم، مرورًا بتوقيت المواجهة، وصولًا لمكانها.

ارتقى السلم حتى سطح العقار، مُعلّقًا على ظهره حقيبة جلدية كبيرة سوداء، وضع فيها كل أغراضه. تسلل ببطء عبر الباب المؤدي للسطح. أرهف السمع. كان السطح، حيث تنام زوجة حارس العقار مع أبنائها، هادئًا كما توقّع. تحرّك بخفة قِط صوب السور الخلفي للعقار، سمح لنفسه أن يستمتع بنسمة هواء جاءته مُهنئة على إنجازه العمل على وجهه

الأكمل. قفز إلى سطح العقار المجاور، الذي كان يفصله عن السطح الذي قفز منه هاوية عرضها متران أو أقل قليلًا. قبع بعد هبوطه، الذي أصدر بالضرورة صوتًا، وإن كان مكتومًا؛ نظرًا لحذائه الرياضي، لدقيقة دون حراك؛ حتى يتأكد من أن أحدًا لم يسمعه، ثم هبط سلم العقار شاعرًا أنه فقد الكثير من وزنه؛ كان دائمًا ما يشعُر بهذا الشعور بعد إتمام مهمته، خاصةً إن كانت مُهمة دقيقة وتستوجب الدقة كالمُهمة التي هو بصدد إنهائها.

خرج من باب العقار، واتجه يسارًا ليعود إلى شقة الطبيب، التي زارها من قبل بالطبع؛ فهو لا يقوم بأي مهمة في مكان لم يدرسه بالشكل الكافي، وأيضًا حتى يفتح الستائر قليلًا لدرجة بالكاد تسمح له برؤية رأس الطبيب عندما تكون في مرمى نيرانه، ولكنها لا تلفت نظر الضحية عندما يعود من الخارج فيتوجس. كان الطريق يمينًا يقوده لوجهته بشكل أسرع، ولكنه يحتوي على ثلاث كاميرات مراقبة تعمل على مدار الساعة، اثنتان منها خاصة ببنك يحتل زاوية كاملة، والثالثة مُعلقة فوق باب محل إلكترونيّات، فاختار الطريق الأطول؛ حتى لا يضطر للتنكُّر لإخفاء وجهه بشكل يلفت الأنظار في حر الصيف.

وصل لعقار الضحية بمزاج رائق اعتاده عند اقترابه من

إنهاء مهمة صعبة، وكأن مزاجه سبقه للإجازة التي تنتظرهما؛ كان يسمح لنفسه بعد كل مهمة بإجازة لا يلتزم خلالها بأي شيء، لا يتدرب، ولا يلتزم بتعليمات سلامة، ولا تجنُّب كاميرات مراقبة، ولا أي شيء مما يعتبره دستورًا في أثناء أيام العمل. وكانت هذه الإجازة بإهمالها وخروجها عن النَّص، مهمة لصحته النفسية بقدر أهمية التزامه في أثناء العمل، وكأنها اليوم الذي يتناول فيه مَن يتبع حمية غذائية قاسية كل ما يشتهيه. تحرّك وكأن إجازته قد بدأت بالفعل.

وصل إلى باب شقة القتيل، عالج القفل ودخل الشقة، ثم أغلق الباب خلفه. توجّه نحو غرفة المكتب مباشرةً، استقبلته رائحة الدم المعدنية الكريهة، وكآبة الموت، ورَدَّ هو بابتسامة زهوٍ مغرور، وكأنه يقول لشبح الموت: «أنا مَن استدعاكَ إلى هنا». وقف لحظة يتأمّل -بفخر طاووس في موسم التزاوج- ما صنعت يداه. للحظة فقط.

بحث بعينيه عن هاتف الضحية، فوجده نائمًا على المكتب، إلى جوار الكمبيوتر، التقطه وعاد للجثة ليفتح الشاشة مستخدمًا البصمة الباردة برغم حرارة الغرفة. عاد إلى المكتب وجلس إليه بثقة تليق بصاحب البيت، وشرع يرسل رسالة إلكترونية من الهاتف لمساعِدة الطبيب، يخبرها فيها أنه، أي الطبيب، قرر السفر لثلاثة أيام في إجازة يرى أنه

يستحقها، وأوصاها فيها أن تخبر كل مَن يهمه الأمر، وأكّدَ فيها أنه لا يرغب في أن يزعجه أحد خلالها، ثم أغلق الهاتف الذكي وفصل سلك الهاتف الأرضي عن جهاز الهاتف نفسه. ثم توجه نحو صالة المنزل ليفصل سلك الهاتف الأرضي عن الجهاز الآخر هناك؛ حتى لا يثير جرسه أي شكوك من جار متطفل شكاك. ثم غادر الشقة، ليبدأ إجازته، وهو يُصفّر لحن أغنية «الدنيا ريشة في هوا»، شاعرًا، بفضل إنهائه المُهمة الصعبة على الوجه الأكمل، وكأن روحه «ريشة في هوا».

(13)

استقبل البكاء داليدا عندما ردت على مُكالمة حنان استقبال هزّها من الداخل، هذا ليس بُكاء ضيق أو مزاج سيئ، هذا بُكاء مروّع ومفزوع.

ماذا يمكن أن يكون قد وقع خلال الثلاث ساعات الماضية، وهي المدة التي مرّت منذ كانتا معًا، من شأنه أن يجعل حنان تبكي كما تفعل الآن؟

كانت داليدا في سريرها، تحت غطاء ناعم، يحميها من برودة التكييف المحببة، وقد بدأت الاستسلام للنوم بعد هذا اليوم الطويل، عندما انتزعها رنين هاتفها من راحتها، دون رحمة، انتزاعًا.

لم تسمع داليدا من حنان ما يُجيب عن سؤال «ماذا حدث؟». فَهِمَتْ أن الأخيرة طلبت منها الحضور فورًا لمنزل نادر، الحضور؟ مما يعني أن حنان عنده! لا يهم. سمعت أيضًا ما جعل البرودة تزحف على أطرافها؛ مُجرد كلمات متفرقة: «قتل... دم... بوليس... داهية... قاتل... رصاص».

شَعَرت وكأنها أمام لُغز من تلك الألغاز اللغوية التي اعتادت أن تستمتع بحلِّها كطالبة في بداية عمرها الدراسي، وهو لغز تكوين جملة مُفيدة مُستخدمًا المُفردات المُتاحة، ولكن

الجملة هنا لن تكون مُفيدة بقدر ما ستكون مُرعبة.

بالطبع حاولت إعادة الاتصال، في أثناء ارتدائها -على عجل- ملابسها، بحنان، ثم بنادر، ثم بنادر، ثم بحنان بلا فائدة. خرجت من غرفتها، وتركت ورقة على طاولة السفرة لوالدتها تخبرها فيها -كذبًا- أنها خرجت لطارئ غير خطير.

عند باب شقتها توقفت عن محاولات الاتصال، وبدأت في الدعاء بسلامة العاقِبة.

(14)

أعطِ أي شخص مجموعة من الكلمات المروّعة، بصوت باكٍ مُرتاع، ولا تُجِب على اتصالاته بعدها، وسيأتيك جسدًا هربت الدماء منه، وهذا بالضبط كان حال داليدا وهي تنقر باب شقة نادر بأقل قوة ممكنة، وكأنها ترغب ألا يُفتَح الباب فتعود إلى سريرها وتستيقظ صباحًا وكأن ما حدث كان مُجرد كابوس سخيف. ولكن حنان فتحت الباب بوجه أشحب من وجه داليدا، زاده طول البكاء بؤسًا.

- حصل إيه يا...

لم تتمكّن داليدا من إكمال سؤالها، حيث ارتمت حنان في حضنها تبكي، وكأن سدّ مقاومتها الضعيف انهار فجأة. تكلّمت حنان بكلام غير مفهوم ووجهها مدفون في صدر داليدا. دفعتها داليدا برفق أُم تهدهد رضيعها إلى الوراء لتُغلق باب الشقة خلفها، وهي ما تزال تحتضن حنان تاركة إيّاها تُفرِغ حمولتها بالكامل؛ حتى تستطيع الكلام، وابتلعت خوفها إلى حين.

بعد دقيقة مرّت كالدهر على داليدا رفعت حنان رأسها، وبدأ كلامها يبدو مفهومًا، وإن كان بالكاد مسموعًا:

- أنا مش عارفة أتصرّف إزاي. لازم نطلب البوليس.

- بوليس؟! جاء دور داليدا لتنهار. ليه يا حنان؟ فين نادر؟ هو نادر جرى له حاجة؟

حاولت داليدا أن تذهب لتبحث عن نادر، فمنعتها حنان برفق، وقالت بصوت هامس وسط بكاء عاودها:

- ما تدخُليش. نادر...

قاطعها ظهور نادر، وبالرغم من الدماء المتجلّطة التي كانت تلوّث قميصه، وقطع بنطلونه، كانت على ملامحه نظرة انتشاء وكأنه أنهى لتوّه كتابة أعظم رواياته، ولكن نظراته الزائغة أعطت لداليدا انطباعًا أن عقله لا يعمل بشكل سليم.

لم تُحاول أن تفهم ما حدث؛ خشيةَ أن تكون كارثة، فصمتت، وكأن صمتها سيمنعهما من جرّها إلى ما يبدو أنهم واقعون فيه. وبالفعل، لم تمر دقيقة إلا وبدأ نادر يحكي لها ما فاتها، وقد علَت ملامحه نشوة مجنونة، كتلك التي كانت تراها عليه عندما كان يتحدث عن فكرة جديدة تُولَد في خياله، ولكنها اليوم، أي النشوة، بدت أشد جنونًا، وأصابتها برعشة خوف لم تعلم لها سببًا.

(15)

نعق غراب من مكان بعيد، ولكن نادر شعر بالصوت آتيًا من داخل رأسه، الذي كان ينبض بألمٍ قاسٍ. هل نعق غراب حقًّا؟ أم أن خياله أراد أن يعيد له وعيه فاختار النعيق نذيرًا كما اعتاد أن يفعل هو في رواياته؟ لا يُوجَد صوت أنسب، كنذير شؤم، من صوت الغراب. كان يسمع دقّات قلبه كطبول حربٍ على وشك الانفجار. وجهه يرقد على أرضية غرفة مكتبه، غارقًا في بحيرة من العرق والحيرة. مُرتفعًا فوقه، كشاهد قبر مثالي، حائط إنجازاته. رأى الدماء تُحيط برأسه كهالة قديسين ملعونة وتخيَّل نفسه موصومًا بها ما تبقى له من عمره. هز رأسه ليُسكِت خياله الجامح فتألم وأصدر أنينًا خرج منه واهنًا ككل شيء فيه. أعاد الغراب من بعيد نعيقه مُذكِّرًا الراقد أن الخطر لم يزُل، وهو ما زال لا يعلم هل عقله الباطن ما ينعق، أم غراب حقيقي؟! وقبل أن يشتته التساؤل الأجوف عادت له ذاكرة لحظاته الأخيرة فجأة كموجة بحر جرفته إلى شاطئ رعب أسوَد؛ فانتفض كالممسوس؛ هناك من دخل بيته في غيابه بالتأكيد ليفتح النافذة؛ لأن نادر لم يسمعها تتحطم، فتوقع أن القاتل حضر إلى منزله، وفتح النافذة فتحة صغيرة تسمح له برؤية جزء من حائط إنجازات نادر، وصوّب إليه، أي الحائط، من مكان بعيد،

بندقيته القاتلة، ناصبًا الفخ، الذي كُتِبَ منذ سنوات، وقُرِئ مُنذ ساعات، للذي كتبه، وقرأه.

الروائي الأكثر مبيعًا يحيا كابوسًا خلقه خياله.

ما أنقذه أنه أدرك، قبل جزء من الثانية، أنه يخطو إلى فخّه المنصوب له بإحكام، فجفل، وتحرك بسرعة، لتُخطئ الرصاصة القاتلة مؤخرة رأسه وتحتك فقط بأعلى أذنه اليُمنى، وبجزء من رأسه.

حرّك نادر يده، وتحسس المكان الذي يحرقه بإصرار كضمير المؤمن. تألّم كثيرًا، وعادت له كفّه مُغطاة باللون الأحمر القاني؛ ما زال ينزف، لا بُد من طلب المُساعدة، وضع كفَّيه على الأرض ليدفع نفسه للنهوض؛ فأعاد الغراب تحذيره، ولكن بصوت هامس هذه المرة، فتأكد نادر أن عقله الباطن هو ما كان ينعق، مُحذِّرًا صاحبه من خطر مُحدق لم يلتفت له وعيه بعد، ولكن مم يُحذِّره هذه المرة؟! سرت إجابة السؤال في جسده كتيار كهربائي نفضه وأعاده ليلتصق بالأرض مُتجاهلًا ألمه ونزيفه، فعندما تكون الحياة على المحك؛ يمكن احتمال كل شيء.

نصب القاتل فخًّا لا عيب فيه سوى أنه نصبه لخالقه، ولكن نجاة نادر من الرصاصة لا تعني بالضرورة نجاته من محاولة القتل، هذا ما كان ينعق عقله الباطن مُحذِّرًا صاحبه منه،

فالقاتل ذهب بعيدًا جدًّا ليُنفِّذ جريمته بالضبط كما جاءت في رواية (**العاقِبة**)، وهذا لا يعني بالضرورة أنه سيُكمِل تنفيذ النص بحذافيره، ولكن احتمالية أن يفعل كبيرة جدًّا. فقرر نادر ألّا يُخاطر، وأن يفترض أن القاتل سيُنفِّذ المُهمة لآخرها كما جاءت في كتابه، فليس هناك ما يخسره إذا احتاط.

نظر نادر بأقل حركة ممكنة خلفه، وتأكد مما كان يعلمه، ولكن الحذر والخوف فرضا عليه أن يتأكد، وهو أنه في وضعه الراقد هذا مخفي تمامًا عن النافذة خلف المكتب؛ مما يعني أن القاتل لا يمكنه رؤية جسد نادر الذي يتحرّك.

«فكِّر. صفِّ ذهنك، وفكِّر».

استجاب عقله وبدأ يعمل، فلا يُوجَد حافز لأي كائن حيّ أقوى مفعولًا من النجاة من الموت.

أطلق القاتل رصاصته، فأصابته في أذنه، واحتكّت بجدار رأسه، ولكن هذا يستحيل تقريبًا مُلاحظته عبر عدسة القاتل، ولكنه وارد. إذن، فهناك احتمال أن يكون القاتل على علم بنجاة نادر؟ فكَّر نادر للحظات، ثم قال: لا؛ ببساطة لأن القاتل إذا شكّ في نجاة نادر كان سيأتي مُسرعًا لإتمام مُهمّته، ما كان ليصبُر كل هذا الوقت، الذي قدّره الأخير بعد النظر لساعة الحائط بثلث ساعة تقريبًا، وهي المدة التي غابها عن الوعي. يُمكن أن يكون قد شكّ في نجاة نادر، وهرب خوفًا

من إبلاغ الأخير الشرطة. هذا أيضًا وارد.

شعر برأسه يكاد ينفجر من الألم، لا ينقص رأسه التفكير أيضًا، يكفيه الجرح الذي لا يعلم مدى عمقه، واصطدام جبهته بالحائط بعد أن أصابته الرصاصة؛ ما سبّبَ فقدانه للوعي.

شَعَر وكأنه أرنب بري في جحر ضيق، وخارجه يتربّص مفترس جائع يشم رائحة دمائه الطازجة. عادت لنادر مشاعر الخوف التي خنقته عندما كان طالبًا في المدرسة الابتدائية، تذكَّر اليوم الذي استفز فيه بسبب سرعة غضبه أقوى طالب في فصله، وقضى المتبقي من ساعات اليوم الدراسي في لعبة غميضة كان يلعبها وحده، ولكن كان الخوف بديلًا للمرح المصاحب المُعتاد للعب.

نفض نادر عن رأسه الذكريات ليعود ليومه، فلا حاجة له للمزيد من الخوف الذي يأتي معها؛ عنده الآن منه رصيد يكفيه لشهور. أخذ شهيقًا عميقًا، وحاول وهو يزفره على مهل تجاهُل الألم، وعاد للتفكير، هذا هو سلاح ردعه الوحيد الآن؛ أغلب الظن أن القاتل رأى رأسه يصطدم بالحائط، تاركًا بقعة دماء فجّرتها الرصاصة التي جرحت رأسه، وهذا يعني أن القاتل بنسبة كبيرة يظُن أنه أتم مُهمّته، ولكن إذا أراد القاتل، وهذا ما قرر نادر افتراضه، أن يكمل عمله

لنهايته حسبما جاء في الكتاب، فهو الآن جالس حيث أطلق الرصاصة، يراقب في صبر؛ حتى يطمئن لخلوّ الطريق من المارة، ثم سيأتي إلى الشقة ليرسل رسائل لداليدا تفيد بسفر نادر لحاجته إلى إجازة.

ارتعد جسد نادر رغمًا عنه عند هذا الحد، نعم، سيأتي القاتل إلى هنا، وعند أي مُحاولة للهروب، ولو حتى زحفًا عبر الباب المكشوف من النافذة، سيطلق الأخير رصاصة أخرى، غالبًا ستنجح فيما فشلت فيه الأولى.

حسد نادر الأرنب على جحره الآمن.

عَلَت أنفاس نادر، بدأ توتُّره يشلّ تفكيره، بدا وكأنه على وشك الغرق في نوبة فزع، لم يختبر إحداها من قبل، ولكنه قرأ عنها عندما كان يكتب رواية تصيب بطلها نوباتها كثيرًا. نعم، هذه هي مُقدمات النوبة كما قرأ عنها، عرق غزير، ارتفاع وتيرة الأنفاس، وتسارُع نبضات القلب، وارتعاش الأطراف. ولكنه قرأ أيضًا عن كيفية الخروج منها، أي نوبات الهلع؛ فبدأ بتقبُّل خوفه، وتعامل معه كمُحفّز للدفاع عن النفس، ثم أغلق عينيه، وحاول أن يتذكر أسعد ذكرياته، وهو أسلوب ينجح كثيرًا، إذا استطاع الهالع أن ينفذه، وبالطبع فشل نادر في استدعاء أي شيء لخياله لا يتضمن القتل أو المطاردة أو الخوف، فتجاهل هذه الخطوة وحاول السيطرة على أنفاسه،

شهق لمدة خمس ثوانٍ، ثم كتم نفَسه لثانية واحدة ثم زفر، وأعاد الكرّة مع مضاعفة الثانية التي حبس خلالها أنفاسه. شعر بدقات قلبه تستجيب وتهدأ؛ فاعتبرها أول خطوة ناجحة على طريق النجاة.

حاول أن يتفاءل بالخير؛ لعلّه يجده.

بعد دقيقة من الهدوء والاسترخاء المُريح الذي احتاج له نادر بشدّة قرر أن يكون مُستعدًّا لكل الاحتمالات، وافترض أن أسوأها هو ما سيقع بالفعل. ما طمأنه قليلًا هو أنه لا يشعر بضعف عام في جسده، والذي كان سيعني أن مُعدل فقدانه للدم خطير. إذن، فلا خطورة مباشرة من الانتظار.

رنّ هاتفه المحمول في مكانه على مكتبه، انتفض عندما دوى الصوت غير المتوقع، أعاد السيطرة على أنفاسه، فكّر؛ يُمكن أن يكون القاتل، هل شكّ في دقة إصابته؟ فيحاول أن يستدرج فريسته لفخ لن يقع فيه هاوٍ بنصف عقل! أيًّا كان شخص المُتصل، لا يمكن المُخاطرة بالتحرك، وإلا كان تحرّك قبل أن يعلن الهاتف عن وجوده، فهو لم ينسَ أنه يملك هاتفًا.

الصبر هو سبيل النجاح الوحيد في لعبة الصيد.

شعر نادر بأجفانه تثقُل ففزع؛ لا يُمكن أن يغفل، النوم هنا يعني الموت الحتمي. رفع رأسه عن الأرض وقرر عدم إراحة

جسده بالشكل الذي يؤدي إلى الاسترخاء؛ فلا يمكن أن يسقط في النوم. كانت فرصة بقائه على قيد الحياة الوحيدة هي أن يتمكّن في الوقت المناسب من تحويل فخه الواقع هو فيه، إلى فخ غير متوَقّع لصائده، وهذا يعتمد كل الاعتماد على انتباهه واستعداده وسرعة تحرُّكه في لحظات لن تطول.

(16)

نبح كلب من مكان بعيد، فانتفضت داليدا انتفاضة تسبّبت في سكب بعض القطرات من مشروب النعناع المُهدئ، الذي أعدّته لها حنان ليعينها على ما تسمع، على ملابسها. لم تهتم. لم تُدرك داليدا شدّة تأثير القصة التي تسمعها عليها إلا عندما خدش نباح الكلب فُقاعة الإنكار التي غلّفتها؛ كانت تسمع قصة تعرُّض نادر لمحاولة اغتيال منه، وكأنها تسمع قصة ينوي كتابتها، وكأنها شيء بعيد، لم يحدث هنا على بُعد خطوات منها في نفس الشقة التي تجلس فيها الآن.

كانت تنصت لرجل تعرفه، ولكنه يرتدي قناعًا غريبًا، وتحيط ملامحه هالة من سُكر ملأه بسعادة مغرورة مجنونة، وكأنه قضى على شرور العالم كلها.

نظرت نحو حنان؛ طلبًا للمُساعدة ربما، أو بحثًا عن نهاية القصة، لا تعلم، ولكنها عَلِمت أنها لا ترغب في معرفة البقية، تمنّت لو أنها تستطيع أن تعود إلى غرفتها قبل لحظة ردّها على الهاتف، وإغلاقه قبل أن يرنّ، ليس تخاذُلًا عن مساعدة نجمها، ولكن لأن ما كان يُروَى لها كان يفوق قُدرتها على التحمُّل.

كان الانفعال يملأ نادر، وكان ملحوظًا دون عناء، شَعَرَتْ به

يغلي؛ من فرط الأدرينالين الذي يسري عبر عروقه. أطرافه ترتعش. لا يستطيع أن يجلس بثبات، وكأنه امتلأ بما لا يستطيع احتواءه.

أشفقت، وخافت عليه، وربما منه.

شربت ثلث كوبها في رشفة واحدة؛ لعلّه يُهدّئها وتنهّدت بعمق، فشرع نادر يكمل حكايته، التي قطعها نباح الكلب.

(17)

حاصرت نادر الأسئلة في دائرة مجنونة، صوّرها له خياله كرجال قبيلة تأكل لحوم البشر، يرقصون حوله في طقس خبيث مُمَهِّد لطهيه، ومن ثَم التهامه. «الخوف يجعل طعم لحم البشر ألذ»؛ فسّر خياله الطقس السخيف بتفسير أسخف منه. لا يمكن كبح جماح خيال نادر عبد القادر. كان يعلم هذا. ويعلم أيضًا أن الأدرينالين يثير خياله. سمع طبولًا تُقرَع، والأسئلة تصرخ من حوله: «**مَن هذا؟ مَن يرغب في قتلي لدرجة قيامه بالمحاولة؟**» كلنا نرغب في قتل بعض الناس، ولكننا لا نفعل. «**مَن سيبذل كل هذا المجهود ليقتلني بطريقة، كتبتها فقط لإثارة القارئ، وأنا أعلم أنه لا يُوجَد قاتل حقيقي على وجه الأرض سيفكر في تنفيذها! إذا أراد أحدهم قتلي؛ فلماذا لم يقتلني بأسهل الطرق وأسرعها؟**» قفز خيال نادر، تاركًا صخب طقوس الطهي، إلى فيديو «أسهل الطُّرق لقتل نادر عبد القادر» على منصّة اليوتيوب. خياله خرج عن السيطرة! رأى نفسه يسخر من القاتل، ويشرح سُبل قتل نادر بأسهل الطُّرق، وأنجحها. السم: يعلم أن القاتل قد دخل مكتبه هذا ليفتح الستائر والنافذة، فلماذا لم يدس له السم؟ «**وما أدراك أنه لم يفعل يا فالح؟ كخطة بديلة!**» سخر من نفسه، زحفت برودة قاسية على عموده

الفقري، عاد صوت الطبول، ها هو سؤال أقسى من كل ما سبقه.

كان صوت الطبول يسير بوتيرة غير التي كان يتوقعها، وكأنه يتزامن مع لحن غير هذا الذي تفرضه الأسئلة المجنونة، آتٍ، أي اللحن، من بعيد. ركّز ليحاول تبيُّنه، صوت نعيق غطّى على النغمة التي راوغته كالدخان كُلّما كان على وشك الإمساك بها. أجبر نفسه على الهدوء، حاول السيطرة على خياله للحظات يعلم أنها ستكفيه ليسمع الصوت، الذي شَعَر أن حياته تعتمد على سماعه.

استجاب خياله، بدأ صوت بعيد يقترب، أحدهم يُصفّر لحنٌ عذب:

«الدنيا ريشة في هوا».

انتفض من مكانه في نفس اللحظة التي زال فيها ضباب عقله وأدرك أن قاتله قد جاء ليُكمِل مهمّته، وأنه الآن خارج باب شقته. لا وقت. يعلم أن أي مواجهة جسدية بينه وبين القاتل ستنتهي بمقتله. فوضع خطته، التي أعدّها في رقدته، في وضع التنفيذ فورًا، لا مجال للتردد أو الفشل؛ حياته على المحك.

نفّذ الخطوات التي رسمها، وأعادها أكثر من مرة ليمنع كل

احتمالات الفشل، في خياله؛ انتصب واقفًا، ودون صوت، على أطراف أصابعه دار حول مكتبه، التقط هاتفه وأغلق صوته، وبيده الأخرى فتح درج مكتبه الأخير، والتقط صاعق الكهرباء الذي جاءه هديةً من صديق، وتمنّى أن يعمل، فحياته الآن تعتمد عليه. أغلق الدرج ببطء. صوت الصفير يقترب، القاتل على باب الشقة بالفعل، تحرّك بأقصى سرعة يسمح بها تحرُّكه الصامت. وخرج من المكتب، واختبأ إلى جوار باب المطبخ. جسده يرتعش. الصفير انقطع، شَعَر نادر بهواء الشقة يتوتر، فسّرَه بأن باب الشقة فُتِح، وأُغلِق مُجددًا، ولكنه لم يسمع صوتًا يؤكد تفسيره. حاول نادر التحكم في ارتعاش جسده، وأن يُهيئ نفسه للحظة التي سيظهر فيها القاتل أمامه مُتجهًا نحو المكتب موليًا له ظهره. اللحظة التي سيصعقه فيها في ظهره في أقرب نقطة إلى قلبه، ليتأكد من شلّ حركته.

تجمّع صمت العالم كله في طُرقة المنزل، لدرجة شعر عندها نادر أن لا صوت يمكنه خدش كل هذا الصمت، وكأنه في الفضاء، وسيطفو في أي لحظة الآن. لا شيء يتحرّك. يعلم أن القاتل هناك خلف هذا الحائط الذي يفصله عنه، يشعر به.

الأرنب في جحره غير الآمن لا يشم ولا يرى المفترس، ولكنه يعلم بوجوده، خط دفاع غريزي خلقه له الله ليساعده

على البقاء.

شعر نادر بوجود غير أرضي يضغط على هواء الشقة ويزيحه في اتجاهه. التصق لا إراديًا بالحائط، وكأن الفراغ من حوله يضيق، وكأن وجود القاتل يحتاج لفراغ حوله أكبر مما يملؤه جسده المادي؛ كهالة شريرة تُحيط به.

صدرت حركة، شيء ما تحرّك خلف الحائط الذي التصق به نادر وكأنه طوق نجاته، حبس أنفاسه، أغلق عينيه، وشعر بقلبه يتوقف عن النبض، وكأن جسده يعطي الأولوية لحاسة السمع. ثم حدث الأمر، ليس تدريجيًا كانقشاع شبورة الفجر، بل فجأة كخدعة بصرية، أصبح نادر يرى خلف الحائط؛ كان عقله يترجم الأصوات، وينقلها لوعيه في شكل صورة، حدث اتصال من نوع غريب، شَعَر نادر وكأنه هو الذي يقف خلف الجدار، وكأن الحائط تحوّل لمرآة، رأى القاتل واقفًا على بُعْد خطوة منه، مُستنِدًا لنفس الحائط الذي يحمي، نظريًا، نادر، وشَعَر القاتل بشيء حيّ خلف الحائط إلى جواره، تلصّص نادر في حالة الثبات هذه على أفكار الزائر؛ نادر عبد القادر حيّ، يتربص خلف هذا الحائط.

المفترس أيضًا يمتلك أسلحته، وغريزته التي قلّما تُخطئ؛ مَن اعتاد الوجود في مواقف خطرة، ينتبه جسده للإشارات التي لا يمكن أن ننتبه لها في الظروف العادية.

أدرك القاتل أن مواجهة فريسته الآن هي معركة لم يختَرها، ولم يستعد لها؛ فقرر أن ينسحب منها، رآه نادر في خياله يحسم أمره، وينسحب، دون أن يعطي ظهره للشقة، رآه يفتح باب الشقة، وشعر بهوائها يتحرك، وسمع بابها يُغلَق خلفه بصوت بالكاد مسموع.

وهنا فقط تنفس نادر بشكل طبيعي لأول مرة منذ أطلق هذا الشبح عليه رصاصة فشلت في قتله.

(18)

شَعَر حازم بثقل أجفانه، وبعدم تذكُّره لمعظم ما قرأه في آخر صفحة من الرواية التي كادت تسقط على صدره. وضع فاصلة الصفحات قبل الصفحة التي أمامه، وأغلق الرواية، ووضعها إلى جواره. نقر على شاشة هاتفه المحمول ليُضيء، ليكتشف أن الساعة قد تخطّت الثالثة فجرًا، فقرر أن يتوضأ ويُصلّي ركعتين بِنيّة قيام الليل قبل أذان الفجر، ولكن جسده حاول إثناءه، وإغراءه بالنوم. ومن بعيد نبح كلب، وأذَّن ديك في غير موعده، وبدوَا له كجوقة مُشجعة تُحفّزه لينهض ويدعو الله أن يدبّر له أمره الذي لا يُحسن تدبيره. ابتسم ورفع يديه ليُسكِت أصوات جمهوره الغريب، والغريب أن جمهوره صمت؛ كان خياله خصبًا، ودائمًا ما يُغرِقه في خيالات مثل هذه، وكان يستمتع بمجاراته، وتدليله.

في طريقه لباب الغرفة ابتسم لمُجسم حجري لرأسه وكتفيه هو، أكبر من كف اليد الواحدة بقليل، منحوت بدقة، موضوع في وسط رف خشبي، مثَّل مع أربعة مثله مكتبة امتلأت بالروايات.

خرج حازم من غرفته بهدوء؛ حتى لا يوقِظ والدته.

- أنت لسة صاحي يا ابني.

- غفِّلت وأنا قاعد، بس قلقت، قمت أصلِّي.

- ربنا يرضيك ويرضى عنك ويجعل دُعايا من نصيبك وأشوفك وزير داخلية قد الدنيا.

- ادعي لي بالرزق والرضا. قال حازم في طريقه للحمّام. مش لازم تحددي فين بالظبط.

- ما لكش دعوة أنت. وصله صوتها من الصالة. تتجوز وتجيب لي عيلين يملوا عليَّ البيت، وبعدها اكتب وألِّف واعمل اللي نفسك فيه.

خرج حازم من الحمام غارقًا في ماء الوضوء؛ ليهدئ من حرارة جسده، وقال:

- دي رواية واحدة تضرب وتتعمل فيلم يا كوكي، بمرتبي سنين في الخدمة.

- يفتح الله. قالت مازجة المزاح بالجد. أبوك فضل عمره كله يقول كده، وأهو مشي وما سابش وراه غير شوية أصنام.

ضحك حازم رغمًا عنه، وقال:

- حرام عليكِ يا شيخة، ده كان نحّات إيده تتلف في حرير، الله يرحمه.

- الله يرحمنا جميعًا يا أخويا.

- ما حدش بياخد غير نصيبه. قال حازم لينهي النقاش المتكرر. أنا هادخل أصلِّي وأنام. تصبحي على خير يا ست الكُل.

أنعش هواء المروحة حازم في غرفته عند اصطدامه بالماء الذي لم يجففه من على جسده. أغلق باب الغرفة، وشرع يُصلّي بخشوع أمام المروحة التي ثبّتها على مكانه. دعا ربه في سجدته الأولى بالصحة والعافية لوالدته، وبالرحمة لوالده، ودعا لنفسه بوفرة الرزق، والنجاح، والتوفيق، والسداد، وحُسن الخاتمة. وفي سجدته الثانية طلب، بخشوع، من ربه إشارة تُنير له بصيرة ضبابية بفعل التردد.

لم يكُن ذكاء حازم المُميَّز في حل القضايا هو أفضل مميزاته، بل كان خياله. عاش طويلًا دون أن يُدرِك أن له موهبة لا يجود بها الخالق إلا على قلّة من عباده، حتى جاء يوم لن ينساه، منذ سنوات خمس، حيث نسي صديق له رواية على مكتبه، وأوصاه عبر الهاتف، بعد أن اكتشف نسيانها، أن يحافظ عليها حتى يُعِيدها له في أقرب لقاء لهما، فاحتفظ بها معه.

كانت ليلة خريفية ساحرة تليق بالأحلام، وهَيّأ الله فيها كل الظروف، من ملل، وكسل، وفضول، وأرق، حتى يَدفع

عبده دفعًا نحو فتح أول رواية يقرؤها في حياته، فقبل هذه الليلة، لم تستهوِ القراءة حازم، وكانت هواياته رياضية في الأساس. بدأ حازم، بلا أي نيّة في القراءة، مُطالعة الرواية قبل منتصف الليل؛ ليكتشف والشمس تتسلل لاستعادة عرشها المسلوب أنه انتهى من قراءة ما يزيد على ثلثَي الصفحات. ما أذهله أنه برغم عدم قدرته على إبقاء عينيه مفتوحتين لم يتمكّن من التخلُّص من الرغبة في إكمالها، وهو ما حدث في اليوم التالي. ومنذ هذا اليوم، ولا يمر يوم واحد على حازم الشريف، دون قراءة، ولو صفحات قليلة في رواية ما، إذا ما ضاق به الوقت، وكثر العمل.

كانت هذه الرواية هي رواية **(الحبر)** للروائي نادر عبد القادر، فبرغم عيوبه الكثيرة بصفته روائيًّا من وجهة نظر حازم، فإنه رُزِق خيالًا وموهبة جعلا منه قلمًا استثنائيًّا.

بعد هذا اليوم بسنتين أعلن خيال حازم الخصب عن نفسه لأول مرة، عندما انفجرت منه قصة قصيرة على الورق، تلك القصة التي عندما أعاد قراءتها في صباح اليوم التالي، لم يُصدِّق أنه هو مَن كتبها.

استمر حازم، إلى جانب عمله، في القراءة كل يوم، والكتابة كلما أمر خياله، ولكنه لم يُعلِن عن موهبته لأحد، إلا رجل واحد تعرَّف إليه على صفحة قراءة على الفيسبوك، ولم

يصارحه بأن هو مَن كتبها؛ حيث إن عمله ضابط شرطة يمنعه من ممارسة أي عمل آخر في أثناء الخدمة. ولكنه كان يُفكّر كثيرًا في كيفية التربُّح من وراء الكتابة، لا سيّما بعد انخفاض دخل البيت بعد وفاة والده، وزيادة الأسعار الجنونية.

قرأ كثيرًا عن فن كتابة الرواية، والقصة القصيرة، وتعلَّم كتابة السيناريو، والأفلام القصيرة، وأصبح في السنوات الثلاث الأخيرة يملك رصيدًا لا بأس به من أفكار الروايات، ومُعالجات الأفلام والمسلسلات، والأفلام القصيرة المكتوبة باحتراف، محفوظة في درج مكتبه المُغلق دائمًا، والذي كان يسمعها أحيانًا في نومه تثور طلبًا للحرية.

وما لم يعرفه حازم ليلتها، أنه في أثناء دعائه الخاشع في سجوده، كانت أبواب السماء مفتوحة على مصراعيها.

(19)

اعتاد نادر أن يقف خلف زجاج مكتبه كل يوم بعد أذان الفجر، ليراقب ميلاد اليوم الجديد، في مشهد متكرر لا يفقد سحره. كان يتفاءل برؤية ابنة البوّاب الجميلة وهي تخرج كل يوم لجلب إفطار لا يتغيّر؛ العيش البلدي، والفول، والطعمية. ويحسد جارًا مُسِنًّا له يستيقظ كل صباح مع أذان الفجر، فيذهب ليُصلِّي في الجامع، ثم يعود ليصطحب كلبه في جولة صباحية مُنعشة لكليهما.

ولكنّه اليوم شَعَر أن حياته التي كان يبدأ فيها يومه بالوقوف خلف زجاج مكتبه قد انتهت. شَعَر، وكان في هذا مثله مثل حنان وداليدا، أن الندوة التي مَر عليها ساعات فقط، كانت في حياة أخرى، بعيدة جدًّا عن هنا، وعن الآن.

اكتفى نادر بتخيّل ميلاد اليوم من مكانه في صالة شقته؛ حيث أصبح الوقوف في الشباك خطيرًا. كان قد استحم، وغسل دماءه، وارتدى ملابس رياضية نظيفة، وترك لحنان جروحه لتُنظفها، فهي تخرجت في كلية الصيدلة وتعرف ما تفعل.

عادت داليدا للجلوس في الصالة، بعد إنهائها مكالمة هاتفية، بجوار شباك غرفة النوم الإضافية؛ بسبب ضعف

شبكة المحمول في الصالة، تنفّست بعدها الصعداء لدى عودتها إلى الداخل بعيدًا عن الشباك، بالرغم من ظلام الغرفة، وستائرها الغامقة، ولكنها أطلَّت على نفس الواجهة التي أتت منها رصاصة الغدر منذ ساعات، على عكس صالة المنزل التي كانت تطل على شارع جانبي.

كان نادر غارقًا في أفكاره، وتابع قدمَي داليدا في داخل حذائها وهي تسير بها فوق سجادته، وفكّر أن عليه تنظيف الشقة في أسرع وقت، فهو عادةً لا يسمح أبدًا لأي أحد أن يدخل شقته منتعلًا حذاءه، ثم تذكَّر أن ضيوفًا ضروريين، غير مرغوب فيهم، سيأتون إلى هنا، بعد إصرار داليدا وحنان على إبلاغ الشرطة، وأنه لن يستطيع مطالبتهم بخلع أحذيتهم عند باب الشقة كما يفعل عادةً مع ضيوفه. وعند تذكُّره للضيوف غير المرغوب فيهم، نظر لداليدا متسائلًا دون كلام.

- كلّمت كذا حد. أجابت داليدا. ووعودني الموضوع يتم بأقل قدر من الإزعاج. ما حدّش من الجيران هيحسّ بحاجة.

هز رأسه شاكرًا، وتنهّد بعمق.

لا يحب نادر أن يكون في موقف خارج عن سيطرته، ولكن ما باليد حيلة.

(20)

ركن النقيب حازم سيارة والده القديمة على بُعد شارعين من وجهته، ومرَّ في سيره نحوها ببوّاب عمارة غسل، من فرط تبذيره في استخدام الماء، الشارع كله، بدلًا من غسل فقط السيارة التي كان يقوم بتجفيفها الآن، نظر الرجل لحازم بنظرة شك تليق بأمين مباحث متمرس، وله كل الحق في هذا، فمشهد سير رجل غريب، في وقت أغرب، حتمًا يثير الشكوك، ولكن مرأى سلاح حازم (الميري) عند اقترابه أزال شكوك الرجل، وأزاله هو نفسه من طريق الضابط.

استغل حازم الدقيقة التي احتاج لها ليصل سيرًا لمنزل نادر في تذكُّر اتصال رئيسه به، وطلبه منه أن يذهب لهذا العنوان ليقابل «رجلًا مشهورًا اسمه نادر عبد القادر»؛ ليُقيِّم الوضع، ويتأكد من سلامة الرجل، ويطلب ما يحتاج إليه من رجال الطب الشرعي وخلافه، ولكن بتنسيق يضمن وجود شخص واحد فقط بخلاف حازم في مسرح الحدث، وأوصاه ألا يشعر أيٌّ من سكان المنطقة بأي شيء ما لم تكُن هناك ضرورة لذلك.

طلب حازم فجرًا إشارة من ربه ونام، وأيقظه بعدها بقليل هذا الاتصال، لا مُصادفة هنا.

عادت الإثارة التي سرت في جسد حازم عند سماعه اسم الروائي لأول مرة على لسان رئيسه تسري فيه وهو ينعطف إلى الشارع الذي يسكنه نادر؛ فهو الشخص الذي أمسك بيد القارئ الوليد في حازم لأول مرة، وأدخله العالم السحري المخلوق من كلمات. ولكنه أيضًا الرجل الذي لطالما أظهر رجال المباحث في صورة الفاسدين المُستغلِّين لسُلطتهم. وأخيرًا، هو الكاتب الذي يراه الكاتب المبتدئ في حازم مُبالغًا في تقديره لأقصى حد. قدَّم نادر من وجهة نظر حازم أعمالًا كالوجبات التي تُقدِّمها مطاعم الأكل السريع؛ فهي تضُر، وتصيب بالغثيان بعد الأكل، ومصنوعة من عناصر صناعية ومزيّفة، وتعتمد على الدعاية التي تصوِّرها وكأنها طعام الجنة. ولكن يبقى طعمها مميّزًا، وبها ما يجعلك تعود طالبًا للمزيد.

استمتع حازم بقراءة ما كتبه نادر، فالرجل يملك خيالًا استثنائيًا، ولكنه كره طريقة عرض موضوعاته، وشرّه المدسوس.

باختصار، نشأ ارتباط مُعقد كالإدمان، بين القارئ حازم، والروائي الأكثر مبيعًا.

وكان هذا الارتباط على وشك أن يُؤخَذ الآن لمستواه التالي.

(21)

خرج حازم، الذي ارتدى جينزًا أزرق وقميصًا رماديًا، من المصعد، الذي عاد ليعمل بشكل طبيعي؛ مما يؤكد نظرية أنه تعطّل فقط كإشارة لنادر حتى لا يصعد للسقوط في الفخ، ولكنها مُجرد إشارات، لا تتدخل، ولا تفصح عن سبب، ولا تمنع قدرًا. أخرج زفيرًا قويًا، أنهى به لحظات من التنفس بعمق ساعده على الاسترخاء، ودق جرس الباب.

أول مَن رأى حازم كانت فتاة يمكن اعتبارها في حالتها هذه نموذجًا لجملة «الجمال يكفي»؛ كانت ملامحها مُرهَقة تفتقر إلى النوم، وملابسها عادية جدًا، وشعرها منفوش عصي على التهذيب، ولكنها جميلة جمالًا قفز بنسبة حسده على نادر لمعدل لم يتصوّر أن يصل إليه قبل حتى أن يراه. ابتسم حازم، وبالرغم من رغبته، فإنه لم يمد يده ليُسلِّم على داليدا، كعادته عند مقابلة النساء، حيث ينتظرهن ليبدأن بالسلام. خاب أمله، وأرجع عدم مدها يدها لتُسلِّم عليه إلى الظرف الاستثنائي الذي هم بصدده. ثم ظهرت حنان، بجاذبية غارقة في جمال هادئ، على عكس جمال داليدا الصارخ خاطف الأبصار.

- اتفضل. داليدا. قدّمت نفسها، وأشارت له بالدخول، فامتثل. حنان. قالت داليدا مُقدِّمة صاحبة الجمال الهادئ،

فأومأ لها بود، ثم رآه.

قام نادر من مجلسه ليستقبل حازم، أمسك نفسه عن النظر لحذائه الذي ينتهك سجادته، التي كان قد بدأ يلاحظ آثار حذائَي حنان وداليدا عليها، ولم يجد عليها، برغم بحثه، أي أثر لحذاء الغريب؛ خاف أن يُفسّر حازم نظره لحذائه كإهانة؛ فتجنّبه. وابتسم بود ومد يده ليُسلّم.

- نادر. قدّم نفسه.

- غني عن التعريف. حازم.

أول ما لاحظه نادر على محيا حازم هو نظرة الافتتان التي اعتادها على ملامح مَن يقابل رجلًا مشهورًا، ولكن شابها شيء آخر لم يستطِع تفسيره.

- تحب تشرب إيه؟ سألته حنان وهو يجلس امتثالًا لدعوة نادر.

- قهوة مانو من فضلك. أجاب وهو يُعرِّج بنظره نحو داليدا، التي جلست وعلامات القلق تكاد تظهر كهالة حولها.

- خلّيكِ يا حنان. قال نادر وهو يقوم. أنا كمان عاوز قهوة، هاعمل أنا.

- طب ما تخلّيك...

- أنتِ عارفة. قاطعها باسمًا. أنا مش باشرب قهوة غير اللي أنا باعملها.

عرض نادر على حازم أن يرافقه إلى المطبخ عندما شعر أنه لا يعرف ما يتوجب عليه فِعله بين البقاء في الصالة وبين مرافقته؛ فقبل حازم وتبعه وهو يتفرّج على الشقة بأقل قدرٍ ممكن من التحديق.

(22)

كان نادر -برغم شحوبه، وتعبه الواضح، وخوفه المخفي جيّدًا خلف قناع يُجيد كل مَن اعتاد مواجهة الجمهور إظهاره- يُعِد القهوة بنشاط يشبه نشاط العصافير التي تملأ زقزقتها الشقة بسلامٍ مُطمئِن، مسح آثار التهديد التي ملأت المكان قبل ساعات.

لاحظ حازم أن نادر يستخدم مضرب النسكافيه الذي يدور بسرعة عالية ليخلط البُن في كنكته، والبُن والسكر في كنكة قهوة حازم، ولكنه كان يمسك الذراع المعدنية؛ ليُبطئ حركته لتتناسب مع حجم الوعاء النحاسي الصغير مقارنةً بكوب النسكافيه الذي صُنِع هذا المضرب من أجله.

انتهى نادر من التحضير، وأشعل النار، ووضع القهوة عليها، ثم أخذ وعاءً بلاستيكيًا مليئًا بالأرز، وزجاجة ماء، واستأذن حازم، وغاب لنصف دقيقة، عاد بعدها بالوعاء وقد فقد نصف حمولته، وبالزجاجة فارغة.

- نسيت أحُط لهم رز ومية من بالليل زي ما متعود. قال نادر وهو يُعيد الوعاء لمكانه. فعقد حازم حاجبيه.

- العصافير. فسّر نادر. دايمًا باحط لهم أكل على التكييف برة. لو نسيت بيصحّوني. وابتسم ابتسامة مُنهَكة، فهزّ حازم

رأسه متفهِّمًا.

- إمبارح الصبح. قال نادر بعد دقيقة صمت. لو كان حد قال لي إني هيتضرب عليّ نار، كنت لا يمكن أصدق.

- نار! سأل حازم، وقد انتبه بكامله، وهو ينظر إلى جرح نادر المُضمَّد.

- القهوة تخلص. قال نادر وهو يُقلِّب بملعقة صغيرة وعاءَ القهوة على النار الهادئة. ونطلع نقعد وأحكي لك كل حاجة.

- تمام. وافق حازم، ثم أكمل ليُبقي على الحوار قائمًا:

- وأنا كمان. لو حد كان قال لي إمبارح إن نادر عبد القادر هيعمل لي قهوة النهار ده الصبح، كنت قلت عليه مجنون.

- أي خدمة يا حازم بيه. مزح نادر باسمًا. يا ترى قريت لي حاجة؟ تحديدًا رواية **(العاقِبة)**؟ ثم وضّح قبل أن يُجيب حازم:

- ده مش سؤال كاتب بيطمّن على جماهيريته، ده له علاقة باللي حصل هنا.

- بصراحة لأ. كذب حازم، ثم أكمل وقد شَعَر أن عليه أن يبرر كلامه؛ كعادة مَن يكذب:

- أصل أنا ما ليش في القراية أوي.

لم يعرف تحديدًا لماذا كذب، غالبًا لأنه أراد أن يحرم نادر من متعة شعوره بالتفوّق، أراد أن يحرمه من أهم ما يميّزه؛ ليكونا متساويين. لم يكُن متأكدًا من السبب، ولكنه كان متأكدًا من أن نظرة الحسرة، التي مرت سريعًا على ملامح نادر وهو يصُب له قهوته، أسعدته.

(23)

دخل حازم غرفة المكتب المُظلمة بسبب إسدال الستائر؛ ليتفحّص مسرح الجريمة بعد أن سمع الحكاية كاملةً من نادر. خطف الحائط المجاور لحائط إنجازات الأخير بصره، الحائط المواجه للمرآة، على يسار المكتب المواجه لباب الغرفة، حيث احتلّت مكتبة نادر عبد القادر الحائط بالكامل. اقترب بهدوء خاشع. أبهره عدد الكتب وترتيبها. حائط بأكمله أشبه بمغارة علي بابا لأي قارئ. رفوف منفصلة، مُثبَّتة في الحائط بتناسق جميل، تحمل روايات وكتبًا مُرتبّة بشكل لم يرَه من قبل. كتب نائمة على الرفوف باطمئنان وكأنها تشعر بالانتماء، كل مجموعة روايات لكاتب فوق بعضها بشكل متساوٍ، وفوقها مجموعة أخرى لكاتب آخر بشكل متساوٍ أيضًا، ولكنها كمجموعة زُحزِحت قليلًا إلى اليمين أو اليسار كفاصل بين كل مؤلِّف وآخر، وبين كل مجموعة كتب نائمة وأخرى، وقفت مجموعة إصدارات لكُتَّاب متنوّعين ممن ليس لهم الكثير من الأعمال. فبدت المكتبة كمجموعات منفصلة ينقصها الترتيب، ولكنها، إذا ما نُظِر إليها نظرة شاملة، تُشكِّل كلها لوحة فُسيفساء حيّة تخطف الأبصار، تُغيِّر قطعها مواضعها كلما نظرت بعيدًا.

احترم نادر، لحظة أو لحظات، صمت حازم، وتركه يمتص

قدر استطاعته من الجمال الذي كان يعلم أن مكتبته تملكه.

منع حس الشُّرطي حازم من لمس أي شيء، بالرغم من رغبته الشديدة في لمس الكتب، بل وامتلاك المكتبة برمتها. نظر يسارًا حيث مكتب نادر وجهاز الكمبيوتر النائم فوقه.

«هنا يُخلَق عالم نادر عبد القادر السحري».

رفع نظره للنافذة خلف المكتب، وقد بدأ ضابط المباحث استلام دفة القيادة من القارئ بداخله. أزاح الستارة قليلًا؛ فلمح دائرة مقطوعة في الزجاج في حجم كف اليد تقريبًا، يصعُب ملاحظتها إن لم تكُن تبحث عنها. كانت نافذة المكتب من الألوميتال الذي يُفتَح بالعرض، وكان مسار الرصاصة الذي أراده القاتل يمُر تقريبًا في منتصف النافذة، فإذا فتح درفة النافذة، كان هذا سيكون أول شيء سيلاحظه مَن يدخل المكتب، وهو لم يرغب في هذا، وبالطبع لم يرغب في جذب الانتباه الذي سيسبّبه تهشُّم الزجاج في وقت متأخر من الليل؛ ولهذا قام بقصّ قطعة من الزجاج، تكفي لمرور الرصاصة الصامتة منها. دار حازم ووقف موليًا ظهره نحو النافذة، وواجه حائط إنجازات الكاتب، ولدقيقة كاملة، تجمّد، لم تتحرك فيه عضلة واحدة، فقط عيناه في المُقل تمسح المكان، حتى إنه للحظات أغمض عينه وكأنه يُخفِي صورًا في ذاكرته ويتأكد من حفظها، ثم يعود ليفتح عينه من

جديد ليستوعب المزيد منها.

إذا كان الضابط يقود حازم الآن، فالكاتب في نادر لا يتخلى عن القيادة أبدًا، فتابَع كل تحرّكات النقيب، ومثله، سجَّلها ليستفيد منها عندما يعود للكتابة مُجددًا.

لم يعلم أيٌّ منهما وقتها أنني، في يوم ليس ببعيد، سأكتب لكم كل هذا، تمامًا كما حدث.

مشى حازم على نفس مسار الرصاصة نحو الحائط التي استقرت فيه، مُتجنِّبًا لمس بقعة الدماء على الأرض بحذائه، انحنى قليلًا، نظر إلى مكان الرصاصة في الحائط، اقترب دون تلامُس ليشمّ الثقب، أعاد النظر فيه عن قُرْب، وبعد أن بدا وكأنه قد فرغ من امتصاص كل ما أمكنه من مسرح الجريمة بدأ الاستجواب؛ حيث إنه بقي صامتًا طوال فترة احتسائه للقهوة، وسماعه لما دار من نادر، وتركه يستفيض في الشرح، بدايةً بإعطائه فكرة عامة عن رواية **(العاقِبة)** وبطلها، ومرورًا برؤيته للغريب، الذي شعَر وكأنه يعرفه في أثناء الندوة وبعدها، ووصولًا لما حدث هنا في الشقة.

- بتقول إنك ما شُفتوش خالص؟ وجّه سؤاله لنادر. أقصد لما كنت واقف في الطُّرقة.

- لأ. هز نادر رأسه. زي ما قُلت لك، الحيطة كانت بيني

وبينه.

- بس كنت حاسس بوجوده.

- هو كان موجود. دافع نادر عن نفسه. أنا سمعت صوت صُفارته، بس هو سكت لما حس إني مستنيه.

- إمممم. هزّ حازم رأسه. وتفتكر ليه ما حاولش يكمّل مُهمته؟

- عشان آ... سكت نادر وتنهّد، ثم أكمل كمَن يسرع بقول شيء قبل أن يوقفه التردد. عشان هو مش بيدخُل مواجهة ما استعدلهاش كويس.

- هو؟ بطل روايتك. تقصد كده، صح؟ لم تبدُ ملامح السخرية على حازم، ولكن كلماته كانت كافية.

- حازم بيه. قال نادر بنبرة دفاعية. أنت سألتني تفتكر ليه؟ وأنا جاوبتك. هو مين؟ وليه عمل؟ وليه ما عملش؟ دي شُغلة حضرتك. ثم سار مُتخطِّيًا حازم نحو المكتبة، والتقط نسخة من الطبعة الأولى لرواية (**العاقِبة**) وناولها لحازم، وقال:

- حضرتك لو قريت الرواية هتفهم ليه باقول كده.

- شكرًا، أكيد هاقراها. كذب وهو يلتقط الرواية مُخفيًا سعادته بطبعتها الأولى. بس أنا أفضّل نسيب كل حاجة

زي ما هي لحد ما الأدلة الجنائية والطب الشرعي يخلصوا شغلهم.

- عندك حق. قال نادر وتوجه صوب باب المكتب. بس أتمنى الموضوع يتم دون... وترك جُملته -التي لم يعرف كيف ينهيها- مُعلَّقة في الهواء.

وعند باب المكتب، نظر خلفه نحو حازم، فوجده ينظُر لحائط إنجازاته، ناقلًا نظره بين أغلفة كتبه، وشهادات التقدير، والصور، فوقف انتظارًا حتى يفرغ الأخير من المشاهدة، وعندما لاحظ الأخير صمته، قال وكأنه يُثبِت أنه كان منتبهًا:

- مفهوم. وبدأ يتحرك في اتجاه الباب. أنا متوصي ما حدش من السكان يحس بحاجة. بس ده طبعًا في حدود الممكن.

- أكيد. قال نادر وهو يغلق باب المكتب خلفه. وواحدة مانو تاني على ما الأدلة الجنائية، والطب الشرعي ييجوا؟

- ياريت. قال حازم بصدق. أنا عرفت أنت ليه مش بتشربها غير من إيدك.

- أي خدمة. قال نادر وهو يضحك. أنا مش شاطر في الكتابة بس على فكرة.

(24)

شرع نادر في إعداد القهوة، ودار حازم ببصره في المطبخ النظيف جدًّا بالنسبة لمطبخ رجل عازب، وهي إحدى المُلاحظات التي لفتت نظره، بالإضافة إلى عدم وجود أصدقاء لنادر من الرجال.

أراد حازم أن يسأله عن السبب، ولكنه امتنع.

استأذنت داليدا من نادر أن تذهب للمنزل لترتاح قليلًا مع وعد بأن تعود بعد بضع ساعات، خاصةً وأنها مطمئنة عليه في وجود حازم، الذي أكّد أنه باقٍ حتى تعود، ومثلها فعلت حنان، ولكن بسبب قلق والدتها من غيابها طوال الليل، وبدا من كلامها أن هناك (خناقة) في انتظارها عند عودتها للمنزل.

لم يفُت حازم شعور الخوف والقلق الذي لم يظهر سوى للحظة على ملامح نادر عندما شعر بأنه يُترَك.

نظر حازم إلى نسخة الرواية التي لم يتركها من يده، وقال مندفعًا دون تفكير:

- مش شايف يا أستاذ نادر إنك متحامل على الظباط شوية زيادة في أعمالك؟ وإن الشر في أعمالك، زي ما تقول كده، متبروِز، عكس الخير.

قال حازم وندم بمُجرد نُطْقه للكلمات.

- ساعة ونُص. قال نادر وهو يضحك، ثم فسّر عندما بدا عدم الفهم على ملامح ضيفه:

- أول ما عرفت إن فيه ظابط جيّ حاولت أتوقع هياخد وقت قد إيه قبل ما يسألني السؤال ده، بس لما سألتك قريت لي وقلت لأ، اطمنت.

- من غير ما أقرا لك. برر حازم. شهرتك سَبقاك.

- مكروه أوي كده في الوزارة عندكم؟ سأل نادر وهو يُقلِّب القهوة.

- مش مكروه، بس مش محبوب.

- مش متفق معايا إن الكتابة عن الخير، والنهايات السعيدة، مُملة؟ والكتابة عن الظابط الشريف مش مثيرة قد الكتابة عن نقيضه؟ أصل إيه الشيء اللي يستحق الكتابة عنه في ظابط بيعمل كل حاجة صح وما عندوش هفوات؟ سأل نادر، وقد شبك ذراعيه أمامه في وضع دفاعي دون أن يقصد.

- غريبة! استنكر حازم. مع إن المطرب لما بيعمل أغنية حلوة بيتكتب عنها، مع إن ده الطبيعي. ولما الكاتب. وأشار نحو نادر. بيكتب رواية حلوة بيتكتب عنه، مع إن ده

الطبيعي. اشمعنى لما الظابط بيموت في شغله بيتقال ده شغله اللي بياخد عليه مرتب؟ وما يستحقش الكتابة عنه!

- في دي عندك حق. قال نادر وهو يصُب القهوة. بس ما تنساش إن المطرب أو الكاتب لما بيعمل حاجة وحشة، بيتكتب عنه أكتر ما بيتكتب عنه لو عمل الحلو. للأسف الدنيا مش عادلة في الجزئية دي.

- للأسف. قال حازم وهو يأخذ فنجانه ويتبع نادر نحو الصالة.

- أنا بقى عندي سؤال. قال نادر وهو يجلس. لما وقفت في المكتب، عدّت دقيقة كده كنت ما بتتحركش فيها، وكأنك بتسمع حاجة بتهمس لك، كنت بتعمل إيه؟ فضول الكاتب بقى معلش. سأل نادر وهو يوجه الريموت للتكييف الذي كان يعمل بالفعل ليزيد من قوته بعد شروق الشمس واشتداد الحرارة بالخارج.

- لا ولا يهمك. ابتسم حازم وهو يجلس، وأكمل:

- بس مش عارف هتفهمني ولّا لأ؟ قال وتنهّد ليعطي نفسه لحظة ليجهّز إجابة نموذجية، ثم قال بنبرة مَن ما زال يبحث عن الكلمات المناسبة:

- أي مسرح جريمة بيكون له حاجة زي الروح، أفكاره

الخاصة، بتكون موجودة بس مش واضحة، عقولنا بتشوفها، بس بننساها بسرعة قبل ما يقدر عقلنا يترجمها في شكل مفهوم. زي الحلم اللي بتصحى فاكره، بس بيختفي بمُجرد ما تبدأ تدرك إنه كان حلم، وإنك صحيت منه. أنا بقى بأحاول أدّي لعقلي الوقت يدرك الأفكار دي قبل ما تبدأ الماديات حولي تشغلني. طبعًا في معظم الأوقات المحاولة بتفشل، بس لما بتنجح، بتكون النتايج مُذهلة.

كان نادر مبتسمًا باستمتاع حقيقي وهو يستمع لحازم، الذي سأل، وكأنهما يلعبان لعبة تتيح لكلٍّ منهما سؤالًا واحدًا بالتناوب:

- بمناسبة سؤالك، أنت ككاتب شايف إنك بتفهم في العمل الشُّرطي بالشكل الكافي؟ (صُنْع الله إبراهيم) قال: «يجب ألّا تقل معلومات الكاتب الذي يتكلم عن المزرعة عن معلومات المهندس الزراعي». متفق معاه؟

- متفق معاه. قال نادر وهو يعيد فنجانه إلى الطاولة. بس لازم يكون فيه توازُن بين الجهد والهدف. الكاتب ممكن يقنع القارئ إن معلوماته كافية، من غير ما تكون كافية. وكل شخص وشطارته. ما فيش أي داعي لبذل مجهود كبير في بحث يستنفد وقت، هينتقص، شئت أم أبيت، من طاقة الإبداع، إلا لو كان العمل محتاج له فعلًا.

هز حازم رأسه في عدم اقتناع وهو يرتشف من قهوته، فسأل نادر ليُغيّر الموضوع:

- والنهار ده في المكتب، عقلك أدرك الأفكار؟ ويا ترى قالت لك إيه؟

- زي ما قلت. أجاب حازم. مش كل مرة بتنجح. كذب حازم، ببساطة لأن ما شعر به في المكتب كان غير مفهوم على الإطلاق.

- أنا سمعتك بتكلم حد ييجي. سأل نادر بعد دقيقة صمت.

- آه. أجاب حازم وهو ينهي قهوته. يامي الفياماوي من الأدلة الجنائية، على وصول إن شاء الله. ثم أكمل ليُفسر بعد أن لاحَظَ علامات الاستغراب تعلو ملامح نادر:

- رامي الفرماوي، بس لدغة حرف الـ(ر) عنده عالمية؛ لأنه مش بيقول جملة إلا وفيها أكبر قدر ممكن من حرف الـ(ر). زي ما يكون قاصد. لما تتعرف عليه، أكيد هتحُطه في رواية من بتوعك.

وصدق تنبؤه.

(25)

وصل رامي بجسده الهزيل، وشعره الكثيف، مرتديًا قميص النادي الأهلي، وحاملًا حقيبة أدواته، التي أُلصِق عليها من الجانبين مُلصق يحمل نسر النادي الأهلي.

لم يستطِع نادر منع نفسه من النظر بحسرة لحذائه وهو يخطو فوق سجادته، ولكن قميصه انتزع علامات الاستغراب سريعًا.

- إيه يا يامي اللي أنت لابسه ده؟! سأل حازم.

- استنى أنت. أجابه رامي، ثم توجه لنادر بالحديث وهو يمد يده قائلًا:

- اليوائي الأكثي مبيعًا ناديّ عبد القادي بنفسه!

مد نادر يده مُصافحًا وباذلًا مجهودًا خرافيًا ليكتم الضحك، ليس على لثغة رامي، ولكن بسبب اختياره للكلمات كما أشار حازم.

- أهلًا بيك.

- يامي الفياماوي. قدَّم رامي نفسه. أنا مش ميوّح إلا وأنا معايا نُسخة موقّعة من يواية **(مميّ المشيحة)**. تعيف حضيتك إن زمايلي ساعات بيقولوا لي يا كييم عشان

بأفكيهم بكييم بطل اليواية؟

- أنا تحت أمرك. أجاب نادر وهو يبتسم. وطبعة أولى كمان.

- ده كتيبي والله.

لاحظ حازم أن نادر في مأزق تسبّب هو فيه، فهو يحاول تأدبًا أن يمسك نفسه عن الضحك، ولكن قدرته على المنع كانت تتلاشى سريعًا أمام اختيارات رامي للكلمات، فتدخل قائلًا:

- إيه اللي أنت لابسه ده يا يامي؟

- معلش بقى يا قائد، خايف أتأخي وأضطيّ أطلع من الشغل على القهوة، الليلة مباياة حسم الدويي. وأنا مش باتفاءل غيي بالتيشيت ده. ثم نظر لنادر. الديع في الجزيية إن شاء الله. ثم سأل: حضيتك أهلاوي. مش كده؟

- أكيد. قال نادر وهو يضحك رغمًا عنه. ما أقدرش أقول غير كده قصاد مستوى الشغف ده كله.

- لا يا فندم العفو. أجاب رامي. حضيتك بياحتك، أنا بأحتيم جمهوي المنافس، أنا متعصب في تشجيع فييقي بس.

- أنا هاعمل قهوة. قال نادر هربًا من مواصلة الحديث.

قهوتك إيه؟

- على البيحة من فضلك.

دار نادر وضحك وهو يسير في اتجاه المطبخ، ووضع حازم يده على كتف رامي ودفعه في اتجاه المكتب قائلًا:

- يخرب بيتك ده أنت نمرة. تعالَ يا عم نشوف شُغلنا قبل ما تموّتنا من الضحك.

- بطّل هزاي بقى.

(26)

أمضى رامي برفقة حازم ساعة في المكتب، رفع خلالها البصمات عن الأسطح التي يمكن أن يكون القاتل قد لمسها في أثناء إعداده الفخ، وحدّد مكان إطلاق الرصاصة، مستخدمًا قلم ليزر، متتبِّعًا مسار الرصاصة، التي أزال مقذوفها من الحائط ووضعه في كيس أدلة تمهيدًا لتحديد نوعه، وفحصه للكشف عن أي بصمات عادةً ما يُخطِئ القاتل وينسى مسحها من على الرصاصة قبل وضعها في السلاح، وللتأكُّد من أنه يحمل دماء نادر، بناءً على طلب حازم، الذي أفضى لرامي أنه يشُك في أن ما حدث هنا هو مُجرد حيلة تسويقية؛ حيث يتعرض الروائي الأكثر مبيعًا لمحاولة اغتيال على يد شخص يُقلِّد أشهر أبطاله، وينجو، فيعود للأضواء من جديد، فأراد أن يتأكد حازم من أن إصابة نادر كانت حقيقية، خاصةً وأن القاتل المزعوم، حسب رواية نادر، كان على بُعْد خطوة منه وخاف من مواجهته لإكمال مُهمته! كيف يخاف رجل مُسلّح، وبكفاءة قناص مُحترف، من رجل مثل نادر؟!

طلب حازم أيضًا من نادر أن يتواصل مع داليدا وحنان، وكل مَن يمكنه التفكير في أنهم تركوا بصماتهم في غرفة المكتب؛ حتى يحصل رامي على بصماتهم، ليستبعدها من الاشتباه، وهذا بعد حصول رامي على بصمات نادر نفسه

بالطبع.

- اغسلها بكلوي وهي تنضف في ثانية. قال رامي لنادر الذي كان يحاول مسح اللون الأسود عن أصابعه، فأومأ له نادر مداريًا تعجُّبه. «**كلور؟!**»

- أنا هاعمل تحريات ضرورية. قال حازم موجهًا كلامه لنادر. عشان أعرف لو حد شاف حد غريب طالع أو نازل من العمارة هنا، أو من العمارة اللي اتضرب منها الرصاص. بالنسبة للسكان هنا، هنقول إن شقتك اتسرق منها حاجة تخص شُغلك، مثلًا مسودة رواية جديدة، عشان الناس ما تخافش؛ لأن السرقة لو غرضها الفلوس، الناس كلها عندها حاجات تتسرق، بس لما نقول إنها سرقة أدبية، الناس مش هتقلق بنفس القدر.

أومأ نادر موافقًا.

- الطب الشرعي كمان هيحتاج يفحص الجرح بعد إذنك، وهياخد عينة دم.

هز نادر رأسه في البداية بآلية؛ بسبب إجهاده الشديد، ثم أدرك معنى كلام حازم، فسأل مستنكرًا:

- يفحص الجرح! أنت شاكك فيَّ يا حازم بيه.

- أنا شُغلي إني أشُك. أجاب حازم، ثم برّر. أشك في كل حاجة، مش فيك بس. شغل المباحث عمومًا قائم على نظرية الاستبعاد، كل ما نستبعد نظريات غلط أسرع، كل ما هنقرّب من النظرية الصح.

- مفهوم. قال على مضض. أنا ما عنديش مانع، بس يا ريت بسرعة؛ عشان بجد محتاج أنام عشان أعرف أفكّر.

أومأ حازم مُتفهِّمًا وهو يُخرِج هاتفه لاستدعاء الطبيب الشرعي.

- قسمًا بالله يا يندا. كان رامي يرسل تسجيلًا صوتيًّا. لو الأهلي ما أخدش الدويي ما هاكتب الكتاب إلا بعد الكاس أو السوبي. مش هينفع أفيح والأهلي خسيان. قلت لك نكتب بعد العاشية، وأنتِ اللي قولتي خالتي في الدنمايك.

- شُفت؟

قال حازم وهو يضحك مُعلِّقًا على كلام رامي. كاس العالم في اختيار الكلمات الغلط. ثم أكمل بجدية وهو يطلب رقم الطبيب الشرعي:

- المهم، أنت اليومين الجايين مش هينفع تكون هنا، فكّرت هتعمل إيه؟

- هاقعد في أي أوتيل كام يوم.

- وعاوزك تفكّر في مين ممكن يكون عاوز يقتلك، ويكون مهووس بشخصياتك، ولّا ده مش بيحصل معاك؟

- مش بيحصل إزاي؟ أنا ياما قابلت ناس مقتنعة إنها شخصيات من رواياتي فعلًا. بس طبعًا ما أعرفش حد فيهم.

وضع رامي هاتفه في جيبه، وقال لنادر:

- هنعمل ميكز أول أو تاني المية دي إن شاء الله.

ولمّا رأى عدم الفهم على ملامح نادر وحازم الذي وضع الهاتف على أذنه، فسّرَ:

- سمعتك بتقول كاس العالم، مش تقصد مونديال الأندية في الإمايات؟

(27)

كان يعلم نادر أن السؤال الأول الذي سيضطر للإجابة عنه عندما يبدأ حازم تحقيقه الحقيقي في الحادثة هو: «مَن يرغب في قتلك؟». وكان حتى هذه اللحظة لا يعرف كيف يُجيبه دون اضطراره لخلع قناعه الجميل، والكشف عن وجهه الحقيقي القبيح.

نام، بعمق لم يصله منذ وقت طويل، لم يحلم وكأن وعيه اكتفى بكابوسه الذي عاشه في صحوه؛ فأعفاه مؤقتًا من الأحلام التي كانت تزوره كل ليلة.

كان قد علّق ورقة عدم الإزعاج على باب غرفته الفندقية الفاخرة، وأغلق هاتفه، وفصل هاتف الغرفة، وجنى ثمار كل هذا نومًا مُنعِشًا، احتاج له عقله ليعمل بكفاءة بعد ليلة تبعثرت فيها أفكاره، كان عقله بعدها أشبه بغرفة طفل في السابعة زاره أصدقاؤه مفرطو الحركة.

استحم بماء ساخن، وأنهى حمّامه بالماء بارد، فانتعش جسده واستيقظت خلاياه بنشاط، أعد قهوته بنفسه؛ حيث كان قد اصطحب معه حقيبة القهوة كما يُسمِّيها، تحتوي على سخّان يعمل بالكهرباء، وكنكة نحاسية لها يد خشبية، والبُن المحوّج الفاتح المخصوص، ومضرب النسكافيه. فقهوة

الفنادق مقارنةً بقهوته جيّدة الصنع، تشبه الفول المُعلَّب سيئ التدميس لو قارنته بفول عربات الفول الطازج.

جلس مرتديًا بُرنُس الحمام يحتسي قهوته في شرفة بحجم غرفة صغيرة تطل على ملاعب جولف تسقيها رشاشات مياه لها صوت مُهدهِد ساحر، خاصةً وأن الوقت ما زال مُبكرًا فلم تشتد حرارة الجو بعد.

فتح هاتفه، واستقبل سيل الرسائل التي تجاهلها على غير عادته منذ بدأت ندوة الليلة الماضية، معظمها من الجنس الناعم جدًّا، وهو ما أخذه للتفكير في مَن قد يرغب في موته بشدة لدرجة قيامه ببذل كل المجهود والوقت والمال الذي بُذِل الليلة الماضية لقتله.

إحدى عشيقاته قالت له مرة إن طليقها كان ضابطًا في الجيش، وإنه كان غيورًا لدرجة الجنون، وهو ما أسعده وقتها؛ لأن هذا معناه أنها ستُبقِي على علاقتهما سرًّا. قد يكون اكتشف المجنون علاقتهما، وقرر قتله. ولكن لماذا كل هذا الترتيب والتخطيط؟! كان يمكن أن ينتظره في منزله، الذي من الواضح أنه دخله بالفعل، ويقتله برصاصة مكتومة الصوت، إذا لم يرغب في دماء السافل، أي نادر، على يديه في حالة استخدم السكين لقتله. كان يمكنه خنقه، وهي الطريقة المثلى لإفراغ طاقة الغضب؛ حيث تضغط بكل قوة

على رقبة من انتهك عرضك، وتشعر بالحياة تُعصَر من جسده عصرًا. هو مُشتبه به بالطبع؛ بسبب وجود دافع قوي، ولكن طريقة التنفيذ تقول شيئًا آخر، وهذا تحديدًا يمكن أن يكون سبب اختياره لهذه الطريقة؛ حتى يُبعِد عن نفسه الشبهات. وارد.

ثم هناك الشاب الذي أوحى مرة إلى نادر، بعد إحدى الندوات، بفكرة رواية **(الانفصال)**، والتي حققت مبيعات واسعة بعد أن كتبها الأخير، وقد أرسل له الشاب رسالة يتوعده فيها بالانتقام، وكتب على صفحته الشخصية على الفيسبوك إنه هو صاحب الفكرة، ولكن في غياب الدليل والشهرة، بدت اتهامات الشاب أشبه بهذيان مجنون يسعى للشهرة على حساب العظيم نادر عبد القادر.

وهناك أيضًا العديد من الشخصيات التي قابلها نادر في حياته، وقذفها بأبشع الأوصاف، ولكن على صفحات رواياته، المحمية قانونًا بجملة «شخصيات هذه الرواية خيالية، ولا تمُت للواقع بصِلة» التي يستهِل بها كل أعماله؛ فالقانون يحمي مَن يفهمه جيّدًا. كل شخص لم يعجبه، صوّره نادر في أسوأ شكل في أعماله، وحرص بمهارة الكاتب على أن يعرف الشخص، وأكبر قدر من الناس، أن هو المقصود.

«مَن يرغب في موتي؟ بل قُل مَن لا يرغب فيه!».

بالرغم من كثرة مَن يرغبون في موته؛ لم يتصوّر نادر أن منهم مَن سيقوم بمحاولة قتله؛ مَن منّا لا يرغب في موت شخص واحد على الأقل؟ ولكن كم منّا يسعى لتحقيق هذه الرغبة؟ ثم إنه لا يرى أن أحدًا منهم يمكنه أن يُنفِّذ محاولة اغتيال كالتي تعرَّض لها.

لم ينسَ بالطبع الغريب الذي رآه في أثناء الندوة. كان تفسير داليدا أنه مُجرد وهم جسَّده خياله، منطقيًّا. خاصةً وأن نادر شعر وأنه يعرفه. ولكن حدوث هذا التجسّد في نفس الليلة التي يتعرض فيها لمحاولة اغتيال لا يمكن أن يكون مصادفة.

قطعت رسالة حنان متاهة التساؤلات التي كان يسابق فيها نادر نفسه منذ استيقظ دون تحقيق حلم الخروج منها، فطمأنها برسالة، ثم أرسل أخرى لإحدى عشيقاته، التي لا يطاردها زوج سابق مجنون، يطلب منها أن تأتي إلى الفندق؛ ذكَّرته رسالة حنان بمدى وحدته وافتقاده للونس، ولكنها، أي حنان، كانت أنقى من أن تُلوَّث بمثله.

(28)

دعت يمامة قريبة ربها بالرزق، فابتسمت شهد عندما وصلها صوت سجعها العذب حيث تقف خلف زجاج شرفة جناح نادر الفاخر. شهد هي إحدى عشيقات نادر اللواتي يرغبن في أن تبقى علاقتها به سرًّا؛ نظرًا لأنها ما زالت، على الورق، متزوجة من رجل أعمال يبيت معها كل ليلة، ولا يراها، بعد أن ملّها زوجةً، كما يملّ الطفل علكة امتص سُكرها كله، ولكنه يحتاج لها مُربيةً لأولاده وربّة منزل، ولأنه لا يقبل بتطليقها حفاظًا على صورة مُؤطّرة مُعلَّقة على جدار اجتماعي بالٍ كالذكريات المنسية.

كانت تمتص من نادر رحيقًا يُبقِيها على قيد الإحساس بالأنوثة والامتلاء، وفي المقابل كانت تعرف كيف تُطفئ ناره، فتهدأ أفكاره، ويستكين.

خرج نادر من حمام الجناح، وقد لف منشفة كبيرة بيضاء على جذعه، والماء يقطر من شعره الأسود الخفيف على ظهره، اقترب من شهد التي ارتدت فستانًا زهريًّا فضفاضًا وغير قصير؛ لتجنُّب لفت الأنظار، واحتضنها من الخلف ناظرًا إلى حيث تنظُر، أراحت رقبتها على كتفه بدلال، فمال ودفن وجهه في جانب رقبتها مستنشقًا عطرها الهادئ المُثير.

- ما لَك يا دودو؟ سألت وهي تدور لمواجهته.

- ما لي؟ سأل وهو يُبقِيها قريبة منه.

- أنت لسة فيك صحة لحاجة؟ مازحته سائلة.

- وهو أنتِ خلّيتي فيَّ صحة. قال وهو يضربها برفق على مؤخرتها. ده حُضن عُذري بريء.

- عُذرك معاك. وضحكت وهي تفلت نفسها من بين ذراعيه.

حاول الإبقاء عليها بين ذراعيه، ولكنه شعر بالمنشفة تسقط، فترك شهد، وأمسك المنشفة، وأعاد ربطها بإحكام.

- خايف أشوف إيه؟ سألت بدلال وهي تلتقط حقيبتها. ما أنا شفت كل حاجة.

- كل حاجة في وقتها حلوة. هتمشي؟

- مش قُلت فيه حد جيّ لك؟ أجابت وهي تتجه نحو باب الجناح. أنت عارف، ما ينفعش حد يشوفني هنا.

ألقت له قُبلة في الهواء، فردَّ بمثلها، ثم فتحت باب الجناح وخرجت وأغلقته خلفها.

أخذ نفسًا عميقًا، وأخرجه على مهل، وشرع ببطء يُعِد لنفسه القهوة عندما سمع طرقات هادئة على باب الجناح.

فتح الباب ليجد النقيب حازم مرتديًا جينزًا أزرق، وقميصًا من الكتان الأبيض. ابتسم حازم بخُبث وهو يصافح نادر، والذي لم يفهم سببًا لابتسامته حتى تكلّم:

- الست دي خارجة من عندك؟

- مين اللي بيسأل؟ سأل نادر وهو يسير أمام حازم سامحًا له بالدخول. ظابط المباحث؟

- هتفرق؟ رد حازم السؤال بآخر وهو يغلق باب الجناح خلفه.

- لأ.

- دي إجابة السؤال الأول؟ سأل حازم وهو يتفرّج على الجناح. ولّا التاني؟

- هتفرق؟

- لأ. أجاب حازم وهو يبتسم.

- دلوقت أنا المفروض أسألك دي إجابة السؤال الأول ولّا التاني. صح؟

ضحك حازم، ومثله فعل نادر الذي بدا مسترخيًا أكثر بكثير عن المرة السابقة التي رآه فيها حازم، والفضل في ذلك يعود لشهد بالطبع.

- قهوة؟ سأل نادر، فابتسم حازم وأومأ موافقًا.

***

ناول حازم جالسًا خلف مكتبه ملفًّا لمعاون المباحث الآخر، سليم، زميله في المكتب، صاحب المكتب المواجه لمكتبه، والذي كان واقفًا أمامه، وهو يقول:

- عارف مُشكلتي مع نادر عبد القادر إيه؟ شخصيته! إني باحس من كتر تواضُعه، وبساطته، وعفويته، إني باتعامل مع مراهق، مع واحد صاحبي من زمان، بمُجرد ما باشوفه بيتحوّل لصاحب مش مشتبه فيه. برغم إني مفهّمه إني ما قريتلوش حاجة، بس أنا قريت له، وباحترم خياله. الموضوع ده بيصعّب التحقيق معاه جدًّا.

***

استأذن نادر واختفى لدقيقة في الحمام، ثم عاد مرتديًا ملابس رياضية خفيفة. سأل حازم عندما عاد إذا ما أراد أن يشرب قهوته في الشرفة أم في هواء التكييف البارد، فاختار حازم الشرفة؛ نظرًا لجمال المنظر، بالرغم من حرارة الجو.

جلس حازم، وأخرج مُفكرة صغيرة، وقلمًا، ووضعهما أمامه إلى جوار قهوته، فسأله نادر:

- هنبدأ التحقيق؟

- ده بعد إذنك.

- العفو يا حازم بيه. قال نادر. بس هو ينفع تحقيق في الفندق كده؟ ده فضول الكاتب اللي بيسأل.

- ما فيش ما يمنع. أجاب حازم. ثم إنك متوصي عليك جامد.

***

دخل الرائد محفوظ إلى غرفة معاونيه، وخلفه صخب القسم في وقت ما بعد الظهيرة، أغلق الباب ليمنع الصخب قدر الممكن، وألقى السلام على سليم واطمأن منه على زوجته، ثم على حازم، الذي بدا غارقًا في العمل، فوعده بعدم تعطيله طويلًا، حيث جاء فقط ليستفسر عن سير التحقيق في محاولة اغتيال الروائي المشهور.

- أعتقد كده والله أعلم إن القصة كلها هتطلع حيلة تسويقية.

- لا ترجم لي. سأل محفوظ دون أن يجلس مؤكدًا صدق نيّته عدم تعطيل حازم.

- الراجل ده يا محفوظ بيه. قال حازم وقد قام تأدُّبًا. بقى

له كتير مش بيكتب، فوق السنتين. قبلها كان كل سنة له عمل. واضح إنه في مُشكلة، والإبداع عطلان. وما فيش أجمد من محاولة اغتيال على إيد مهووس بأعماله ترجّعه للأضواء تاني.

- إممممم. قال محفوظ بعد أن وزن الكلام. فيه أدلة على كده؟

- كلامهم يشكك، بس مش كفاية. وأنا مستني تقارير الطب الشرعي والأدلة الجنائية. أجاب حازم. وغالبًا هيثبتوا إن الموضوع كله متفبرك.

- طيب، بس خُد بالك. حذّر محفوظ. الراجل ده متوصي عليه من كذا حد، والبنت اللي بتحبه باباها حد كبير أوي. مش عاوزين حد يعلّم علينا.

***

أعاد نادر فنجان قهوته إلى مكانه على الطاولة، وضرب بيده الهواء أمام وجهه ليُبعِد ذبابة حامت حوله، وسأل:

- ويا ترى فيه مُشتبه فيهم؟

- أكيد.

- بالسرعة دي؟ تعجّب نادر. ده ما فاتش إلا يومين.

- يومين مش قليل. أجاب حازم، ثم رشف من قهوته، وأعادها إلى مكانها، ثم التقط مُفكرته، وسأل:

- السؤال بقى. قال حازم، ثم قرأ من مُفكرته. أنت قُلت لحنان «داليدا قالت لي هي شغالة على حاجة هتطلع بيّ لفوق بسرعة الصاروخ. وأنا كمان هاعمل حاجة هتفرق معايا كتير». ثم نظر لنادر، وسأله:

- ممكن أعرف إيه الحاجة اللي كنت بتفكر تعملها هتفرق معاك كتير؟

***

في منزل حنان، أو بالأحرى قصر والدها، جلس أمامها حازم في غرفة صيفية زجاجية مُكيفة تطل على حديقة، لم يرَ حازم عن قُرْب في جمالها من قبل. وتعجَّب من أن فتاة في سنها وثرائها وملامحها حزينة لهذه الدرجة!

- أنا ليه حاسِّك مترددة؟ سأل حازم. زي ما يكون فيه حاجة مش عارفة تقوليها ولّا لأ. على فكرة خوفك على نادر ممكن يؤذيه.

- إزاي؟! استنكرت.

- إنك تحاولي تحميه، وتخبي حاجات فاكرة إنها ممكن

تضره لو قولتيها. في حين إننا أحيانًا بنكون لازم نحمي اللي بنحبهم من نفسهم.

هدأ التردد قليلًا على ملامح حنان، وبدت على وشك الاقتناع، فطرق حازم الحديد وهو ساخن؛ فلان.

***

- ببساطة. أجاب نادر. اللي كنت بافكر أعمله إني أخيرًا أحقق حلمي بإني أطلع رحلة أسبوع في الأدغال الأفريقية، بعيدًا عن الحضارة، وممكن أدّي لك رقم صديقة في شركة سياحة اتكلمت معاها في الموضوع ده بالفعل. قال نادر، وأمسك هاتفه، واستدعى رقمًا إلى الشاشة، ثم وضع الهاتف أمام حازم.

«**صديقة! لا ذكور في حياة نادر**». فكَّر حازم وهو يكتب رقم الصديقة في مُفكرته.

- أفهم من سؤالك إني مُشتبَه فيّ.

- واحد منهم. أجاب حازم باسمًا، وهو يرفع قهوته نحو فمه.

- هم كتير؟

***

استقبل ماجد كامل رجل الأعمال حازم في مكتبه بود ووجه بشوش، وقدَّم له قهوة، منع حازم نفسه من السؤال عن نوع البُن المُستخدَم في تحضيرها.

- سيادتك قُلت لنادر. واقتبس من مُفكرته. «أنا محضّر لك خطة تسويق للفيلم الأول، ما حدش عملها قبل كده». وحسب معلوماتي؛ الفيلم الأول ده مأخوذ عن رواية **(العاقِبة)**. مظبوط؟

- مظبوط.

- ممكن أعرف شكل الخطة كان إيه بالظبط؟

***

- أي حد. أجاب حازم وهو يعيد قهوته إلى الطاولة. له مصلحة في إن نادر عبد القادر يرجع للأضواء تاني هو مُشتبه فيه حاليًّا.

***

جلس حازم مع داليدا، التي كانت ترسل برسالة نصية لأحدهم، في المبنى الاجتماعي المُكيَّف في النادي الأهلي.

- أنت عضو هنا في النادي؟ سألت داليدا.

- أنا معايا الماستر كارد. قال مازحًا. كارنيه المباحث.

- الله. علَّقت بسعادة. حلو ده.

- دي واحدة من المميزات القليلة فيه. قال باسمًا. تسمحي لي بسؤال؟

- أكيد. قالت داليدا وهي تترك هاتفها وتنتبه له.

- أنا عرفت إنك كنتي شغّالة على حاجة قولتي عليها باللفظ. واقتبس من مُفكرته. «هترجّع نادر للأضواء بسرعة الصاروخ». نظر لها ليرصد تأثير كلماته على ملامحها. وقولتي لنادر ليلة الحادثة. وعاد لمُفكرته. «حد عارف من النهار ده لبُكرة هيحصل إيه؟ افصل أنت بس، وسيب كل حاجة عليّ». رفع عينه تجاهها، وسأل:

- ممكن أعرف إيه هي الحاجة دي؟

- إيه ده؟ ده أنا مُتهمة بقى. مزحت داليدا وهي تضع قدمًا على أُخرى باطمئنان. ده أنا كنت فاكرة إننا صحاب يا حازم بيه.

- لا لا طبعًا، العفو، متهمة إزاي بس؟ أجاب حازم. حالتك دي اسمها مُشتبه فيها، المُتهمين بيتقبض عليهم. قال وابتسم.

أزالت جملته الاطمئنان من على ملامحها، بالرغم من

ابتسامة حازم التي أتبع بها جُملته.

***

- وبتحسم الأمر إزاي؟ سأل نادر. لما بتكون قصاد أكتر من مشتبه فيه وكلهم عندهم دافع. خاصةً وإن «الناس كلها بتكدب» على رأي دكتور (هاوس- HOUSE) ورفع علامات التنصيص وهو ينطق الاقتباس.

ابتسم حازم، وقال:

- واحد من شخصياتي التلفزيونية المُفضَّلة.

- بجد؟ وأنا كمان.

رفع نادر فنجانه في الهواء مُقرِّبًا إيّاه من حازم، وقال:

- بصرة.

رفع حازم فنجانه بالمثل، ولمس به فنجان نادر. ثم أعاده الأخير وشرب منه رشفة مُكمِّلًا الطقس لآخره وكذا فعل حازم، ثم أجاب:

- تقارير الطب الشرعي والأدلة الجنائية هي اللي عادةً بتحسم القضايا، وأنا في انتظارهم.

***

- لازم تتخطى شخصيته يا حازم. قال سليم وهو يعود إلى مكتبه. لازم تقدر تتعامل معاه كفرد عادي عشان التحقيق ما يتعقّدش منك، لازم تكون قادر تشوفه كمشتبه فيه، وخصوصًا إنه ممكن جدًّا يكون شريك في الفيلم الهندي ده.

- فيه مشكلة تانية كمان.

- إيه تاني؟ سأل سليم.

- نادر ذكي جدًّا، ولمّاح، ومراقب ممتاز. عاوز أقول لك إني ساعات باحس إني قصاد ظابط مباحث، مش بس كاتب شاطر.

***

- وتقارير الطب الشرعي والأدلة الجنائية ما بتكدبش. قال حازم وهو ينهي قهوته. على عكس المشتبه فيهم اللي غالبًا بيكدبوا.

- طب وظبّاط المباحث، بيكدبوا؟ سأل نادر بخُبث وهو يقف. ما تيجي ندخل من الحر بقى.

وقف حازم وحمل فنجانه كما فعل نادر، وعلامات الاستغراب تغطّي ملامحه، وقبل أن يسأل، أكمل نادر وهو يفتح باب الشرفة ويتنحى سامحًا لحازم بأن يسبقه إلى

الداخل:

- أولًا: وأنا باحكي لك مشهد اغتيال الدكتور في رواية **(العاقِبة)**. قال نادر. أنت ما سألتش ولا سؤال، كان واضح جدًّا إنك عارفه من قبل ما أشرحه لك. ثانيًا: وأنت في المكتب عندي، لما عينك جت على المكتبة، أنت كنت بتاخُد الكتب بالحُضن بعنيك، دي نظرة قارئ نهم، مش حد «ما لوش في القراية أوي» زي ما قُلت.

رفع نادر علامات التنصيص باسمًا، وهو يلمح الانبهار يتسلق ببطء ملامح حازم، ويعلوها تدريجيًّا مُعلِنًا صِدق تحليله:

- ثالثًا: لما بصّيت على الكمبيوتر بتاعي. قال نادر وهو يُعيد فنجانه، وفنجان حازم الذي ناوله له بنصف وعي، إلى جوار السخان الكهربائي، ثم أشار لحازم بأن يجلس، وجلس بدوره مستطردًا باستمتاع واضح:

- نظرتك كانت نظرة قارئ دخل مكتب كاتب اتعوّد يقرا له.

توقّف نادر عن الكلام مُعطيًا لنفسه الفرصة بالشعور بالانتصار بعد قاضيته التي أصابت حازم بدوار بات واضحًا على ملامحه، ثم قال:

- أكمِّل؟

- لسة فيه رابعًا؟ بتعجُّب سأل حازم.

- والخامسة ستُبهرك. قال نادر وضحك، ثم قال مُسدِّدًا ضربة أخرى ما كان يتوقعها حازم مهما شطح بخياله:

- رابعًا: لما سألتك ليه وقفت في المكتب دقيقة مش بتتحرك، أنت تقريبًا اقتبست الجواب باللفظ من (هاري هول). وصمت نادر لثانية؛ ليتأكد من صِدق حدسه، وأكمل عندما أكدته ملامح حازم:

- واضح إنك عارفه كويس. المُحقق المشهور في روايات (جو نيسبو)، اللي أعتقد إنه من كُتّابك المُفضّلين، بما إن الترجمة العربية لرواية (العطش)، اللي أنت اقتبست منها جُملتك، لسة صادرة من شهر بس. معنى كده إنك قريتها قريب، أو لسة بتقراها، وممكن تكون الرواية معاك في العربية برة.

وقبل أن يُعقِّب حازم، سأله نادر:

- بس أنا عندي سؤال مهم بخصوص روايات (نيسبو) عمومًا؛ يا ترى وأنت بتقراها، بتقرا أسماء المناطق في السويد؟ اللي شبه أسماء لاعيبة منتخب اليونان؟ ولا بتعمل زيي وبتعدّيها؟

- باعدّيها طبعًا.

قال حازم وانفجر ضاحكًا، ومعه نادر، ثم علَّق بعد أن خفَّت موجة الضحك:

- لا بصراحة برافو عليك. نادر عبد القادر (1) حازم الشريف (صفر). بس أنا مش بأقلد (هاري هول)، أنا فعلًا باعمل كده من قبل ما أقرا كلام (نيسبو)، بس هو وصفها بعبقرية.

- مصدّقك.

- بس بجد برافو عليك.

رفع نادر يده شاكرًا بزهو، ثم سأل:

- ليه قلت إنك مش بتقرا؟ ثم رفع سبّابته مُحذِّرًا. ومن غير كدب، أظن واضح إنك لو كدبت هاقفشك.

- من غير كدب. قال حازم رافعًا يديه باستسلام. مش عارف بصراحة، حسّيت إنه ده هيدّي لك نوع من التفوّق. فحبّيت أحرمك منه.

- طب تحب تعرف خامسًا؟ قال نادر مُتعاليًا بتفوّق. ولّا كفاية عليك كده النهار ده؟

- فيه خامسًا؟ استنكر حازم. مش ممكن!

- أنت مش بتقرا بس. قال نادر بتحدٍّ. أنت بتكتب كمان.

كان الذهول الذي ملأ وجهه تأكيدًا كافيًا لنادر على دقّة تحليله.

- لا. قال حازم. عرفت إزاي؟

ضحك نادر، وقال باستمتاع حقيقي:

- اقتباس (صُنع الله إبراهيم)، ما يطلعش من حد مش مهتم بالكتابة، بس الأهم فعلًا، هو نظرتك لما وقفت قصاد بورتريهات أغلفة كُتبي. ما كانتش نظرة فُرجة، كانت نظرة حلم، أمل، نظرة واحد بيتخيل نفسه بُكرة.

- لا لا. اعترضَ حازم. ده مش سبب كفاية يخليك مُتأكد.

- عندك حق. أقرَّ نادر. أنا ما كنتش متأكد، بس دلوقت اتأكدت منك.

ضحك حازم على سذاجته بصوت عالٍ.

- نادر عبد القادر (2). قال نادر بمرح.

- حازم الشريف (صفر). أكمل حازم بنفس المرح.

***

- لا يا يامي. قال حازم عبر الهاتف، وهو يرتب مكتبه. مش

هاكون في المكتب، أول ما تخلّص، تبعت لي التقرير على الواتساب. سلام.

- أنا عندي كذا مشوار. قال حازم لزميله سليم، وهو يفتح باب المكتب. أول ما تقرير الطب الشرعي ييجي، صوّره وابعته لي على الواتساب على طول.

***

قطع صوت عدة رسائل وصلت لهاتف حازم موجة الضحك التي جرفته هو ونادر، وفي نفس الوقت رن هاتف جناح الفندق.

- دي أكيد حنان. قال نادر في طريقه للإجابة. هي الوحيدة اللي عارفة رقم الجناح، غيرك أنت، وشهد طبعًا.

- ما له التليفون؟ سأل نادر حنان عبر الهاتف. معلش قافل الجرس. ليه فيه إيه؟

ظهرت علامات الضيق على ملامح نادر، وقال زافرًا بضيق:

- ماشي، شكرًا يا حنان.

وأعاد سمّاعة الهاتف لمكانها. وبحث عن هاتفه، وعاد ليجلس أمام حازم، الذي بدا غارقًا في هاتفه هو الآخر، وبعد دقائق من الصمت، والمُطالعة، قطع نادر الصمت قائلًا:

- واضح إن داليدا هي اللي عملت كده.

رفع حازم رأسه ساهمًا:

- بس الموضوع ده كان فيه خطر كبير على حياتك. معقول عشان تلمّعك تخاطر بحياتك؟

***

- عارف يا سليم. قال حازم مُفكرًا. اللي هيأكد، بخلاف التقارير، إن الموضوع ده كله حيلة تسويقية؛ إن حد منهم يسرّب الخبر للإعلام.

***

- مش فاهم! إيه الخطورة في ده على حياتي؟ سأل نادر.

- الرصاصة دي كانت ممكن تقتلك يا نادر. قال حازم متعجبًا من سؤال نادر. ما فيش حد مهما كان محترف يضمن يجرح حد بس، من مسافة زي دي. ما فيش (أدهم صبري) في الحقيقة يا نادر، هو نظريًا ممكن طبعًا، بس المخاطرة عالية جدًا.

- أدهم مين؟! تعجّب نادر. أنت بتتكلم عن إيه؟ مين بعت لك؟ وبيقول لك إيه؟

- سليم زميلي. أجاب حازم. بعت لي تقارير الطب الشرعي

والأدلة الجنائية. التقارير بتقول إن الرصاصة مضروبة من مسافة بعيدة، وعليها دمّك بالفعل، والجروح اللي في راسك متوافقة مع نوع الرصاصة وحجمها. ده معناه أنك اتعرضت لمحاولة اغتيال حقيقية. إلا إذا...

ولكنه قطع جملته، وسأل:

- أمال أنت كُنت بتتكلم عن إيه؟

- حنان قالت لي إن الخبر اتسرب للإعلام.

(29)

ملّ نادر من مشاهدة الفيديوهات على الفيسبوك، ومن التلفاز، ومن الأكل الفندقي. بالرغم من فخامة سجنه وجمال إطلالته؛ فإنه ما زال سجنًا؛ حيث إن حازم منعه من الخروج بعد أن تأكد بنسبة كبيرة من تعرُّضه لمحاولة اغتيال حقيقية.

فتح حساب تويتر البديل الذي كان قد أنشأه باسم غير اسمه، واستخدم له صورة شاب مكسيكي بملامح تبدو مصرية، وتصفح الرسائل ليجد أن اثنتين من متابعاته أرسلتا تسألان عن سبب اختفائه لعدة أيام. رد عليهما شاكرًا، ومعللًا غيابه بانشغاله بالعمل، ومله من البرنامج. ثم اختار أن يكتب تغريدة جديدة وأخذ يفكر في شيء يكتبه. كان يفتقد التواصل في وحدته القاسية، ولكنه لا يرغب في الكلام مع شخص يعرفه، وهو ما دفعه لإنشاء حساب باسم مستعار على تويتر؛ رَغَب في أن يتواصل مع الناس دون أن يعلم أحد أنه نادر عبد القادر.

كتب:

أنا لوّنت زنزانتي كتير ألوان

وأنا اللي رسمتني باضحك وأنا زعلان

ومرّة رسمت أصحابي في وحدِة موت

وياما مسكت أعصابي وأنا مضغوط

أنا اللي بكيت مع نفسي بصوت عالي

وأنا اللي ضحكت ويّا الناس على حالي

وأنا اللي دموعي ما بتبانش لخيالي

ودايمًا ردي «زي الفل» كل ما باتسئِل «ما لي؟»

سقطت منه دمعة رغمًا عنه وهو يكتب ما خرج منه من كلمات، تجاهلها، وأرسل التغريدة بعد أن راجعها ليتأكد من خلوّها من الأخطاء الإملائية، ثم أخذ يتصفح التغريدات أمامه، مُعلقًا على بعضها، وعلى بعض الأخبار، شاغلًا نفسه، قدر الإمكان، عن نفسه.

جاءته رسالة من حازم يؤكد فيها أنه بحث في أمر كل مَن تصوّر نادر أنهم يرغبون في قتله حد إقبالهم على المحاولة، وأنه وجد أن أحدًا منهم لا يستطيع أن يُنفِّذ محاولة اغتيال مثل تلك التي تعرَّض لها نادر إلا طليق عشيقته هيام، ولكنه خارج البلاد منذ أكثر من شهر. وأخبره أنه يراجع تسجيلات كاميرات المراقبة الموجودة حول منزله؛ أملًا في الوصول لصورة للرجل قد تدلهم على هويّته، وطلب منه حازم في

رسالته ألا يخاطر بالظهور حتى يتم القبض على مَن حاول قتله.

تجاهل نادر رسالة أخرى من حنان، وآثر عدم الرد؛ حتى لا يدفعها صوته المكتئب الحزين لتتصل به وهو في هذه الحالة؛ حتى لا يضايقها. ولكنه فتح رسالة داليدا التي احتوت على رابط لخبر على موقع جريدة مشهورة يتحدث عن محاولة اغتيال الكاتب الأكثر مبيعًا على يد أحد قُرّائه المهوسين به. وتضمّن الخبر تعليقًا من داليدا «ناشرته» كما وصفها الصحفي، قالت فيه: «إن الجهات الرسمية تبحث في ملابسات الحادث». وإنها؛ أي داليدا «لا يمكنها تسريب تفاصيل الحادثة قبل انتهاء الجهات الرسمية من التحقيق». وكأنها لم تُسرِّب الخبر! وردًا على سؤال الصحفي عن سلامة نادر؛ قالت: «نادر بخير، وهو حاليًا في مكان آمن تنفيذًا لتوصية المُحقق المسئول عن كشف هوية المُعتدي».

لم يهتم نادر بتسريب الخبر، ولا بتأثيره على مبيعاته، التي ارتفعت بشكل جنوني، وهذا ما أكدته رسالة داليدا التي قرأها ولم يرد عليها. حاول أن يبتهج بسبب الأثر الجانبي الجيّد لمحاولة اغتياله، وذكَّره هذا بإصابته بفيروس كورونا منذ شهور، والتي كادت تُودِي بحياته، ولكنها تركته، بعد سبعة أيام قضاها في مستشفى خاص يصارع الموت مدرعًا

بخرطوم الأكسجين، فاقدًا لتسعة كيلوجرامات من وزنه؛ أثر جانبي جيّد!

ولكنه عجز عن رؤية النصف الممتلئ من الكوب هذه المرة.

تكدّر، وشعر بالوحدة أكثر مما كان يشعر بها بالفعل؛ لا يبدو أن أحدًا يهتم بحياة نادر عبد القادر إلا حنان، الوحيدة التي لا يستطيع أن يترك نفسه يحصل عليها؛ لأنه لن يكتفي بواحدة، هو يعلم هذا، وحنان تعلم هذا، ولكن حبها له، لسبب ما، كان أقوى من رغبتها الفطرية في حماية نفسها، وتأمينها ممن يشبهونه.

وجد أن خبر محاولة اغتياله قد وجد طريقه لبرنامج تويتر، وأن الجمهور قد أطلق هاشتاج «#اغتيال-نادر»، فشرع يقرأ التغريدات، التي كانت معظمها تطعن في صحة الخبر، وتتهمه، أي نادر، بتلفيق المحاولة لجذب الأضواء.

«**منطقي**» فكّر.

زادته قراءة تعليقات الجمهور على خبر محاولة اغتياله بؤسًا، وشعر بأنه حبيس آراء الناس فيه. أراد أن يدافع عن نفسه، ولكن كيف؟ كان السبيل الوحيد لهذا هو القبض على الرجل، وهو ما لا يستطيعه.

كيف يقبض على رجل حاول قتله بطريقة ابتكرها هو؟

توقفت أفكاره كلها دفعة واحدة عندما برزت فكرة مجنونة من أعماق خياله الجامح، وأزاحت، كتسونامي، في طريقها كل أفكاره الأخرى. فكرة كان يعلم بوجودها، يشعر بها، ويحاول قدر إمكانه تجاهُلها، ولكن في حالته النفسية الهشة، بسبب الظروف التي يمر بها، قرر أن يتوقف عن محاولة كبتها.

قام والإثارة تدفعه بجنون نحو مصير لا يعلمه، ويرغب فيه.

أرسل رسالة نصيّة لحنان كان يعلم أنها ستفقدها صوابها، ولكنها كانت ضرورية لتبدأ سلسلة من الأحداث، ستنتهي، إذا جرت الأمور كما خَطط لها، بنهاية سعيدة قلّما قدَّمها نادر عبد القادر لجمهوره على الورق.

النهاية السعيدة هنا، تعني نجاته من الموت، والنهاية غير السعيدة ستعني بطبيعة الحال، العكس.

وضع هاتفه على وضع الطيار، وتركه فوق لوحة مفاتيح الكمبيوتر الذي عرضت شاشته نقطة تُومِض وسط خريطة لمحافظة القاهرة، ثم سحب ورقة من أوراق الفندق، وكتب عليها جملة «اعثر عليّ». وتحتها كتب «1012»، وتركها تحت الهاتف فوق لوحة المفاتيح، وغادر الجناح مُسلَّحًا

بجرعة زائدة من الأدرينالين جعلت أطرافه كلها ترتعش.

(30)

فصل من رواية (العاقِبة) للروائي نادر عبد القادر

ارتعش جسده من الغضب. شَعَر بأطرافه تفقد ثباتها. تنفَّس بعُمق. لا بُد من أن يسيطر على انفعاله. اعتصر عجلة القيادة بقوة جعلت أصابعه تفقد لونها. نظر إلى نفسه في مرآة السيارة ليُجبِر نفسه على الابتسام كعادته عندما يشعر بخروج ملامحه عن طوعه، وحاول أن يتجاهل الجرح الذي سيترك ندبة لن يمحوها الزمن، ولكن رؤيته للجرح زادته غضبًا على غضب. فشل في أن يبتسم، أو يهدأ. شعر برغبة حارقة في أن يقف على جانب الطريق، وينزل من السيارة، ويفتح حقيبتها الخلفية، ويفرغ خزانة مسدسه في جسد الغبي المحشور داخلها. هذا الأحمق الذي ظن فيه نفسه القدرة على القبض عليه، والوحيد الذي استطاع أن يقترب منه لمسافة كافية ليجرحه، وينجو. وكأن الإفلات من العاقِبة ممكن!

سيكسر هذا المغرور الذي تصوَّر أن التفوّق على (العاقِبة) في استطاعة البشر.

«**وهل يُقتَل ملك الموت؟!**» فكّر بغرور، وفرضت فكرته ابتسامة ساخرة على ملامحه، فهدأ قليلًا.

كان الغرور نقطة ضعف (العاقِبة) الوحيدة.

ساذج مَن يظن أنه في إمكانه الانتصار على مَن ليس لديه شيء ليخسره، وهو لديه كل شيء ليخسره.

كانت معركة خاسرة قبل أن تبدأ؛ عندما رأى الضابط أحمد الرجل الذي واجهه قبل يومين، واقفًا بهدوء على باب العقار الذي يسكنه، ثارت كالإعصار أفكاره ووساوسه في رأسه، «كيف عَرِف عنوانه؟!». «هل أصاب أهل بيته مكروه؟!». وقبل أن يأتي بأي ردة فعل، رفع الرجل قميصه ليكشف عن مسدس مخفي تحته، ثم خيَّره بهدوء، بصوت مَن يعرض عرضًا لا يُرفَض على شارٍ مُحتمَل، بين أن يقاوم، ويموت، هو وكل أفراد عائلته من بعده، وبين أن يُسلِّم نفسه له بهدوء ويُجنِّب عائلته، التي لن يراها مرة أخرى، القتل بدم بارد.

استسلم الرجل بشجاعة أثارت إعجاب القاتل وحقده، ولكنها لم تشفع له عند مَن لا قلب له ليلين.

كاد هذا الضابط أن يقبض عليه، فلا بُد من جعله عبرة لمَن يحاول من بعده السير على دربه، حيث أعد له مصيرًا بشعًا، سيجعله يتمنى الموت، ولن يناله إلا بعد عذابٍ سيطول.

كانت هذه هي أول عملية يقوم بها دون تكليف من أحد، فهو قاتل مأجور، يُنفِّذ مهمات انتقامية ممن يُلقِي بهم حظهم

السيئ في طريق الأشرار الذين يعمل معهم، ولكن هذه المرة كانت انتقامًا شخصيًّا من رجل كاد أن يوقفه.

والأهم، من رجل لم يخَفه.

كان (العاقِبة) يفقد أعصابه فورًا في مواجهة أي ضحية ترتعد أمامه خوفًا، كان يحتقر الخوف ويزدريه ويمقته، كان قد أفرغ كل ما بجوفه من خوف في صغره، خاف كثيرًا بسبب أحداث قرر عقله أن يدفنها، ثم توقف فجأة عن الخوف وتحوّل لوحش لا يخاف، وكانت رؤية الخوف على ملامح الناس تُذكِّره بأيام لا يتذكرها، ولكنه يمقتها، وتثير فيه غضبًا حارقًا، فكان بمجرد رؤية الخوف على ملامح ضحية يواجهها يسارع بقتلها عقابًا لها. ولكن هذا الرجل لم يخَفه، خاف منه على أهل بيته، ولكنه لم يخَف على نفسه من القتل.

رجل لم يخَف من (العاقِبة)؛ فاستحق ما أُعِدَ له من مصير.

في بيت مهجور، في منطقة نائية على أطراف محافظة الجيزة، جهَّز غرفة ببطانة عازلة للصوت، ونظام تهوية ليُجدِّد الهواء فيها، وقفصًا حديديًّا مُثبتًا في الأرض في وسطها، وطعامًا مُعلَّبًا وماءً يكفيان رجلًا واحدًا لمدة شهر إذا اقتصد.

بعد أن ألقى عليه نظرة احترام استحقها، ترك الرجل داخل

القفص، بلا كهرباء، ولا أمل في النجاة، وذهب. كمَلَك موتٍ قبض الروح، وترك خلفه جسدًا لا قيمة له إلا لدود الأرض.

(31)

استعد حازم للعودة إلى منزله بعد يوم طويل، أمضاه كله تقريبًا في النظر لشاشة كمبيوتر بطيء، تعرِض لقطات كاميرات المراقبة التي تصادف وجودها حول منزل نادر أملًا في الحصول على صورة للمُعتدي، ولكن بلا نتيجة غير صداع تمكّن من رأسه وشلّ أفكاره. رن هاتفه وظهر اسم حنان على الشاشة، فأجاب. وبعد عدة مُحاولات لتهدئتها ليستطيع أن يفهم منها ما اتصلت لإبلاغه إيّاه، فهم أن نادر أرسل لها رسالة تبدو كرسالة وداع، وأغلق بعدها هاتفه.

اندفع حازم خارجًا من مكتبه كالطلقة.

بدأت سلسلة الأحداث كما خَطّط نادر.

(32)

نزل نادر من سيارة الأجرة التي استقلّها من الفندق، مع نزول الشمس من على عرش السماء، ودخل من باب العقار على ما تبقّى من ضوء النهار الآفل. تحكّم قدر استطاعته في تنفُّسه، وحاول أن يتحكّم في خوفه بدلًا من أن يتحكّم هو فيه ويُعطّله؛ كان يُراهن بحياته على شيء يشعُر به، ولا يمكن التأكد من صحّته إلا بالطريقة الأخطر على الإطلاق، وها هو يفعل.

ترك الرجل، الذي فصله جدار واحد، للحظات، عن نادر، قبل مغادرته، في الأخير، بذرة نمت كعشب ضار في البداية، ثم أصبحت شيئًا حيًّا ينبض بداخله.

صعد نادر إلى شقته، ودخل إلى غرفة مكتبه بسرعة، حتى إنه لم يتوقف لخلع حذائه؛ فلا وقت لديه، كان يعلم، أو بالأحرى يشعر به يقترب؛ فالاتصال الذي بدأ بينهما منذ أيام يعمل بكفاءة عالية. فتح درج مكتبه، والتقط كيسًا صغيرًا من القطيفة السوداء، أخرج منه رقاقة تعقُّب صغيرة، تلك التي ستسمح لحازم، حسبما خطط نادر، بأن يعثر عليه.

سمع صوت باب الشقة يُغلَق، تجمّد من الخوف، بالرغم من توقُّعه ما يحدث. ولكن الخوف لا يعترف بعقل، ولا منطق،

ولا استعداد. الخوف يُجمِّد، ويشل، وأحيانًا يقتل.

أخفى الرقاقة في جيبه الخلفي وانتظر وبصره مُعلَّق بباب المكتب المفتوح.

مرت الثواني التي انتظر فيها نادر ظهور الزائر كدهر توقف لإذلاله، ومع مرور الثواني ازدادت رغبة نادر في لقاء مَلَك موته، فانتهاء الخوف بأبشع مصير، أرحم من انتظار المجهول تحت وطأته التي لا ترحم.

ظهر؛ لأنه، على عكس المرة السابقة، كان مُستعدًّا لهذه المواجهة.

كان أول ما رآه نادر من الغريب هو الندبة التي تُميِّز ملامح وجه (العاقِبة)، تبدأ من عند وسط أذنه اليُمنى وتنتهي عند ذقنه، الندبة التي أعطاها له الضابط الشريف أحمد، الذي لقى مصيرًا بشعًا؛ الموت جوعًا في قفص حديدي، وكُتِب في عداد المفقودين حتى عَثَر عليه مقاول بالصدفة بعد شهور.

مهلًا!

توقّفت أفكار نادر فجأة عند هذا الحد، قبل أن يغرق في مستنقع خياله الذي كان يسحبه إلى أسفل ببطء كبحيرة من الرمال المتحركة، أحمد مَن؟! الضابط أحمد هذا شخصية خيالية، ولكنه يرى أمامه الآن ما فعلت يداه، ندبة حقيقية

على وجه حقيقي، يقف صاحبه الآن أمام نادر صامتًا.

قليل الكلام كما خلقه نادر من خيال خصب، وكأنه بصمته يعطي لنادر فرصة لاستيعاب ما لا يُمكن استيعابه.

نظر إلى نادر نظرة حملت الكثير من المشاعر، لم يستطِع نادر تفسيرها، لمح طيف خوف هناك، وإجلال، «**مَن يخاف مَن!**» مرّ هذا التساؤل سريعًا، كما مرت اللحظات الأولى من اللقاء الأول، حتى قطعها الرجل بخيار قدَّمه لنادر بين أن يأتي معه دون مُقاوَمة، وبين أن يتلقى رصاصتين في ركبتيه الآن تعجّزانه ما تبقى له من عمره القصير، والذي سيطول فقط حتى يسمع خبر مقتل كل أصدقائه، ثم ينتهي برصاصة ثالثة في منتصف جبهته. ولم يحتَج حتى لإظهار مُسدسه، عَلِمَ نادر أنه هناك، تحت قميصه الأسود.

سار نادر مُستسلمًا نحو مُهدِّده، وشعر بوعيه؛ من فرط خوفه، يحاول مفارقته هاربًا، ولم يلُمه. قاده الرجل إلى صالة الشقة، وأشار إلى حقيبة سوداء، وطلب من نادر أن يخلع ملابسه بالكامل، ويلبس ما في الحقيبة التي جاء بها الرجل، قاتلًا محاولة نادر خداعه في مهدها. نفَّذ نادر تعليمات الرجل الذي لم يرفع عينه عنه، فلم يستطِع نقل الرقاقة من ملابسه للملابس التي جاء بها الرجل، الذي استعجله أكثر من مرة، ثم نزل معه إلى الشارع.

كان الغروب قد تم، وبدت السماء أقتم من المُعتاد.

سارا معًا نحو سيّارة الرجل حسب تعليماته التي نفَّذها نادر حرفيًا، حملت لوحة السيارة في مقدمتها ثلاثة حروف هي: (هـ ل ع). فابتسم نادر رغمًا عنه من المفارقة، وكتب في رأسه ملاحظة استخدام لوحات السيارات كرموز في أعماله اللاحقة، إذا نجا. وقبل أن يركب في الكنبة الخلفية، قيَّد الرجل يديه في بعضهما خلف ظهره برباط بلاستيكي، وأغلق قفل الأطفال في الباب، الذي يلغي إمكانية فتح الباب من الداخل، وحذَّر نادر من عاقِبة أي محاولة للهروب.

عصفت الأفكار بنادر، وضربته تساؤلاته التي لا إجابات لها بعنف.

قاد الرجل السيارة مُلتزمًا بالسرعة القصوى لكل طريق يسير فيه، خرج من مصر الجديدة عبر طريق صلاح سالم، منه إلى محور جوزيف تيتو، ثم ارتقى كوبري الحرفيين نزولًا إلى طريق الإسماعيلية.

- طب ممكن أفهم ليه؟ قال نادر بصوت بدا له غريبًا من فرط ارتعاشه.

لا جواب. حتى إن الرجل لم يُبدِ أي ردة فِعل تشير إلى أنه سمع السؤال من الأساس.

- أنا وأنت عارفين. خرج صوت نادر متماسكًا هذه المرة. إن أنا مش هاخرج عايش من المكان اللي أنا رايحه؛ فأظن من أبسط حقوقي إجابات على أسئلتي.

نظر الرجل لنادر عبر مرآة السيارة للحظة، نظرة أفلتت منه رغمًا عنه، بدا هذا واضحًا في زفرة ضيقه التي أعقبت إعادة تركيز بصره على الطريق.

«**هناك أمل**». قال نادر في سِرّه، وتعلَّق بالأمل الضعيف:

- الراجل اللي عملت فيه كده قبلي. خرج صوت نادر مُتردِّدًا مُفتقِدًا للاقتناع. كان عارف هو حصل فيه كده ليه. أنا من حقّي أعرف السبب. حتى محكوم الإعدام بيسألوه نِفسك في إيه.

مرّت دقيقة صمت، شعر نادر خلالها بأفكار الرجل تستجيب، لا يعلم سببًا لشعوره، ولكنه عَلِم قبل أن ينطق الرجل، بثانية واحدة، أنه سيتكلم:

- سؤال واحد. قال الرجل الذي بدا مُستمتعًا وكأنه يلعب. المحكوم بالإعدام بتكون له أمنية واحدة، هاسمح لك بسؤال واحد.

كان ما قاله مُتوقَّعًا لنادر بشكل غريب، فقال وكأنه حضَّر سؤاله سلفًا:

- أنت مين؟ وتسارعت أنفاس نادر؛ لعِلمه باقتراب الجواب الذي يخشاه.

- أنت عارف أنا مين.

- إزاي؟ سأل نادر بصوت متهدّج وكأنه على وشك البكاء من فرط حيرته.

«هل حقًّا يحدث ما أظنّه يحدث؟ أو أن عقلي يُفقِدني على مهل الصواب؟!».

- ده سؤال تاني. وهز رأسه الرجل. أنت مسمـ...

- أنت ما جاوبتش السؤال الأول، أنت قلت إني عارف أنت مين، دي مش إجابة. قاطعه نادر بعناد. إزاي؟ هو ده سؤالي.

دقيقة صمت مرّت كانت خلالها عينا الرجل تعلنان بوضوح أنه يُفكّر، عَلِم نادر بالوسيلة الغريبة نفسها التي عَلِم بها أن الغريب سيتحدث قبل أن يفعل، عبر اتصال نشأ بينهما، ولم ينقطع، أنه سيقول ما قاله، إن الرجل لا يُفكر في الإجابة نفسها، بل يُفكر في الإفصاح عنها.

«الآن». قال نادر لنفسه وأنفاسه تتسارع.

- الدكتور فريد.

فتح فمه؛ ليستفسر عن معنى ما قاله الرجل، ولكن خياله قدَّم التفسير سابقًا فمه الذي نسي نادر إغلاقه من فرط ذهوله؛ التفسير الذي جاء من أبعد منطقة في أطراف خيال نادر الخصب والفسيح كالكون. المنطقة التي لم يظُن نادر أنها موجودة من شدّة ابتعادها عن الممكن.

***

قاد حازم سيارة والده بأقصى سرعة ممكنة. كاد أن يتسبب في أكثر من حادثة بسبب تهوُّره، وذكَّره فلاش كاميرا الرادار الواقع في منتصف محور جوزيف تيتو أنه مرّ به متجاوزًا السرعة القانونية؛ فقام، على عكس ما يفعل الناس عادةً عند تصويرهم بكاميرا الرادار، بالضغط على دوّاسة البنزين، وكأنه يرغَب في أن يُسجِّل عليه أنه حاول قدر إمكانه. ولكن حاول ماذا؟ هو لا يفهم من الأساس ما يقوم به، ولكنه يعلم، بشكل ما، أن حياة نادر تعتمد على استطاعته أن يعثر عليه قبل فوات الأوان.

«هذا رجل يرغب في الموت بالتأكيد!».

***

أوقف الرجل السيارة في مربع تحيطه هياكل عمارات من كل الاتجاهات، غابة من الأعمدة الإسمنتية تحيط بمساحة

فارغة ستصبح في المستقبل حديقة. فتح باب السيارة الخلفي، وانتظر نزول نادر الذي نظر حوله فلم يرَ سوى الإسمنت، ولم يسمع غير نباح كلاب آتٍ من بعيد.

ما لفت نظر نادر أن كل العمارات المحيطة بهما كانت بلا جدران.

«أين أخفى قبري الحديدي؟!».

قاد الرجل نادر للصعود إلى سطح إحدى العمارات. كان الصعود شاقًّا بسبب الطوب، وعدم استواء الأرض والظلام. وقع نادر أكثر من مرة، ولم تسعفه يداه المربوطتان خلف ظهره، ارتجف وهو يخطو أولى خطواته فوق سطح العمارة غير المُسَوَّر، بعد أن نظر حوله وبحث جيّدًا. لا شيء سوى الطوب، ومُخلَّفات بناءٍ توقَّف، وأسياخ حديد تبرز من الأرض مشيرةً للسماء كأيادٍ تطلب الخلاص لأرواح دُفِنت قبل أوانها.

أخرج القاتل مسدسه المُزوّد بكاتم للصوت من تحت قميصه وأشار بفوّهته لضحيته على حجر تموضع في وسط السطح تقريبًا؛ فذكَّر المشهد نادر بساحة قصر البلدية في فرنسا، أو ساحة التحرير، وتخيَّل نفسه الملك (لويس السادس عشر)، وأنه سينام الآن على بطنه وسيضع رقبته على الحجر لقصلها، ولكن غياب الجمهور المجنون، والمقصلة، أعاداه للواقع، الذي لم يقل جنونًا عن مشهد

المقصلة.

- طب ممكن أفهم ليه؟ قال نادر وهو يجلس. واضح كده إن دي آخر مرة هاتكلم فيها قبل ما آ... وترك سكون الليل يكمل جملته.

ترك الرجل أيضًا الليل يجيب تساؤُل نادر، الذي آلمه رأسه، ولكن شعوره الأقسى كان الخوف من الموت، بالرغم من أنه فقد رغبته في الحياة منذ فترة طويلة، وبالرغم من أنه عندما قدَّم نفسه طواعيةً كطُعم لهذا المفترس كان جزء منه يراها فرصة للخلاص من سجنه الذي بدا أبديًّا في جسد خنق روحه كالكفن حد منعها من الحياة. ولكنه عند اقتراب الموت شعر برهبة لم يشعر بها من قبل، رهبة تجري تحت جلده، حقيقية وملموسة، وكأنه يشعر بالوجود المادي لمَلَك الموت هنا، على سطح العمارة، التي بعد فترة ستصبح مسرح جريمة مقتله، وسيحاوطها رجال البحث الجنائي، والأدلة الجنائية، والطب الشرعي، للبحث في مُلابسات جريمة أغرب من أن تُفَسَّر، وتساءل في نفسه هل سيحزن عليه النقيب حازم الشريف؟ الرجل الذي سيأتي بعد قليل إلى هنا ليحقق في مقتله. هل اعتبره حازم صديقًا؟ أو أن الود الذي وجده فيه تجاهه كان لأن والديه أحسنا تربيته؟ كان حازم هو أقرب شيء لصديق حصل عليه نادر منذ زمن

بعيد، ولكن بالتأكيد كان لحازم أصدقاء حقيقيون.

لا أحد بائس كفاية ليكون مثل نادر.

نفض نادر رأسه؛ كان خياله، كعادته عند المواقف الصعبة، يهرب به بعيدًا؛ كنوع من الحماية.

لكن خياله اليوم لن يحميه، بل سيقتله.

حرفيًا.

ابتسم نادر، برغم خوفه، بسبب سخافة الفكرة.

«كاتب قتله خياله».

استفزت ابتسامته الرجل صاحب المُسدس، وبالرغم من عدم تمكُّن نادر من رؤية ملامحه بسبب الظلام، فقد كان يشعر بالغضب يتسلل إليها، لم يعلم هل كانت لغة جسده هي ما كشفت عن غضبه، أو أن الفضل في ذلك يرجع للاتصال الغريب الواقع بينهما؟

- بتضحك؟ سأل الرجل بصوت مُستفَز خافِت.

كان غضبه يخرج في صورة انتقام يُقدَّم باردًا، هكذا خلقه نادر، وهكذا كان.

«خلقه نادر؟! صحيح!».

شلّ الخوف تفكير نادر لفترة، ولكن ابتسامته، التي استفزت بالصدفة مُهَدِّده، ذكَّرته بأنه يمتلك اليد العُليا هنا، بالرغم من أن كل شيء كان يقول العكس؛ فهو يعرف هذا الرجل حق المعرفة، يعلم ما يُسِر وما يُعلِن، يعلم نواياه، وأسلوبه، وطريقة تفكيره، ودوافعه، وحتى أحلامه.

والأهم، يعلم نقاط ضعفه.

مَن يعلم عن المرء أكثر من خالقه؟

دفن نادر خوفه عميقًا داخله، تحت قناع أجاد إظهاره واعتاده بعد سنوات من التدريب في مواجهة الجمهور غير المتوقع.

- وما أضحكش ليه؟ قال بصوت استجاب لصاحبه وخرج متماسكًا وهازئًا. أنا راجل كل حاجة بتقول إنه في حكم الميّت. ما أضحكش ليه؟

- مش خايف؟ سأل بفضول حقيقي.

- منّك؟ ولّا من الموت؟

- أنا هنا اللي باسأل، وأنت تجاوب.

- وأنا ما ليش حق أسأل؟ ماطَل نادر.

رفع الرجل مُسدسه إلى وضع التصويب، ووجهه نحو جبهة

نادر، الذي لم يهتز، ضبط تنفُّسه، وتحكَّم في جسده، وأخفى رعشة كادت تُفتِّت قناعه، وتمنع إقناعه. ولكن ما ساعَد نادر حقًّا أنه، في قرارة نفسه، كان يعلم علم اليقين أن الرجل لن يقتله إلا بعد أن يراه خائفًا.

«كان الغرور نقطة ضعف (العاقِبة) الوحيدة».

تذكَّر نادر جملته التي كتبها منذ سنوات، حتى إنه تذكَّر اليوم الذي كتبها فيه، وتذكّر أنه توقف عندها عن الكتابة، وقام ليعِد لنفسه قهوة مانو؛ لأنه وقتها كان يشربها بملعقة ونصف من السكر.

كانت أيام غرقتُ فيها في السذاجة، وعشتُها مقتنعًا أن نادر عبد القادر سيحيا للأبد، وأن الدنيا كانت مِلك يمينه.

كان نادر الآن في حياة أخرى، وكأنه مات وبُعِث حيًّا، ويُحاسَب، ولكن لم يكُن خالقه مَن يُحاسبه، بل مخلوقه.

نظَر نادر الآن إلى نادر الآخر الذي كتب هذه الجملة، التي لم يتصوّر يومًا أنها ستنقذه من الموت، بشفقة حقيقية، واتسعت ابتسامته المُشفقة، والتي بدت لصاحب المُسدس هازئة؛ فازداد غضبه، وهو ما أطال عمر نادر عبد القادر للمزيد من الدقائق.

- بس للأمانة. قال نادر مُحافِظًا على هدوئه وابتسامته.

فيه حاجة مخوّفاني.

واستطرد بعد أن اكتشف أن الرجل لن يسأله عنها:

- إني أموت من غير ما أعرف السبب. ثم قال مُستمرًا في المماطلة:

- ما فيش سبب منطقي يخلّيك تقتلني. ورفع كتفيه اعتراضًا.

- بالعكس. قال الرجل الذي كان الآن يُوجِّه مسدسه لصدر نادر بدلًا من جبهته بعد أن تراخت ذراعه دون قصد منه. ما فيش شيء منطقي أكتر من وجودي هنا دلوقت، باعمل اللي باعمله ده بالظبط. قال ورفع مُسدسه مرة أخرى نحو جبهة نادر، ثم أكمل:

- مش طبّاخ السم بيدوقه؟

لم يبدُ على نادر أنه فهم ما قيل؛ فاستطرد الرجل مُوضِّحًا:

- أنت عارف كام واحد وواحدة حياتهم اتدمرت بسبب رواياتك؟

بدأت أنفاس الرجل تتسارع، ويعلو صوتها، وأذابت حرارة انفعال الرجل برودة صوته المعتادة.

- طب عُمرك فكّرت في مصير شخصياتك، وفي شكل العالم

بتاعهم اللي مليته شر حد التُّخمة؟ عُمرك سألت نفسك عن عاقِبة كل الشر اللي بتتباهى إن رواياتك مليانة بيه؟ شَغل بالك مصير البنات اللي هتحب نموذج الأشرار اللي دايمًا بتقدمهم في أعمالك على إنهم أبطال؟ أو مصير الشباب اللي هتحب المُخدرات اللي قدِّمتها على إنها دوا في رواية **(المستوى التالي)**؟

كان كل سؤال يخرج بنبرة أعلى من سابقه، ثم صمت لبرهة احتاج لها ليهدأ، ثم عاد ليقول بصوت عادت له برودته، وزاد عليها الاستهزاء والاحتقار:

- بتكتب من خيال شرير ومريض؛ لأنك مكبوت ومُزيَّف، وبتستغل موهبتك إنك تقنع الناس إن الشر هو الحل. ويا ريته يصلُح للتطبيق. زي بالظبط ما كتبت إني بنيت قفص وسبت فيه الظابط. أنت عارف عشان أنفذ اللي كتبته ده في الواقع محتاج لوقت ومجهود قد إيه؟ ده غير إنه لا يُمكن ما حدش يلاحظ ويبلَّغ عني. أي كلام! بتكتب أي كلام! وللأسف الناس بتصدق؛ لأنك بيّاع كلام شاطر، زي ما بتقول على نفسك.

غرق نادر في ذهوله، غير قادر على الرد، وأنساه حوار الرجل ما كان يدّعيه من عدم خوف واستهتار. وبعد دقيقة صمت قال نادر:

- أنت مجنون يا...

ثم تذكَّر ألّا اسم له.

- ... يا جدع أنت؟ إيه التخريف اللي بتقوله ده؟ أنت عاوز تحاسبني على الأدب والإبداع؟ ولّا على سذاجة بعض القُرّاء؟

- أمال أحاسب مين؟

- ما هو فيه ملايين قروا لي، وحياتهم ما اتدمرتش.

- جايب الثقة دي منين؟ إحنا، شخصياتك، اللي بنشوف تأثير أعمالك على أرواح قُرّائك؛ لأننا جزء منهم. أنت ما تعرفش عنهم حاجة. قُرّاؤك عندك مُجرد رقم، عدد بيزيد عشان فلوسك وغرورك يزيدوا، وشرّك يقوى. لكن إحنا اللي عايشين معاهم وحاسين، ويا ريت في إيدينا حاجة.

- أنت زي اللي بيحاسب مخترع الإنترنت على كل اللي بيستخدمه في الشر! استهجنَ نادر.

- ومين قال إن ده مش هيحصل؟ كل حد عمل شيء سبِّب ضرر هيتحاسب عليه. لكل فعل رد فعل. ده قانون الارتداد.

- يا سلام! قال نادر وقام مشوِّحًا برأسه في وجه الرجل؛ نسي أنه يحمل مسدسًا وينوي قتله، وكذا فعل الرجل، نسي،

ابتلعهما الجدال فأنساهما موقفهما.

- شوف مين اللي بيتكلم! أنت نسيت أنت إيه؟ قال نادر بغضب. أنت قتّال قُتلة. مُرتَزق. لو قانون الارتداد حقيقي وعادل، أنت المفروض تتسلخ حيّ.

- ده لو كنت مُخيَّر. شاب صوت الرجل بعض الانكسار لم يتصوّره، ولم يضعه نادر فيه أبدًا. أنت اللي خلقتني كده. كل حاجة أنا عملتها أو هاعملها، أنت السبب فيها، وأنت اللي هتتحاسب عليها.

ارتعد نادر من الفكرة؛ كان دائم التفاخُر بأنه صاحب عقل شرير يليق بشيطان، وأنه لولا اختياره الكتابة لكانت جهنم مصيره المحتوم؛ بسبب ما كان سيفعله بدلًا منها، ولكن ماذا لو كان الشر الذي ينثره، كحبوب لقاح، على الورق، يجد ما يُلقِّحه من عقول مريضة؟ هل سيُسأَل عن أفعالها؟ سرى هذا السؤال في جسده حارقًا روحه. ولكن لا وقت الآن للتأمُّل، يجب أن يستمر في المماطلة، لا يجب أن يصمُت، تمالك نفسه، وقال:

- أنت تبقى مُسيَّر في حالة واحدة. خرج صوته مهزوزًا كحاله. لو ما عندكش القدرة تاخُد قرار بإرادة حُرة.

- هوّ ده اللي أنا هنا عشان أعمله، عشان أخرج من أسرك،

وأنقذ كل ضحاياك منك. ورفع مُسدسه نحو جبهة نادر، الذي عَلِم أن الرجل سيقتله؛ فدافع عن نفسه يائسًا:

- ما أنت عملت كده خلاص. قال وهو يشيح بوجهه ليحميه. في اللحظة اللي خرجت فيها من الخيال اللي خلقتك فيه، وجيت هنا، أنت بقيت مُخيَّر، وبقيت مسئول عن أفعالك. أنت بقيت حُر بالفعل، وجودك هنا أكبر دليل على كلامي.

خرجت جملة نادر الأخيرة دون وعي منه، سمعها من نفسه كما سمعها الرجل، كان لاوعيه يساعده لينجو بابتكار حيَل للهروب؛ ولكن هل كانت هذه مُجرد حيلة؟ بدا كلامه منطقيًّا له، وهزّت الجملة ومنطقها ثقة الرجل بقوّة، وبدا أنه يفكّر فيها، ومثله كان يفعل نادر.

كانا غريقين في دوامة من عدم اليقين، ولن ينجو أحدهما منها إلا على جثة الآخر.

حسم الرجل أمره، وقال قبل أن يضغط على الزناد:

- حتى لو كلامك صح، أنا مش هنا عشان أنقذ نفسي بس، أنا هنا عشان أنقذ كل شخصياتك، اللي لسة مُسيَّرين، من شرّك.

رأى نادر القرار في عينه، وأدرك، عبر اتصالهما، أن وقت

رحيله قد حان، ولم يكره لحظتها إلا أن جمهوره لن يعلم أن نادر عبد القادر قُتِل على يد مَن خلق.

وجدت ابتسامة رضا طريقها إلى وجهه عندما أدرك، قبل أن يشق صوت الرصاصة سكون الليل، إن ما حدث الآن يستحق الموت في سبيله؛ مُقابلة (العاقِبة).

عاقِبته.

وابتسم أيضًا لأنه كان يشعُر أنه، بشكل ما، يستحق ما يواجهه من مصير. العدل مُريح، حتى لو كان حُكمًا بالإعدام، ربَّتت هذه الفكرة على روحه، وجاء معها سكون مُخدِّر.

أغمض عينه انتظارًا للشعور بالرصاصة تخترق رأسه، الشعور الذي وصفه كثيرًا في رواياته، وتمنى أن يعيش بعد اختراقها لمخه فترة كافية ويشعر به، ليعلم إذا كان قد أجاد وصفه، أم لا.

(33)

أبقى نادر عينيه مغمضتين، وانتظر رصاصة لم تأتِ. أتى صوتها نافضًا جسده كبساط يُنظَّف، ولكن الرصاصة نفسها لم تأتِ، هل اخترقته ولم يشعُر؟ هو سمعها بالتأكيد، فصوتها شق سكون الليل بصخب مخيف كالرعد.

«**كاتمًا للصوت!**» تذكَّر.

فتح نادر عينيه على اتساعها، كان الرجل أمامه، ولكنه كان ينظُر بعيدًا، نحو سلم العمارة، نظر إلى هناك، فرأى حازم مُصوِّبًا مُسدسه نحو الرجل، وسمعه يقول بصوت يليق باسم صاحبه:

- ارمِ سلاحك على الأرض، وادِّي لي ضهرك، واقعد على رُكبك.

انهار نادر على الحجر، كان سقوطًا أكثر منه جلوسًا. تماسك لوقت أطول مما يستطيع، مط قدرته على التحمل لأقصى درجة ممكنة، فلم يتبقَّ له حتى ما يستطيع به الجلوس؛ فسقط.

بكى كما لم يبكِ من قبل؛ بكى لأنه نجا، بكى لأن امتحانه الصعب لم ينتهِ بعد؛ لأنه ما زال مُطالَبًا بالادعاء، ومجاهدة نفسه، ومصاحبة الوحدة المقيتة، والاستمرار في تمثيل دوره

السخيف على مسرح الشهرة، تحت أضواء تحرِق بقدر ما تُضيء، أمام جمهور يحتقره.

وبكى لأنه أُنقِذ، لأنه لأول مرة يشعُر بجمال أن يُنقَذ، لأول مرة يشعر بدفء أن يبذُل أحدهم المجهود الكافي لينتشله من مصير محتوم ومُستحَق. استحق نادر أن يموت؛ لأن رصيده لا يكفي للاستمرار، ولكن هناك مَن كان له رأي آخر، وكأنه أعاره من رصيده الخاص.

تساءل تساؤلًا زاد من بكائه، هل أنقذه حازم لأنه كان يؤدي عمله؟ أو أنه أراد حقًّا أن يبقى نادر معه في نفس الحياة؟

بكى حاله، وبؤسه، ورثاءً لكرامته؛ التي أشعره شعوره بأن بؤسه مرئيّ، بأنها أُهدِرَت على هذا السطح المهجور كحياته.

فات مشهد القبض على (العاقِبة) نادر، ولم يستعِد زمام وعيه إلا وحازم يعطيه هاتفه ويخبره أن حنان ترغب في الاطمئنان عليه، كان يسمع الأصوات من حوله بعيدة وكأنه تحت الماء. عزلته الصدمة داخل فُقاعة من التيه. لم يفهم شيئًا من كلامها، الذي تاه وسط بكاءٍ فرح لم يشبه بكاءه. وتمكّن من قول بعض الكلمات المُعلَّبة لطمأنتها وهو ينظُر نحو (العاقِبة) المُكبّل في سيارة حازم بنظرة ساهمًا.

كان يشعُر أنه لا يستحق الإفلات، لا يستحق الفُرصة التي

أُتيحَت له؛ العقاب عامةً فِعل قد يكون في ظاهره العُنف، ولكن في باطنه الرحمة، لأنه يُصحِّح، ويُنقِذ، ويمنع، ويَعِظ، ولكن الإفلات من العقاب لا يزيد المُفلِت إلا تجبُّرًا.

أشعره مرأى «عاقِبته» مُكبَّلًا أن فرصة إنقاذه من نفسه قد ضاعت، وبأنه ملعون بشرِّه.

شَعَر بغضب الرجل، وإحباطه، وصدمته، وكأنه ترك جزءًا حيًّا منه داخله يصرخ فيه.

سقطت دموعه على وجهه مرة أخرى، ولكن لأسباب مُختلفة.

(34)

انتفض نادر على سريره عندما نقر أحدهم على باب جناحه الفندقي، جاءه الصوت الخافت الخجول في وسط بحيرة أفكاره صاخبًا كصوت رصاصة التحذير التي أطلقها حازم في الهواء مُهدِّدًا المجنون الذي كان على وشك قتله.

فتح الباب مُختبئًا خلفه؛ لأنه لم يكُن مرتديًا سوى بنطلون رياضي، لتندفع حنان كموجة بحر نحوه، وألقت نفسها في حضنه وكأنه الحياة، وكادت، لولا تماسُكه، أن تُسقِطه أرضًا.

هاله السكون الذي سكنه لحظتها. صمَت العالم، وهدأت أفكاره، وشعر لأول مرة منذ وُلِد بالانتماء. بالعودة إلى وطنٍ فارقه عُمرًا. سمع بكاءها كمعزوفة موسيقية حزينة كُتِبت رثاءً لحاله. حاول منع دموعه من الإفصاح عمّا ألمَّ به، وعجز. حاولت هي أن تتحدث، وعجزت، فتشبثت به أكثر وكأن جسدها سيُخبِره بما عجز عنه لسانها إذا اقترب أكثر، فتجاوب، متردِّدًا في البداية، ثم اقترب، عندما شَعَر بكلامها يصله بالفعل عبر أنفاسها، طلبًا للمزيد.

أغلق الباب خلفها، فقطع صوت إغلاقه لحظة ميلاد شيء ما، لم يستطِع نادر فهمه في حينه، رفعت حنان رأسها لتنظُر إليه، فاحتضن وجهها، وقال مُطمئنًا:

- ما تخافيش.

- خُفت عليك. قالت بصوت متهدّج. أنا ما أقدرش أعيش من غيرك.

- ما تخافيش. قال وهو يمسح دموعها. تعالي.

توجه نحو شرفة الجناح، ساحبًا إيّاها خلفه بكفه مشبوكًا في كفّها، وأجلسها كطفلة، وهي تنظُر إليه وكأنها تشاهد سحرًا باهرًا. دخل إلى الجناح، وعاد مرتديًا قميصًا أبيض بكُم قصير، وحاملًا زجاجة مياه، وفتحها وناولها لها، وجلس يشاهدها وهي تشرب.

- كده يا نادر؟ لامته بعد أن شربت.

أفصحت ملامحه عن خجل حل به.

- أنت عاوز تموت؟ هتسيبني لمين؟ أنت عارف إنـ...

- ما تخافيش. قال مُقاطعًا. أنا مش رايح في حتة.

- عملت كده ليه؟

- كنت لازم أعرف، كنت محتاج أعرف ليه.

- وعرفت؟

تنهّد بعمق متذكرًا ما دار بينه وبين الرجل، ثم هرب من

نظراتها التي كانت تقرؤه ككتابٍ مفتوح:

- لأ. كذِب. مُجرد راجل مجنون برواياتي.

شَعَر بيدها تُمسِك يده وبدفء سرى في جسده باعثًا فيه حياة غابت. خاف. سحب كفّه، ولكن برفق؛ حتى لا يؤذيها الصد، وقال:

- بس أنا كنت عامل حسابي. كنت سايب لحازم جهاز تتبُّع عشان يعرف يلحقني. كذِب مرة أُخرى، ثم ابتسم وقال:

- وكنت عارف إنك هتتصلي بيه أول ما أقفل معاكِ. كده أنتِ تُعتبَري أنقذتي حياتي بشكل غير مباشر.

- أنت مجنون.

- دي حاجة كويسة؟

- دي حاجة مجنونة.

- ممكن بقى تقومي تمشي قبل ما تشوفي الجنان بجد؟ وغمز بعينه بشقاوة.

- تؤ.

- ده أنتِ عاوزة تشوفي الجنان بقى. وضحك.

- بس بقى. قالت وسط بحيرة من الخجل صبغت ملامحها

بلون أحمر مثير، ثم قالت:

- عيب.

أشعرته رغبتها فيه برغبته فيها تفور داخله، لم يتصوّر أن يرى حنان، الفتاة التي تكره كل الرجال من كثرة ما رأت منهم من جشع واستغلال ورغبة حيوانية بسبب جمالها وأموال والدها وسلطته، ترغب فيه، بل وعلى استعداد أن تُسلِّم له نفسها؛ من فرط حبها له.

كبح جماح نفسه، ووقف قائلًا بصوت حنون:

- قومي امشي بجد.

لم يزِدها حزمه، وحنان خوفه عليها منه، إلا رغبةً فيه، ولكنها انصاعت مُتجنِّبة النظر إليه؛ حتى لا تفضحها عيناها.

(35)

جلس نادر في شرفة جناحه بعد رحيل حنان، يستمتع بنسمة صيف جاءت تؤنس وحدته، وشاركته هو وقهوته التي أعدَّها منتشيًا بزيارة حنان أفكاره التي كادت أن تكون مسموعة من فرط صخبها.

«أيُعقَل؟!».

تاه متلاطمًا بين منطق يأبى، وأدلة تؤكد، وغرور يُشجِّع، حتى قطعت نقرات متوترة تيهه، فقام ليفتح الباب متوجسًا.

- حمد الله على سلامتك يا مجنون. قالت داليدا وهي تُعِيد هاتفها إلى حقيبتها، وتدخل إلى الجناح مرتدية جينزًا أسود ضيقًا، وبلوزة خضراء بلا أكمام.

لم يسمع نادر أي قلق في صوتها عليه، ولم يتعجّب، فهذه هي طبيعتها، ولهذا اختارها ناشرةً له بعد نجاح عمله الأول مع غيرها، من بين آخرين رغبوا أيضًا في نشر أعماله، بالرغم من أنها لم تكُن أنجحهم، ولكنه اختارها لأنها تناسبه، لأنها تشبهه؛ لا يهمّها سوى النجاح والربح.

ما لمحه بوضوح في صوتها، ولغة جسدها، هو الحماس والإثارة.

«داليدا ترى ربحًا في الأفق!» فكّرَ.

ابتسم، وتبعها إلى الشرفة، جلست فجلس، نظرت لابتسامته وبادلته بمثلها، ولما لم يتحدث بأي شيء قالت:

- أنت ما لَك؟

- ما لي؟ سأل وهو يهز رأسه مُحافِظًا على ابتسامته، التي بدت كابتسامة عجوز زهد الدنيا يشاهد شابًّا يقبل مُندفِعًا عليها.

- مش عارفة، بس فيك حاجة غريبة. ثم صمتت بحثًا عن الكلمات المناسبة وهي ما تزال تنظُر إليه، وكأنها ستجد الكلمات المناسبة بين ملامحه.

- حاجة إيه؟

- عينَك بتلمع.

- أنتِ اللي عينِك بتلمع.

- لأ، أنت فيك حاجة غريبة بتفكرني ببطل رواية (ترنيمة سلام). كان اسمه إيه؟

ضحك نادر ضحكة قصيرة، وأجاب:

- (خالد محفوظ). ما تقلقيش يا دي، أنا مُنهك بس.

- طيب عاوزاك ترتاح بقى؛ عشان الفترة الجاية عندنا شغل كتير.

اعتدلت في جلستها، وقالت بحماس وسعادة لم تحاول إخفاءهما:

- أنت مُتخيِّل اللي حصل ده هيضرب اسمك في السما إزاي؟ أنا ما كنتش ممكن أتصوّر في أسعد أحلامي إن حاجة زي...

توقف نادر عن الاستماع إليها، ولكنه لم يتوقف عن الابتسام، وهي لم تتوقف عن الكلام، بحماسة مراهقة تتحدث عن نجمتها المُفضَّلة، عمّا سيجنيانه من وراء ما حدث، وتساءل: هل داليدا تشبهه حقًّا؟ هل كل ما يهم نادر عبد القادر هو ما سيربحه من هذه المأساة؟ وإذا كان هذا هو كل ما يهمه، لماذا يشعر الآن أن آلاف الأميال تفصل بينه وبين داليدا التي تجلس على بُعد متر واحد منه؟ في حين أنه يشعر أن حنان، التي غادرت جناحه منذ ساعة، ما تزال هنا، تملأ المكان بحضور هائل، يشبه رائحة المطر التي تبقى لساعات بعد توقُّف هطوله.

كان هناك شيء ينمو داخل نادر عبد القادر، ويستحوذ عليه، ويُغيّره، شيء بَعَثَته الرصاصة التي أُطلِقت لقتله، ونجحت في هذا بشكل، لم يكُن ليخطر على بال أحد.

هذا الشيء كان أنا.

(36)

بعد عدة ساعات أمضاها نادر في التقلُّب في سريره بين نوم متقطع، وصحو ناعس، استسلم لعقله الباطن الذي رفض تركه ليرتاح، وغادر السرير وشرع يُعِد لنفسه فنجان قهوة مزدوجًا يصد به هجمات النوم التي عجزت عن اقتحامه، وأبت أن تتركه مستيقظًا.

فتح الباب ليستقبل إفطاره الذي طلبه في الغرفة، وقبل أن يغلق الباب، وصل حازم. فرِح لمجيئه. وطلب من الشاب الذي جاءه بإفطاره إحضار مثله لحازم، وتجاهل رفض الأخير، وحث الشاب على الإسراع.

بعد دقائق، كان أمام كلٍّ من حازم ونادر، في الشُّرفة فنجان قهوة مزدوج أعدّه نادر، وإفطار شهي، ومنظر خلّاب.

- معلش. قال نادر بخجل. إمبارح ما كنتش في حالتي.

شعر نادر بالخجل، وبأنه قد عرّى جزءًا منه بقي محجوبًا طوال عمره؛ بسبب بكائه أمام حازم بعد إنقاذه.

- سيبك من حالتك، وقول لي. قال حازم، مُغيّرًا الموضوع؛ ليُجنِّب نادر الشعور بالإحراج. أنت مجنون يا عم أنت؟!

- ليه بس؟ سأله نادر باسمًا.

- إيه اللي ليه؟ أنت عاوز تموت؟

- فكّرت كتير. أجاب ببساطة. بس ما عنديش الشجاعة.

- يا ساتر. ليه بس؟ أنت راجل ناجح ومحبوب و...

- ده نادر عبد القادر. قاطعته. مش أنا؟

وقبل أن يستفسر حازم، استطرد:

- سيبك سيبك، المهم؛ أنت وصلت لي إزاي؟ سأل نادر وهو يلتقط قطعة خبز.

احترم حازم رغبته في تغيير الموضوع، وأجاب:

- أنا موقّف فرد أمن على باب الفندق بموتوسيكل. وبعد ما حنان كلمتني، اتصلت بيه عشان يطمّن عليك، دخل الأوضة اللي سيادتك سبت بابها مفتوح لقى تليفونك، والورقة، فقلت له يلحقك على الباب ويمشي وراك، وكويس إنه لحقك وأنت بتركب.

- أنت لو ما كُنتـ...

- أيوة. وأومأ برأسه. كان زمانك بتتحاسب دلوقت.

هز نادر رأسه طاردًا من رأسه فكرة أنه كان يُحاسَب فعلًا قبل إنقاذه، وقال:

- يعني أنت أنقذت حياتي. ياه، ده جِمِيل كبير أوي.

- ده شُغلي. أنا ما عملتش حاجة. قال حازم متواضعًا.

تألم نادر لسماعه أنه لا يُمثّل سوى قضية لحازم، ولكنه أخفى ألمه جيّدًا.

- ممكن أعرف الراجل قال لك إيه؟ سأل حازم وهو يُخرِج مُفكرته ويضعها أمامه.

- هو ما قالّكش؟ سأل نادر متجنبًا النظر لحازم مباشرةً.

- ما نطقش ولا كلمة. عمومًا هو اترحّل على النيابة من شوية، وأنا أعرف وكيل النيابة، هابقى أسأله حصل إيه. قال وهو يمضغ إفطاره. ولم يلحظ ملامح الارتياح التي ظهرت على وجه مُضيِّفه.

- بس أنتم كنتم سوا لمدة مش قليلة. أكمل حازم. أنا سمعته بيتكلم وأنا طالع، بس ما ميِّزتش الكلام. كان بيقول لك إيه؟

لم يعرف نادر بماذا يُجيب، كيف يشرح ما حدث؟ وكان يخشى أن يكذب ويقول أي شيء، ثم يتحدث الرجل تحت الضغط ويكشف كذبه. وبعد دقيقة صمت حسم خلالها أمره، قال:

- قال كلام مجانين. إن شغلي بيضُر الناس وخصوصًا السُذَّج من الشباب الصغير، ولازم يخلَّص الناس منّي ومن شرِّي.

(37)

تقاذفته الأفكار في سيارة الترحيلات المليئة بالمُحتجزين، والذباب، واليأس، ورائحة العرق. فشل في مُهِمته الوحيدة. لأول مرة في حياته، إن صح التعبير، يفشل في مهمة واحدة مرتين متتاليتين، ولم يكتفِ بهذا، بل تخلّى عن حذره حتى تم القبض عليه، والآن، لا يعرف ماذا سيحدث، لم يهتم في الحقيقة بما سيحدث له، ولكن ما عذَّبه بحق كان مصير نجاة حبيبته وطوق نجاته، الجميلة التي مثّلت النقطة المُضيئة الوحيدة في عالمه.

شَعَر بوحدة قاسية لم يختبرها من قبل، وهو الذي عاش كل حياته وحيدًا.

تنهّد بعُمق، وعقد العزم على إنقاذ حبيبته، حتى لو كان هذا هو آخر شيء يقوم به في حياته، ولكن كيف؟

«**فكّر**». أمَر نفسه مُغمِضًا عينيه ليعزل نفسه عن واقعه الكريه المُشتّت.

(38)

وقف سليم زميل حازم إلى جوار مكتب الأخير الغارق في مراجعة تقرير تحريات عن السيدة التي اختفى زوجها فجأة، وسأل:

- بتقرا إيه؟

- ولا حاجة. قال ورمى الورق أمامه بغضب، ثم تنهَّد بحنق واستطرد:

- ما فيش أي حاجة منطقية في القصة دي!

التقط سليم التقرير، ثم قال بعد مطالعة استمرت لحظات:

- يا حازم والله هيطلع طفش منها.

- ماشي. طفش راح فين؟ اختفى!

- باقول لك إيه، ما تسحلنيش، أنا ماشي. قال سليم وهو يتحرك صوب الباب. عاوز حاجة؟

رفع حازم يده دون أن ينظر إلى زميله، وشرع يُعِيد التقرير إلى مكانه في الملف، وبدأ في ترتيب مكتبه؛ استعدادًا لمغادرته.

بعد ترتيب مكتبه، أمسك هاتفه ليتصل بصديقه مجدي؛

لأنه شعر برغبة مفاجئة في السهر، ثم تذكَّر أن خروج الأخير من المنزل لا بُد له من تمهيد سابق لزوجته، ولكنه قرر المحاولة على أي حال، وعندما فتح قائمة الاتصالات، وجد نفسه يتصل بنادر عبد القادر بدلًا من مجدي. أجاب نادر قبل أن يسمع حازم حتى صوت أول رنّة:

- ده ما لحقش يرن. ضحك حازم.

- التليفون كان في إيدي. فسّر نادر. إيه؟ جَيّ؟

- فاضي؟

- لا ورايا الديوان.

- طيب، مسافة السكة.

(39)

ألقى نادر هاتفه إلى جواره على السرير وقام بسعادة تليق بمراهق حصل لتوّه على موعدٍ أول من فتاة جميلة تمنى طويلًا مواعدتها. وقف في وسط الجناح لا يعرف ماذا يفعل. لا يريد الجلوس، وليس هناك ما يفعله سوى الانتظار.

كان اتصال حازم غير الرسمي، حسبما بدا لنادر، يحمل وعدًا بصداقة تُولَد، وكان هذا أكثر شيء يفتقده نادر في حياته الصاخبة المتخمة بالوحدة والفراغ.

عاد نادر وأمسك هاتفه، وضغط على أغنية «أنا رايق» لمحمد مُنير، وقام يترنح على إيقاعها المتقطع.

أنا باشا

ببشاشة، عايش الدنيا الغشّاشة

بنت الإيه البكّاشة

أنا بارفُض أعيش متضايق

على كيفي

أنا كيفي، في الشتا إني ألبس صيفي

وفي جيبي يدوب مصاريفي

وأمشي أبعزق وأتعايق

أنا فايق أنا رايق

أنا مبسوط مش متضايق

أمضى نادر الدقائق التي استغرقها وصول حازم بمزاج رائق لا يتذكر متى زاره آخر مرة، ولم يبدُ على ملامح نادر وهو يستقبل ضيفه أنه نجا منذ يوم واحد فقط من محاولة قتل ثانية كادت تنجح. كان سعيدًا بزيارة حازم، خاصةً عندما أكّدت لغة جسد الأخير أنه جاء في زيارة غير رسمية. مُجرد صديق يزور صديقه.

- أنا عاوز قهوة.

- خلاص كده. قال نادر وهو يضحك. أنت بقيت مُدمن.

دخل حازم إلى الشرفة، شعر بنسمة هواء ترقص على مهل حوله، جلس مُستمتعًا بالسكون الذي أصبح في هذا العصر شحيحًا كالأخلاق، وبعد دقائق خرج نادر حاملًا فنجانين، ووضع واحدًا أمام حازم، وجلس ليستمتع بالسكون هو الآخر، ولكنه استمتع أكثر بالصُّحبة، الشيء الذي افتقده كما يفتقد الزرع الماء، وما أسعده أكثر من الصُّحبة أن حازم بدا مُستمتعًا بها هو الآخر.

حملت له هذه الخاطرة دفئًا طغى على حرارة الجو.

- خلّصت رواية (العطش). قطع حازم الصمت مؤكدًا أن زيارته وديّة.

- عجبِتك؟

- جدًّا. قال حازم، ثم استطرد بحماسة قارئ شغوف:

- مش قادر أقتنع إن هاري هول مش شخصية حقيقية.

- ولا أنا. قال نادر بنفس الشغف. الموضوع ده حصل معايا في أعمال قليلة، شغل (نيسبو) منهم. حقيقي جدًّا. وحصل معايا في ثلاثية (ستيج لارسن).

- يخرب بيته ده كمان! قال حازم بصوت ملأته الإثارة. بس صدفة إن الاتنين من إسكندنافيا؟

- آه صدفة. أجاب نادر، ثم أكّد:

- ما هو ده حصل معايا مع السيّد (أحمد عبد الجوّاد) مثلًا. ومع (راسكولنيكوف)، بطل (الجـ...

- ...ـجريمة والعقاب). قال حازم مع نادر في نفس الوقت.

لم ينخرط نادر في نقاش مثل هذا مع أحد من قبل. فقط بصفته قارئًا، وليس كاتبًا. كان الناس بمُجرد أن تُفتَح سيرة

الروايات يسارعون للتحدث عن أعماله هو؛ نفاقًا، أو تملُّقًا، أو حتى مُجامَلةً، أو عن أعمالهم هم إذا كانوا أصحاب أقلام من زملاء مهنة الحكي، ولكنه لم يحظَ بحوار شغوف حول الروايات مع قارئ شغوف لا يتضمن الكلام عن أعماله هو من قبل. ولهذا كان شاكرًا.

- أنت برضه؟ سأل نادر.

- طبعًا.

مرّت سحابة صمت رقيقة، مليئة بالاستمتاع، عليهما، اخترقها حازم بسؤاله:

- مين أكثر شخصية حســ....

- (شيرلوك هولمز) طبعًا.

هز حازم رأسه اقتناعًا، فقال نادر:

- تعرف إن عشرين في المية من الشعب البريطاني مقتنع إن (شيرلوك) شخصية حقيقية؟

- بجد؟! استنكَر حازم ضاحكًا.

- لا خُد دي بقى كمان. قال نادر وهو يضحك هو الآخر:

- أكتر من عشرين في المية منهم مقتنع إن (وينستون

تشرشل) شخصية خيالية، ونفس النسبة تقريبًا مقتنعة إن (جيفارا) شخصية خيالية.

- العالم رايح في داهية والله. قال حازم وهو يضحك.

- التقيلة بقى. قال نادر. أكتر من تلاتة في المية من البريطانيين مقتنعين إن (تشارلز ديكنز) نفسه شخصية خيالية.

ضحك حازم بصوت عالٍ، ومعه نادر، الذي قال بعد دقيقة ضحك:

- بمناسبة (هولمز). عندي سؤال.

أومأ حازم برأسه.

- القضايا اللي بنشوفها في قصص ومسلسلات (شيرلوك هولمز)، مين بيحلّها؟ بما إن (هولمز) مش حقيقي؟ يعني لو حد ارتكب جريمة متخططة كويس على نفس مستوى الجرائم اللي بنشوفها في المسلسلات البوليسية. مين بيحلّها؟

- ما حدّش. أجاب حازم هازًّا رأسه. بس الحمد لله إن النوع ده نسبته لا تتعدى الخمسة في المية. الباقي كله بيحصل بشكل انفعالي بدون تخطيط، وبالتالي بيكون القبض على

الجاني سهل نسبيًا. لكن معظم قضايا القتل المتسلسل اللي حصلت في الواقع، الجُناة ما اتمسكوش؛ لأن ما فيش رابط بيربطهم بالضحايا.

- عندك حق.

- أنا عندي سؤال. قال حازم بصوت متردد. بس هو شخصي شوية.

- قول.

- أنت ليه عامل أكونت على تويتر باسم (معتز شرشاب)؟ وبعدين إيه (شرشاب) دي؟!

عقد نادر حاجبيه استغرابًا؛ ففسّر حازم:

- أنا ما قصدتش أتطفل. بس لما الموبايل كان معايا بعد ما أخدته من الأمين اللي دخل أوضتك، جت رسالة على تويتر مكتوب فيها «ده أنا هاموّتك». وبما إن أنا كنت بأطارد حد بيحاول يموّتك فعلًا؛ فتحت الرسالة. لاقيتها من بنت اسمها (سارّة)، لحساب صاحبه اسمه (معتز). وطلعت البنت بتهزر معاه. ثم صحّح. أو بتهزر معاك.

كست المرارة ابتسامة نادر، الذي تنهّد وكأنه يستعد لعمل شيء ثقيل على روحه، ثم شرع لعمله قائلًا:

- عشان (معتز) ده شخص عادي يا حازم. ثم صحّح. ثم اسمه (معتز شرباش)، مش (شرشاب).

لم يفهم حازم مقصده، ولكنه لم يسأل؛ حيث بدا وأن نادر لم يفرغ من حديثه بعد، الذي استطرد بالفعل:

- بني آدم عادي، مش غني، ومش مشهور. صمت للحظة، ثم قال:

- ومش مكروه. (معتز) ده النسخة الافتراضية من نادر صِدِّيق.

- نادر مين؟

- أنا. ما هو أنا اسمي نادر صِدِّيق عبد القادر. أنا اتنين في بعض، نادر عبد القادر بتاع الناس، ونادر صِدِّيق بتاع نفسه.

لم ينظُر نادر لحازم في أثناء تفسيره، كان يقول هذا الكلام لأول مرة في حياته بصوت عالٍ، وكان الكلام ثقيلًا على روحه كفاية، فلم يرغب في إضافة ثقل تعبيرات وجه حازم إليه، وساعده هذا في أن يتحدث وكأنه يخاطب نفسه.

- تعرف إن (معتز شرباش) أمه بتحبه؟

بدأت دموع نادر في الإفصاح عن ألمه المكتوم منذ وعى:

- أمي كانت عاوزة بنت بعد أخويا الكبير، وواحدة عرّافة

قالت لها وهي حامل فيَّ إن اللي في بطنها بنت. هي قالت لواحدة جارتها، كانت معروفة بإن عينها وحشة، إنها هتجيب بنت. ولما أنا جيت، أمي فضلت مقتنعة إن عضوي الذكري نبت في الشهر الخامس من الحمل؛ بسبب عين جارتها. فضلت عمري كله باتعامل على إني عقاب ليها؛ لأنها قالت لجارتها. قضيت أول سنتين من عمري عند جدتي، عشان أمي ما كانتش عاوزاني. عشت في وحدة، من غير صُحاب، ولا فُسح، ولا أم. وفضلت حتى بعد ما رجعت، باتعامل معاملة درجة تانية. أخويا الكبير دايمًا صح، وأنا دايمًا غلط. ما كنتش شاطر في المذاكرة، وهو كان شاطر. وبسبب نشأتي الأولى كنت صعب أكوِّن صداقات؛ فهربت للخيال.

صمت نادر، ولكن حازم لم يجد ما يُعقِّب به.

- (معتز) بقى على عكس نادر. قال نادر مستطردًا. لما جه يتولد، أمه جابت توأم؛ بنت اسمها (مروة)، وولد، فمبقاش مكروه، وأمه بتحبه. عنده خيال برضه، بس ما لقاش حاجة يهرب من واقعه بسببها وهو صغير؛ فاكتشف موهبته وهو كبير. بيكتب على خفيف، بس مش مشهور، ولا غني، فما حدش بيعرفه عشان مصلحته. (معتز) شخصية خيالية آه، بس عنده على تويتر وعلى الفيسبوك أصحاب حقيقيين. بيحبوه، وبيقلقوا عليه لو غاب. (معتز) هو النسخة السعيدة

منّي. اللي القدر حرمني منها لما بعتني من غير أختي التوأم لحكمة مجهولة.

تأثر حازم بشدّة، هاله ما سمع، وتركه عاجزًا عن المواساة؛ فصمت، بالرغم من أنه أراد أن يتكلم، أن يواسي نادر، أن يخبره بأنه ليس وحيدًا، على الأقل الآن، ولكن بأي كلمات سيستعين ليُعادل تأثير ما عاش معه نادر من ألم ووحدة عمرًا بأكمله؟!

ابتسم نادر، ومسح دموعه دون خجل، ارتياحه بعد أن أفرغ ما به كان أقوى من أي شعور آخر، واساه وجه حازم، الذي لم يحتَج للكلمات ليُعبِّر عما ألمَّ به من تأثُّر.

- على فكرة. قال حازم مواسيًا. أنا أبويا عاش عمره كله نحّات مغمور، وكان حلم عمره يبقى مشهور وغني.

- زي (معتز) كده. أجاب نادر. حلم حياته يبقى مشهور وغني. ساذج، مش عارف إنه في نعمة كبيرة.

هز حازم رأسه اقتناعًا، ثم قال:

- اسمح لي بسؤال. أنت ليه ما عندكش أصحاب؟ أو زملاء من الوسط؟ وأهلك فين؟

- صديقي الوحيد من الطفولة، عايش في الخليج. وأمي

عايشة مع أخويا في أمريكا. وزملاء الوسط، ما باستحملش نص ساعة معاهم.

- ليه؟

- ما بيعديش ربع ساعة إلا وحد منهم لازم يتكلم عن «لعنة الوعي» أو «الأمانة التي اختارتنا ولم نختَرها» أو «كيف ينجو التنوير من النفق المُظلم؟».

ضحك حازم بشدة على طريقة نادر وهو يُقلِّد زملاءه، وقال مُشيحًا بيده:

- لا يا عم، الله الغني.

- بالظبط. وضحك نادر بدوره.

- بس فيه نُص مليان. قال حازم ليزيح بعض الألم الذي ما زال يقبض على روحه بعد سماعه مأساة نادر. كان يحاول أن يُهوِّن على نفسه وطأة ما سمع، وليس على نادر.

- النُّص المليان هو موهبتك. اللي لولا طفولتك كنا اتحرمنا منها.

شعر حازم بسخافة ما قال بمُجرد أن سمعه من نفسه. ولكن الكلمات كالوقت، لا يمكن استرجاعها بعد نُطقها.

- يعني عشان تقروا أنتم روايات؛ تبهدلوني البهدلة دي؟

هوّنت مزحة نادر من شعور حازم بالخجل، ولكنه ما لبث أن أعاده أضعافًا بقوله:

- اللي حصل لي ده لعنة، ما فيهوش حاجة مليانة. أنا شخص مكسور، وفاقد الثقة والأمان، ولا يؤمن بالحُب ولا بالخير ولا بالنهايات السعيدة. أنا لولا الكتابة كنت بقيت سفّاح أو منحرف.

- آديك قولتها. لولا الكتابة؛ يعني فيه حسنة في الموضوع. إحنا آه مش بنختار قدرنا، بس بنختار نتعامل معاه إزاي.

- حلوة بنختار دي، أنت بجد مصدق إننا مُخيَّرين؟ ابتسم نادر ساخرًا. اللي حصل معايا ما كانش له غير أكتر من نتيجة سيّئة، كل اللي أنا عملته هو اختيار أقلهم سوءًا. بتسمي ده اختيار؟ لما أحكم عليك بالقتل وأخيَّرك بين المشنقة ولّا الكرسي الكهربائي هتسمي ده اختيار؟

- أنــ... حاول حازم أن يدافع عن نفسه، ولكن حديث نادر كان جارفًا، فبدت مُحاولته كمحاولة تجفيف بحر بمنشفة.

- خُد اختيارك مش عاوزه، وعاوز حد يحبني. مش عاوز الموهبة، ولا الشهرة، ولا الفلوس. عاوز حُب وأمان. يا حازم، أنت لو عاوز تقتل حد بالبطيء، احكم عليه بالوحدة.

- طيب ما حنان بتحبك أوي يا نادر. وجدها حازم فرصة ليهرب من الموضوع الذي أثاره نادر. إمبارح كانت هتموت من الخوف عليك.

- أنا عارف. بتحبني من قبل ما تعرفني كمان، ومش عارف ليه. وتنهّد بعمق. بس أنا لو سمحت لنفسي أكون جزء من حياة حنان، هابقى عقاب، زي ما كُنت عقاب لأمي، بس المرة دي هتكون باختياري. صدقني، أنا لعنة يا حازم.

- ليه بتقول كده؟

- العلاقة دي كانت هتكون جميلة لو أنا شخص سليم وسوي، مش مُحطم ومعطوب. أنا بتاع ستات، باموت فيهم، وما أقدرش أكتفي بواحدة.

- ممكن تتغيّر. أجاب حازم. طالما عارف المشكلة، ومعترف بيها، تقدر تعالجها.

- فيه نظرية بتقول إن موضوع إن أمي ما كانتش بتحبني بالقدر الكافي ده اتسبب في رغبتي إني أعوّضه بحب كل الستات اللي بأقابلهم. طبعًا النظرية دي بتبرأني من تهمة فراغة العين، بس أنا مش مبرَّأ نفسي. بس بغض النظر عن السبب، أنا لعنة صدّقني، أنا كتبت مرة غنوة اسمها (أنا لعنة)، هتلاقيها في حساب تويتر بتاع (معتز شرباش)، كاتبها

بهاشتاج (#أنا-لعنة). صدّقني، حنان أنقى من أن يقترن اسمها باسم واحد زيي.

- أنت بتبالغ. اعترض حازم. ولو عاوز تخلّص ضميرك من الشعور بالذنب صارِحها، وسيبها تختار، ممكن هي تختار تساعدك تتغير، وممكن مساعدتها دي تكون الحاجة اللي ناقصاك فعلًا عشان تتغيّر. وحتى لو مش هتساعدك، هي أكيد عاوزة تفهم سبب رفضك، أنا رأيي إنها لازم تعرف.

***

- أنا عارفة. قالت حنان لصديقتها أماني.

جلست الصديقتان في حديقة قصر والد حنان، التي أضاءتها أنوار ليلية خافتة، وأحاطت بها من بعيد أشجار كثيفة تُمثِّل سورًا طبيعيًا يُحِيط بالأرض التي أقام عليها والدها قصره المهيب.

- وبرغم كده مستعدة تكمّلي معاه؟

- يا أماني. قالت حنان وكأنها تشرح نفس الشيء للمرة الألف. أنا من أول ما وعيت على الدنيا وأنا بأقابل رجالة نفسهم يرتبطوا بيّ، كلّهم تقريبًا كانوا عاوزين يرتبطوا ببابا، مش بيّ أنا. ما عدا نادر. صمتت للحظة، ثم أكملت:

- نادر من أول ما اتعرفنا، من قبل ما يعرف أنا أبقى مين وبنت مين، وبعد ما عرف، مش بيقول لي غير «ابعدي عني يا حنان، أنا لعنة».

- ما هو ممكن يكون بيستخدم معاكِ علم النفس العكسي. يقول لك اعملي حاجة عشان تعملي العكس.

- عشان يوصل لإيه؟ سألت حنان. فلوس؟ هو مش ناقصه فلوس. نفوذ؟ ياما عرضت عليه خدمات، تبع شركات بابا، ورفض بإصرار، لدرجة إنه آخر مرة حذَّرني إني لو عرضت عليه أي نوع من المساعدة، مش هيعرفني تاني.

***

- ما فيش حد بيتغيّر يا حازم. قال نادر. الطبيعة بتفرض نفسها، أنا العقرب اللي هيقرص الضفدع -اللي هو حنان- وهيغرَّق نفسه وهيغرّقها عاجلًا أم آجلًا؛ طبيعتي كده، بغض النظر عن السبب. إيه اللي يخلّيني أربط بنت، أقرب للملايكة منها للبشر، بشيطان زيّي؟

- اللي أنت بتقوله ده بالظبط هو إجابة سؤالك.

- يعني إيه؟

وصلت رسالة صوتية إلى هاتف نادر، فالتقطه ليسمعها،

وجس فنجان قهوته الذي لم يلمسه تقريبًا فوجده قد برد، ونظر لفنجان حازم ليجده لم يشربه أيضًا؛ بسبب حديثهما الذي غرقا فيه.

- ضميرك. فسّر حازم. مُجرد إنك خايف عليها قبل ما تربطها بيك، يخلِّي من المستحيل إنك تأذيها. ده أنت بتأنِّب نفسك على إنها بتحبك بالرغم من إنك قُلت إنه حصل قبل ما تتقابلوا. ده مش شعور شخص مؤذي. ما فيش حد يبعِد عنه حد بيحبه، إلا لو مش بيبادله الشعور، وأنت بتحب حنان. بتبعدها ليه؟

***

- عشان اتأذى كتير في حياته. قالت حنان.

وانتظرت حتى وضعت خادمة فليبينية كوبين من عصير المانجو أمامهما، ثم شكرتها وأكملت وهي تشير لأماني بأن تشرب عصيرها:

- لدرجة إنه بقى يخاف من الحُب. بقى يخاف يتعلق بحد. وبقى يخاف حد يتعلق بيه ويتسبب في أذيّته. بس عاوز دايمًا ستات حواليه من غير التزامات.

- طيب وأنتِ إيه اللي يخليكِ تدبّسي نفسك في علاقة سامة زي دي؟ سألت أماني وهي تلتقط كوبها الذي تجمّعت

عليه طبقة رطوبة زادت من رغبتها فيه.

- سامة؟ استنكرت حنان وهي تُعيد كوبها لمكانه. ما فيش حد سام بيحذر ضحيته قبل ما يلدغها يا أماني. نادر نضيف وأمين، عمرك شوفتي راجل بيبيّن عيوبه كلها أول ما يحس إن فيه بنت مهتمة بيه؟ صراحته دي حسستني بالأمان. ده غير إنه حنين. ده بيبعت لي في عز مشكلته دي، كل يوم الصبح وبالليل يتأكد إني بعت حد يحُط أكل للعصافير على شبّاكه عشان هو مش موجود. هي دي الطبيعة اللي ما ينفعش تتغيّر، لكن أي حاجة تانية ممكن تتغيّر.

***

- لسة بأقول لك على طبيعة الشخص.

أنزل نادر هاتفه من على أذنه بعد أن سمع الرسالة الصوتية، وأشار إليه لحازم، وأكمل:

- اتفضل داليدا. قال وقام وأخذ فنجانيهما ودخل إلى الجناح، فتبعه حازم، فاستطرد نادر:

- باعتة لي إنها هتعمل مُداخلة مع عُمر مُنيب. قال وهو يشرع في إعداد قهوة بدلًا من التي بردت. وهتخليهم يتصلوا بيّ بعدها عشان أعقّب و«أطمّن جمهوري». دي طبيعة، طبيعة داليدا إنها بتستفيد وبتكسب من أي موقف.

قال ودار ليبتسم لحازم؛ ليُثبِت صحّة منطقه، ثم أكمل:

- وقالت لي لازم أتكلم في مشكلة الكُتب المزوّرة، وأحذر القُرّاء منها، وأطالب الدولة بحل المشكلة دي؛ حِفاظًا على حقوق الكُتّاب.

- المف...

قطع رنين الهاتف جُملة حازم، فأشار له نادر بسبّابته ألّا يُصدِر صوتًا، وأجاب على الاتصال، وفتح مُكبّر الصوت، وانتظر حتى يتم تحويله على الهواء مباشرةً، وبعد لحظات صدح صوت المُذيع الجهور في الجناح:

- مساء الخير يا نادر بيه.

- مساء النور يا أستاذ عُمر.

خرج صوت نادر رزينًا، نفس الصوت الذي اعتاد حازم أن يسمعه منه عندما كان يراه في أي مناسبة رسمية عبر مواقع التواصل أو التلفاز، بدا نادر لحازم وكأنه قد تحوَّل لشخص آخر غير الذي كان يبكي منذ دقائق مكسورًا، رجل واثق من نفسه، ويملؤه الاعتداد بالنفس، بُرجًا من الغرور. الرجل الذي لم يحبه حازم أبدًا. اكتشف حازم في هذه اللحظة أن القناع الذي كان يراه على وجه نادر قبل أن يقابله لا يشبه شخصية نادر الحقيقية.

- حمد الله على السلامة. كانت معايا قبل سيادتك الأستاذة داليدا وقالت إن شخص مجنون بيك تقمص شخصية قاتل من رواياتك، وحاول يقتلك، في سابقة لم تحدث على الإطلاق مع أي روائي.

- مظبوط يا أستاذ عُمر. جلس نادر الذي اكتمل تحوُّله للشخص الآخر الذي اعتاد حازم رؤيته على الشاشات، ووضع رِجلًا على الأخرى. القصة والله أعلم إنه من كتر انغماسه في رواية **(العاقِبة)**، تخيّل إنه بطلها، واعتقد إن التحقيقات معاه هتكشف عن خلل نفسي أدّى إلى اللي حصل ده.

- طب اسمح لي بسؤال مطروح يعني على النت بيقول إن دي حيلة تسويقية الهدف منها زيادة مبيعاتك.

- أنا طبعًا قريت الكلام ده. وضحك مُستخِّفًا. أولًا أنا مش محتاج أعمل حيَل تسويقية يا أستاذ عُمر، وثانيًا وهو الأهم، فيه شخص اتقبض عليه بالفعل، ومُحتجز، وفيه أحراز، وتقارير طب شرعي، وأدلة جنائية. مين عنده القدرة يفبرك كل ده؟ ثم استطرد مازحًا. ولو أنا متفق مع الشخص ده، أعتقد رجال الشرطة الشرفاء هيكشفوا المُخطط ده في التحقيق، وهينتهي بيّ الحال في السجن.

ولم يعلم نادر وقتها أنه سينتهي به الحال في السجن فعلًا.

رأى حازم أمامه نادر عبد القادر، النُسخة التجارية منه، وأشفق عليه من اضطراره الادعاء والاختباء طوال الوقت. واصل نادر الادعاء حتى انتهى من المُداخلة.

- ما نأجّل القهوة. اقترح نادر. ونطلب أكل. إيه رأيك؟

- لا يا عم، أكل إيه؟ أنا شوية وماشي.

- أنا ما أكلتش حاجة من ساعة فطارنا الصبح سوا. هتختار تاكل إيه؟ ولّا أفاجئك؟ سأل نادر وهو يرفع سمّاعة هاتف الجناح.

- فاجِئني.

استسلم حازم باسمًا. ثم سأل:

- ما جبتش سيرة الكتب المزوّرة ليه؟

رفع نادر كتفيه وهو يلتقط سمّاعة الهاتف ليطلب العشاء، وقال بلا مُبالاة قبل أن يطلب الرقم:

- عشان ده مش شُغلي.

بعد أن فرغ نادر من طلب العشاء، سأله حازم بفضول:

- مش بتتعب من التمثيل ده؟ إنك تكون شخص غير حقيقتك؟

- هاتعب أكتر لو ما مثلتش. صدَّقني ما حدش عاوز يعرف الحقيقة، ولو عرفوها مش هيتعاطفوا معاها، الناس بتدوَّر على الفضايح والنميمة، وده سبب نجاح الدراما الاجتماعية في مجتمعنا، مع إن الأعمال البوليسية والتشويق أصعب في التأليف، بس مش نميمة.

- بس أنت مش بتكتب نميمة، أنت بتكتب النوع الصعب.

- عشان أنا بأخاطب الشباب. الجيل اللي معظمه عايش في بالونة مقفولة عليه. جيل بيكلِّم نفسه أكتر ما بيكلم الناس. والنميمة بالنسبة له دوشة. جيل محتاج يهرب من حياته، ومن واقعه اللي مش عاجبه، عشان كده بيدوَّر على اللي مش شبه واقعه.

- طيب اعذرني في سؤال.

قال حازم بتردد. ليه مش بتستغل موهبتك، وشهرتك وسط الجيل التايه ده، في إنك تقدِّم لهم حاجة... وسكت لثوانٍ؛ ليبحث عن كلمة لا تُسيء لنادر، ولم يجد، فأكمل:

- يعني حاجة... وتوقف لحظة متردِّدًا. كان يبحث عن الكلمات المُناسِبة:

- حاجة زي الأعمال العظيمة اللي أنت كقارئ بتحبها. أنا ما أقصد...

قاطعه نادر قبل أن يحاول تفسير جملته التي حملت تقليلًا من شأن أعماله قائلًا:

- أنا فاهم قصدك. قال نادر باسمًا. تفتكر لو كتبت شغل وعظي وأخلاقي وبيعلِّم الفضيلة هينجح بنفس قدر نجاح شغلي؟ طبعًا لأ. ثم زي ما قُلت على موضوع الكُتب المزوَّرة، ده مش شُغلي.

- أنت ناجح، ومشهور كفاية إن اسمك ممكن ينجَّح أي عمل. ولو تقدر تعمله، حتى لو مش شُغلك، ليه لأ؟

- النجاح والشُّهرة دول سجن يا حازم.

قال نادر باسمًا بمرارة، وأكمل شارحًا لحازم ما حجبته سذاجته عنه:

- بتزيد قُضبانه كل ما يزيد عدد مُتابعينك. بعد ما بتجرّب دائرة الضوء، وفتنة الشهرة، بتبقى عبد ليهم. وكل ما بيزيد عدد متابعينك، بتزيد الحاجات اللي ممكن تخسرها، فبتفضل تبذل كل شيء عشان تفضل تتغذى على الشعور ده. وده اللي بيخلّي ناس تعمل في نفسها كل أنواع الحاجات الغريبة، وأحيانًا المُهينة، لمُجرد إنها تفضل مشهورة. ومش هاكدب عليك، أنا مش مستعد أفشل، مش مستعد أخاطر. ما عنديش استعداد للتغيير إلا لو كنت مضطر له. ثم ليه أخاطر أصلًا؟

ما كل حاجة ماشية حلو، أتغيَّر ليه؟

- بس الكتابة دي رسالة عظيمة يا نادر، ممكن بيها تغيَّر حياة الناس للأحسن.

- رسالة آه! قال نادر ساخرًا. لأ يا حازم، الكتابة بالنسبة لي أكل عيش، مش رسالة. هي دي الحقيقة، بلاش رومانسية فكرية. والحياة الوحيدة اللي أنا مهتم أغيَّرها للأحسن، هي حياتي أنا، والأحسن هنا مقصود بيها للأنجح، للأغنى، مش للأعمق، والأصدق.

كان مَن يتحدث لحازم الآن هو الشخص الذي قام بمُداخلة تليفونية مع المُذيع منذ دقائق، وكأنه قد عاد لطبيعته كما قال قبل المكالمة التي حوَّلته. فتح حازم فمه ليعترض، ولكن وصول الطعام أوقفه، فأطبق فمه وابتلع ما أراد قوله، وطغت على ملامحه نظرة يأس وإحباط.

كان نادر عبد القادر في هذه اللحظة على حق، الطبيعة دائمًا تنتصر.

(40)

لم يكُن صمته تجاهُلًا لما يدور حوله، ولا تحديًا، ولا خوفًا، بل كان عجزًا عن إيجاد الكلمات الصحيحة؛ كيف تصف لمَن لم يرَ الشمس أبدًا نورها؟ كيف ستتمكّن من وصف إحساس الوقوع في الحُب لمَن لا قلب له؟ كيف يُمكِنك حتى البدء في وصف الخيال لمَن لا خيال له؟

تحدَّث وكيل النيابة الجالس أمامه لُغةً لا يفهمها، لغة هذا العالم المادي الكئيب برغم ترتيبه؛ فكل شيء هنا مُرتَّب، على عكس عالَمه الفوضوي الساحر. هناك شَعَر وكأنه يعيش في إحدى لوحات فان جوخ، أو في قصيدة شِعر لا تتقيَّد بالوقت، يمكن أن يمُر أسبوع بين البيت والآخر، ويمكن أن يحكي بيت واحد حياة كاملة، ويمكن أن تبدأ القصيدة وتنتهي في لحظة عشق صادقة واحدة.

النظام مُهم، ولكنه لا يناسب مَن خُلِق من خيال!

يُسأَل عن اسمه، فلا يُجِيب؛ فهذا السؤال لا إجابة له، وإن كان له إجابة فهي عند خالقه، نادر عبد القادر. عبد القادر! خالق نادر خلقه ليعبده نادر، فهل معنى أن نادر عبدًا لمَن خلقه، أنه هو عبد لنادر؟ بدا له السؤال كغيمة سوداء تمنع عنه نور الشمس. لا، لم يخلقه نادر ليعبده، يعلم هذا يقينًا، بل

خلقه ليُمتِّع به القُرّاء، ويجني هو المكاسب.

«لماذا حاولت قتل نادر عبد القادر؟». سؤال آخر من الرجل الذي يتحدث لغة أخرى بنفس مفردات لغته، سؤال يعرف إجابته، ولكنه لا يعرف كيف يجيبه. هل سيفهم هذا الرجل أسبابه؟ هل سيُصدِّقه من الأساس؟ هو يعلم أن البشر يخافون مما لا يفهمونه، وينكرونه أحيانًا.

كان عقله كله يدور حول فكرة فشله في مُهمته. المُهمة الوحيدة التي اختارها، ولم يُسيَّر إلى تنفيذها دون سؤال. الآن هو مسجون في هذا العالم، وهي هناك على حافة القيامة، تمضي آخر أيامها على أمل أن ينقذها مَن أحبّت برغم كل الأسباب التي تتعارض مع ذلك. على أمل لن يتحقق؛ لأنه فشل.

«حاوِل تساعد نفسك!». يقول وكيل النيابة مُشجِّعًا، ولكنه لا يعلم أنه لا يرغب في مُساعدة نفسه، هو يرغب في مُساعدة مَن يحب، ولكن كيف؟ كيف يمكنه منع نادر من مواصلة حقن عالمه بالشر؟ العالم الذي انتفخ شرًّا وبات على وشك الانفجار!

كيف يمكنه حث مَن لا خير بداخله على فِعل الخير؟

فاقد الشيء لا يُعطيه.

مفتقد الشيء يعطيه، وبسخاء، ولكن فاقده، لا.

(41)

فتح نادر، مرتديًا جينزًا أزرق وقميصًا من الكتان الأبيض، باب شقته التي لم يدخُلها منذ خرج منها مُهدِّدًا بمسدس (9mm) أسود مزوّد بكاتم للصوت أسود، ودخل. وبدا له كل شيء أصغر مما يتذكر، ذكَّره هذا الشعور بشعوره عند عودته لشقته بعد قضائه لفترة في المستشفى بين الحياة والموت؛ بسبب فيروس كورونا المُستجَد اللعين، بدت له الأشياء صغيرة، وكأن عقله أدرك تفاهة الأشياء المادية عند مُقارَنتها بأشياء قيِّمة كالحياة.

هل حياته قيِّمة فعلًا؟ هل كل الحيوات بنفس القيمة؟ هل سيجد لهذه الأسئلة إجابات أبدًا؟

نظر بأسى لسجادته التي تعرَّضت للدهس في الأيام القليلة الماضية أكثر ما تعرَّضت له منذ اشتراها. ذكَّره هذا بضرورة الاتصال بالسيّدة التي تأتي لتنظيف الشقة.

خلع حذاءه الرياضي، ودخل مُحاوِلًا تجاهُل الفوضى. توجه أولًا نحو غرفة المكتب كعادته، نظر إلى بقعة دمائه على الأرض، وفكَّر ألا ينظفها، ولكنه حتمًا لن يستطيع تنفيذ الفكرة، لن يحوّل مكتبه إلى متحف، على الأقل وهو على قيد الحياة. جاءته فكرة أن يكتب وصيّته، وأن يوصي فيها

بتحويل شقته لمتحف، وأن تُعلَّق لافتة صغيرة على باب العمارة تقول: «هنا عاش نادر عبد القادر». أثارت الفكرة سخريته من نفسه، هذا قدر من الغرور لا يُمكن تصوُّره في شخص كل إنجازاته في الحياة أنه نجا من محاولة اغتيال، لا يستطيع حتى البدء في تفسيرها.

نظر إلى الثقب الذي خلَّفته الرصاصة من عيار (7.61X51 mm) التي اطلِقت من بندقية قناص (M24) مزوّدة بكاتم للصوت. من أين للرجل، بافتراض أنه بالفعل مَن يدَّعي، المال الذي اشترى به هذه الأسلحة؟ لا بُد وأنه سرق مكتب صرافة أو سيارة نقل أموال. وكتب مُلاحظة في باله أن يسأل حازم عن حوادث مشابهة حدثت في الأسابيع القليلة الماضية. ثم عاد وتساءل: هل سيُمكِنه إقناع الداخلية بتسليمه المقذوف ليضمّه إلى متحفه؟ ولكن هذه المرة لم يسخر من الفكرة، لِم لا يُقام متحف باسمه؟ هل هناك كاتب آخر على وجه الأرض جاءه أحد أبطاله من عالم الخيال؟ بغض النظر أنه جاء لقتله، ولكنه جاء، هذه مُعجزة تستحق الاحتفاء.

ولكن هل يُمكِن أن يكون ما قاله هذا المجنون حقيقة؟ بالطبع لا!

لم يترك نادر نفسه، برغم غروره، ورغبته الشديدة في التصديق، لأن يصبح فريسة لمثل هذا الوهم الذي قد يضرّه

بقدر ما يظن أنه سيفيده، فتصديق أن أحدهم أصابه الهوس بالجنون وظن نفسه بطلًا أحبّه على الورق لدرجة أن يتقمّصه هو شيء، وأن يصدّق الكاتب أن شخصياته الخيالية تتجسد في الواقع هو شيء آخر، في الأول سيُرمَى الرجل بالجنون، وسيجني الكاتب ثمار جنونه شهرةً ومكاسب ولمعانًا، وفي الثاني سيُرمَى الكاتب بالجنون، وسيُوصَم به للأبد.

قرر نادر أن الوقت قد حان، بعد نجاته، أن يجني ثمار جنون الرجل، ولأن يستفيد من الموقف؛ كما اعتاد في كل المواقف التي واجهها في حياته؛ حيث تعلَّم منذ الصغر أن يُحوِّل أي عقبة في طريقه لدرجة يخطو فوقها ليعلو.

أخرج هاتفه من جيبه وهو يتوجه نحو غرفة نومه، واتصل بحازم:

- أنا قلت أقول لك إني رجعت البيت؛ عشان ما تروحش الأوتيل ما تلاقينيش.

قال نادر وهو يزيح ستارة غرفة نومه ليقتحمها ضوء الشمس، وجد طبق أكل العصافير فارغًا، وعصفورًا وحيدًا ينظر له عبر الزجاج متسائلًا عن سبب منعه الرزق عنه.

- عيب تقول الكلام ده لظابط مباحث. أجاب حازم مازحًا.

- أنت لسة بتراقبني؟ سأل نادر وهو يعود لغرفة نومه من

المطبخ حاملًا طبقًا مليئًا بالأرز الأبيض.

- جايز.

- عاوز أطلب منك طلب. قال وهو يصُب الأرز في الطبق الفخاري، ثم أغلق النافذة مُجدَّدًا، وترك الطبق ليُشغِّل التكييف.

- ثواني معايا يا نادر معلش.

سمع نادر صوت حازم يبتعد عن الهاتف ويقول لأحدهم:

- نعم يا جابر؟

توقع أنه عسكري الخدمة. لم يستطِع سماع صوته، ولكنه سمع حازم يقول:

- أخيرًا نطق؟

انتبه نادر وهو يُعِيد طبق الأرز لمكانه في المطبخ، ويأخذ زجاجة بلاستيكية ويذهب للحوض لملئها.

- نادر؟ سمع نادر اسمه برغم خفض حازم لصوته وهو يقوله. ثم أعاد حازم السمّاعة لأذنه، وقال:

- إمممم، طيب روح أنت. أيوة يا نادر.

فرغ نادر من ملء الزجاجة، وقال وهو يعود للنافذة ليملأ

طبق الماء، فوجد عصافير كثيرة قد تجمّعت حول الأرز، طارت كلها فزعةً عندما فتح النافذة. ملأ الماء وأغلق النافذة بسرعة ووقف ينتظر عودة أصدقائه.

- معاك. قال نادر.

- كنت عاوز تطلب إيه؟

- لأ، قول أنت الأول.

- أقول إيه؟

- مش عاوز تقول لي حاجة؟

عادت العصافير.

- هو مين اللي مباحث عشان أنا كده اتلخبطت؟

- أنا. ابتسم نادر وهو يشاهد عصافيره تأكل بنهم.

- قول عاوز إيه؟

- عاوز أعرف قلت اسمي ليه وأنت بتكلم العسكري؟

صمت حازم لثانية، ثم قال:

- المُحتجَز طالب يتكلم معاك.

ملأت الحماسة صوت نادر، وهو يقول:

- إمتى؟

- إمتى إيه يا عم؟ استنكر حازم. هو قاعد في أوتيل؟

- هو قال عاوزني في إيه؟

- ولا قال أي حاجة. دي أساسًا أول مرة ينطق. حتى وكيل النيابة ما عرفش يطلع منه بحرف.

- طب وعرفت هو مين؟

- لم يُستدَل على شخصيته. ولا بصمات ولا غيره.

- طيب مش يمكن لما آجي يتكلم؟ عرض نادر رجاءه في صورة اقتراح.

(42)

قاد نادر سيارته وصوت محمد منير يملأ سيارته بدفء لم يتمكّن مُكيّف الهواء من كبته. اقتنع حازم بوجهة نظر نادر، وسمح له بلقاء المُحتجَز في مكتبه، ولكن بشرط أن يُخبِره نادر بأي معلومات يتحصّل عليها منه.

اختبأ قرص الشمس خلف عمارات مصر الجديدة العريقة بخجل، صابغًا السحاب الكثيف على غير العادة بلون برتقالي ساحر، ذكّر نادر بأيام كان خياله ما زال يُولَد فيها، رأى نفسه عائدًا من مدرسته سيرًا يتكلم بأصوات مختلفة متقمصًا شخصيات خيالية، أشعرته رؤية نفسه طفلًا يهرب من واقع يلفظه يوميًا بكدر مفاجئ، تعكّر مزاجه الذي نزل به من بيته رائقًا.

رنّ هاتفه؛ فأجاب عبر مكبر الصوت في السيارة، ليستبدل صوت مُنير الدافئ بصوت داليدا البارد العملي:

- فينك يا نجم؟

- رايح لحازم. أجاب بصوت عصبي بفعل تكدُّره.

حاولت أن تفهم منه سبب ضيقه، فلم يُخبِرها سوى بأنه يتعرض لحالة طبيعية من حالات تقلُّب المزاج، وبعد إلحاحها أخبرها بوجهته، فأصرت أن ترسل صحفيًا يقوم بتصوير

لقائه مع المحتجز، ورفض رفضًا قاطعًا.

- ما لَك يا نادر؟ من إمتى يعني بترفض حاجة في مصلحتك؟

- أنا وعدت حازم.

- وفيها إيه؟ ابقى صوم تلات أيام.

وحتى يتجنب أن تقوم بأي شيء رغمًا عنه؛ وعدها أن يقوم هو بالتقاط صورة مع المحتجز خلافًا لاتفاقه مع حازم، ولكن بشرط ألا ترسل أحدًا دون عِلمه.

حاولت أن تُخبِره بآخر أنباء عودته للأضواء، وأن تشتكي له من انتشار رواياته المزوّرة في كل الشوارع بسبب شهرته، ولكنه رفض أن يستمع، وطلب منها الاهتمام بكل شيء، وأنهى كلامه معها على وعد بلقاء يسمع فيه إنجازاتها التي تحققت في الأيام القليلة الماضية.

أغلق الخط وسرح في مصادفة أن يطلب المحتجز لقاءه في نفس الدقيقة التي فكّر فيها نادر أن يطلب من حازم أن يسمح له بمقابلة الرجل. هو رجل لا يؤمن بالمصادفات، ولكن كيف يمكن تفسير ما حدث بغير الصدفة؟ شَعَر أنه يدفع نفسه للظن أن المستحيل مُمكن فقط لتحقيق مجد لم يتحقق لكاتب من قبله، وأصابه هذا الشعور بالضيق؛ نادر

لا يحب الغموض، يكتبه، ويمارسه، ولكنه لا يحب أن يكون الطرف المُتلقي له.

(43)

اختبأ قسم الشرطة كالكمين وسط العمارات السكنية، وأحاطت به الأشجار متواطئة لإخفائه، وامتدت أمامه حديقة عامة خضراء تقلّصت مساحتها ليستوعب الشارع الزيادة السكانية الرهيبة التي تمتص، كالجراد، مظاهر الجمال ببطء وثبات، ولكنها، أي الحديقة، احتفظت بجمال اللون الأخضر المُحبب، وما زالت تبعث في المنطقة حولها نسيمًا رقيقًا؛ بفعل المساحة الخالية من الأسمنت، ومنخفض الحرارة بسبب الزرع الحنون المعطاء.

ركن نادر سيارته، واصطحب هاتفه، وإثارته، وخطا إلى داخل القسم، مُفصِحًا عن اسم داعيه عندما سُئِل عن سبب حضوره، فاستُقبِل بترحاب حصري لا يحظى به كل زائر، ووُجِّه صوب مكتب مُعاوني المباحث القابع في منتصف الممر الأيسر للساحة الأمامية.

في مكتب حازم، كان رامي الفرماوي يخوض إحدى حروبه الكلامية ضد سليم، الزمالكاوي غير المتعصب، الذي كان يستمتع باستفزاز رامي كنوع من التسلية، وكان الفرماوي دائم الترحيب بالمواجهة مع أي زمالكاوي دفاعًا عن ناديه العريق.

- أول دوري بالـ(VAR) خسرتوه. قال سليم مُستفِزًّا رامي. عاوز دليل أكتر من كده إيه على إنكم دايمًا بتكسبوا بالحُكّام؟

- ولو بنكسب بالـ(VAY). قال رامي منفعلًا. ليه خسيتم قصادنا آخي تلات مبابيات؟ واحدة بحكم أجنبي واتنين بحكام مصيبين، وكلهم فيهم (VAY).

فتح جابر الباب، وسمح لنادر بالدخول حسب تعليمات حازم، فانقطع الحديث. وقف حازم لاستقباله، وسبقه رامي مُرحِّبًا:

- ناديّ بيه، نوَّيت القسم كله.

- منوّر بأصحابه. أجاب نادر باسمًا بود. رامي؟ صح؟

- الفيماوي. الله ينويّ عليك.

- النقيب سليم. قال حازم مُقدِّمًا زميله. زميلي في المباحث.

- أهلًا يا نادر بيه.

- يلّا يا عم يامي. عندنا شُغل.

اصطحب سليم رامي إلى خارج المكتب ليكملوا ما لن ينتهي، وطلب سليم قهوة مخصوصة لنادر، وقال بعد أن

أُغلِق الباب عليهما:

- أنت طبعًا فاهم يا نادر إن دي سابقة، وإني باعمل كده على مسئوليتي، أتمنى تساعدني وتساعد نفسك، ما تنساش إن اللي بعته يقتلك، ده لو كان حد بعته، ممكن يبعت غيره، حياتك ممكن تكون لسة في خطر. أي معلومة تقدر تطلع بيها منه، لازم أعرفها. أنا هاسيبكم لوحدكم عشان يتكلم براحته، بس زي ما وعدتني.

- كأنك موجود بالظبط. ثم أنا ظابط مباحث، أنت نسيت ولّا إيه؟ لو اتكلم، هاعرف أجيب قراره.

- على بركة الله. قال وطلب من العسكري إحضار المحتجز. ثم أضاف قبل أن يُغادِر:

- هو أكيد عاوز يقول حاجة، وإلا ما كانش طلبك.

لم يتسنَّ لنادر ملاحظة الرجل في مواجهتهما السابقة، فالخوف يشوّه التفاصيل، ويحرم الخائف من الملاحظة الدقيقة، ولكن اليوم، يمثُل الرجل أمامه كحالة تُدرَّس، سمح نادر لنفسه بدراسة الرجل، وحاول قدر إمكانه ألّا يكذب على نفسه، وألّا يدفعها لترى أشياء وهمية فقط لإقناع نفسه بما ليس فيه.

رأى نادر أمامه، دون أي حاجة لمجاملة نفسه، (العاقِبة)،

«عاقِبته»، تمامًا كما رسمه وتخيّله، ملابس سوداء بالكامل، نفس العينين الحادتين، والندبة المُميّزة، التي حفرت خطًّا لا ينمو فيه شعر ذقنه، ولكن الاختلاف الوحيد كان في نظرته، هذا الرجل مهزوم ومكسور، وهو ما كان طبيعيًّا لكل الأسباب الواضحة؛ بدايةً من وجوده في السجن، وصولًا لفشله في مهمته، ولكن نادر لم يتخيَّله أبدًا خاضعًا كما يراه الآن، كان نادر ينظُر إليه مفتونًا، كعالِم يُشاهِد ظاهرة تحدث أمامه لأول مرة.

انتظر نادر بصبر، خاصةً وأن الرجل هو مَن طلبه، ولم يعلم أنه كان يرغب في نفس الشيء، فانتظر، وترك له الكلمة الأولى.

رفع الرجل رأسه، وبدا وكأنه في صراع مع آخر بداخله؛ توقع نادر أن الصراع يدور بين «عاقِبته» المغرور، وبين الفاشل المهزوم الماثل أمامه. نظر الرجل لنادر نظرة طويلة، استقبلها الأخير بنظرة مُشجِّعة. حُسِم الصراع، لانت ملامحه واستسلمت؛ مما يعني أن المهزوم انتصر، فلو انتصر الآخر، ما كانت ملامحه لتلين ولو بعد مئة عام في السجن.

- أنت لازم تبطّل كتابة. قال بصوت محشرج مكسور جاهد للخروج من حنجرة لم تُستخدَم منذ أيام.

لم يُجِب نادر، أعجبه انكسار الرجل الذي أذلَّه؛ فقرر أن يُمتّع

نفسه به لأطول فترة ممكنة.

- أنت لازم تبطّل كتابة.

أعاد الرجل جُملته وكأنه لا يعرف من اللغة سواها، فسر نادر هذا بأن الرجل في الحقيقة لا يعرف ماذا يقول، فهو لم يعتَد أن يطلب من الناس أن يفعلوا ما يريدهم أن يفعلوه، بل اعتاد أن يجبرهم على فِعله.

وجد نادر نفسه مُجدّدًا يدفع نفسه لتصديق قصة الرجل المجنونة، فنفض الفكرة عن رأسه، وبدأ يحاول نقدها؛ «**هذا رجل مجنون يا نادر**». هكذا أخبر نفسه.

صمت الرجل عاجزًا عن قول المزيد، وكأن صراعه مع نفسه أنهكه حد أن الجُملة التي كررها مرتين استنفدت الطاقة المتبقية فيه.

- ليه؟ سأل نادر مُكتفيًا بكلمة واحدة.

- عشان كفاية. همـ... وصمت مُجدَّدًا.

بحث نادر في وجه الرجل عن تفسير لعجزه عن الكلام غير تفسيره أنه لم يعتَد الخنوع فلم يجد.

- همـ... إيه؟ سأل بفضول لم يستطِع الاستمرار في كبحه.

- هم ما يستاهلوش كده! خرجت هذه الجملة باندفاع

وشى بأن الانسداد الذي كان يمنعه من الكلام قد ذهب بلا رجعة؛ فاندفع منه الكلام كالسيل:

- القيامة هتقوم، وأنت السبب. هم ما لهُمش ذنب إنك مريض. أنت اللي اخترت الشر، هم مُسيَّرين مـ....

كان صوته يعلو بين الجملة والأخرى، وانفعاله يشي بفوران يبدأ بداخله، وبانفجار أوشك على الوقوع.

- استنى بس واحدة واحدة. أوقفه نادر. هم مين؟

- شخصيات رواياتك. أجاب الرجل وكأنه يقول شيئًا بديهيًّا.

- أنت مش هتبطل هبل بقى؟ سأل نادر بحدّة.

طغى اليأس على ملامح الرجل، وتنهَّد بضيق وغضب مكتوم، رأى نادر يديه ترتعشان وكأنه يرغب في تحطيم قيده والإطباق على رقبة نادر لينهي ما عجز عنه في محاولاته السابقة.

- ما هو معلش يعني. قال نادر بصوت أقل حدّة. حُط نفسك مكاني.

هدأت حركة يد الرجل، وتحكَّم في تنفُّسه، وبدا عندما تحدَّث مُجدَّدًا؛ كمدرس يُعِيد شرح منهج أنهى شرحه للفصل

كله، مرة أخرى من البداية لطالب كسول.

- أنت عارف كويس أنا مين. ما تكدبش على نفسك. أنت مصدّقني.

- يمكن أكون مصدّقك عشان عاوز أصدقك.

بدأ الحوار يتمنطق ويسير في اتجاهه الصحيح، فأصبح أسهل وكأنهما في زورق واحد وقررا أن يُجدِّفا في نفس الاتجاه، على عكس ما كان يحدث من قبل.

- وأنا المفروض أعمل إيه علشان تصدق وتعمل الصح؟

- تفهمني إزاي حصل كده. أشار نحو الرجل.

- حاضر. وتنهّد بعمق. الدكتور فريد....

- لأ، عاوز أفهم أنت كنت فين الأول؟ قبل ما أعرف جيت هنا إزاي؟

- كنت في عالم موازي، اللي فيه كل شخصيات رواياتك. عالمك الخيالي المكتوب.

- وده يعنـ...؟ لم يعرف كيف ينهي سؤاله فتركه مُعلَّقًا.

- العالم ده بيكون ضعيف في الأول، زي الدخان، وكل ما عدد المؤمنين بيه بيزيد، بيستمد قوته من إيمانهم ده،

وبيتماسك ويتجسّد. وأنت، للأسف، عدد قُرّائك بيزيد كل يوم. كل يوم فيه ناس بتحب القراية جديد، وناس ما قرتش لك حاجة بتقرر تجرب. وهكذا. لحد ما العالم بيتجسد بالكامل وبيبقى له وجود مادي حقيقي موازي لوجود العامل الأصلي. وأشار نحو نادر.

احتاج نادر لدقيقة حتى يستوعب ما قيل، وتركها له الرجل بصبر لن يُضيره في حالته كمسجون لا أمل له في الخروج قريبًا.

- الدكتور فريد. قال الرجل بعد دقيقة الصمت. العالم العبقري من رواية **(صيّاد الأفكار)**، قدر يلاقي وسيلة اتصال، أو جسر بين العالم ده، والعالم الموازي.

كان الدكتور فريد بطلًا لإحدى روايات نادر، تحكي قصة عالِم نجح في اختراع جهاز يُجسِّد أفكار الناس إذا استطاع أن يحملهم على الإيمان بوجودها بيقين كافٍ، وفي سبيل هذا، ارتكب العديد من الجرائم؛ ليثبت نجاح اختراعه العظيم، الذي لم يشفع له في نهاية القصة، التي انتهت بإعدامه.

دقيقة صمت أخرى، لم يقطعها الرجل انتظارًا لما يُشير لاستعداد نادر لاستيعاب المزيد.

- بفرض إن كل ده حقيقي. قال نادر بصوت حائر. ليه عاوز تقتلني؟ مش قتلي هيهدم العالم ده؟

- يهدمه ليه؟ بطّل غرور شوية، العالم ده غير مرتبط بوجودك، العالم ده مرتبط بوجود قُرّائك.

- آه فهمت. يعني أنت حاولت تقتلني عشان تزوّد شعبيتي فتحافظ على بقـ...

هزّ الرجل رأسه بيأس وإحباط، فصمت نادر كطالب خائب خذل مُعلِّمه.

- شعبيتك مش محتاجة تزيد، أنت خلاص عالمك تجسَّد؛ يعني عديت مرحلة الحاجة لزيادة الشعبية. خيالك اللي خرج على الورق زي أي أفعال جارية الإنسان بيعملها، بتفضل مستمرة بعد زواله هو نفسه. أنت كنت لازم تموت بسبب المحتوى اللي بتكتبه، مش بسبب ضعف رواجه.

سرت في جسد نادر رعدة خوف عند ذِكر الرجل كلمة «الموت»، تجاهلها وسأل:

- ما له المحتوى؟

- شرير. قالها الرجل بحقد وعيناه تشعّان كرهًا باردًا جمّد دماء نادر برغم اطمئنانه لعجز الرجل المُكبَّل عن الحركة،

ومن ثَم الإيذاء. ثم أكمل مُفسِّرًا:

- أي عالم بيكون فيه نوع من التوازن بين الخير والشر. وقيامة العالم ده بتقوم لمّا كفّة الخير بتفضى. القيامة نتيجة، مش قدر محتوم. العالم اللي أنت خلقته كله شر، الخير اللي فيه ما بقاش كفاية لاستمرار التوازن اللي بيحافظ على بقائه. وكل علامات القيامة الصغرى والكبرى ظهرت هناك بوضوح.

- وهيحصل إيه للشخصيات اللي هناك لو القيامة قامت؟

- ما فيش إجابة مثبتة على السؤال ده، كلها نظريات، بس أرجحها إنها بتخرج من الخيال للواقع، بس مش بتتجسّد زيي، لكن بتتحول لما يشبه الأرواح المسجونة بين الواقع والخيال، وده يفسر الظواهر الغريبة اللي ما لهاش تفسير، وبتحصل في العالم هنا وبتتفسر على إنها أرواح ناس ماتت، لكن هي في الحقيقة أرواح شخصيات قيامة عالمها قامت.

صمت الرجل للحظة بسبب ارتجاف صوته عند تخيُّله مصير عالمه، ثم قال كأنه يجاهد تيارًا جارفًا:

- العالم هناك بينهار؛ عشان كده أنت لازم تبطّل كتابة.

نزلت دمعة من الرجل، دمعة واحدة، ولكنها كانت كافية لقسم شك نادر في كلامه لنصفين مُمزِّقةً إيّاه ببساطة. هذا

الرجل لا يكذب؛ لك الحق أن تظُن في حكايته الجنون، ولكنك لن تشك لحظة واحدة، إذا سمعتها منه، في أنه يُصدِّق كل حرف قاله.

تسارعت أنفاس نادر. انفعاله كان أقوى منه. تلاعبت به الحيرة. أنهكته. لم يعلم أيهما أكثر استحالة من الآخر؛ أن الماثل أمامه من دم ولحم هو (العاقِبة) بحق؟ أم أن (العاقِبة) الذي خلقه هو من حجر لا قلب له، يبكي عالمه، ويتوسل لإنقاذه؟

- طيب ما هو كل الأدب والفن فيه شر. الصراع بينهما هو أساس الإبداع. معقول كل النـ...

- فيه فرق كبير. قاطعه الرجل بكيل طافح. بين اللي بيقدِّم صراع بين طرفين بحياد، حتى لو الشر انتصر في النهاية، بس بيفضل مفهوم إنه شر، وبين اللي أنت بتعمله. أنت بتقدِّم الشر كحل لكل المشكلات اللي بتطرحها. وأحيانًا بتقدمه كمُضطَهد ومظلوم وبينتصر في النهاية؛ لأنه الأحسن والأحق. ما تنساش أنا جي منين. أنا جي من خيالك، من أفكارك؛ يعني ممكن تكدب على الدنيا كلها، بس أنا لأ. أنت بعد نجاح روايتك الأولى، وعدم تحقيق روايتك التانية النجاح نفسه قررت ترجع للي شُفته كان سبب نجاح الأولى، هو الاختلاف، إن الشر فيه كان الأحسن، والأفضل. لكن

الاختلاف ده مُريح آه، بس له تمن. إحنا اللي بندفعه.

سكت الرجل وهو يتنفس بتسارع، وكأنه كان يجري وليس فقط يتحدث، أما نادر فعمل عقله بكامل طاقته ليستوعب ما كان يُقال، وعجز.

- طيب اسمح لي بسؤال. خرج صوت نادر حنونًا ومُراعيًا. أنت فارق معاك في إيه؟ ما أنت نجيت خلاص. أنت هنا، يعني مش هتقوم قيامتك معاهم، ده إذا كنت فهمتك صح يعني.

نظر الرجل لنادر نظرة مَن يشفق على كفيف لا يرى شروق الشمس ولا يعلم مقدار ما يفوته من جمال، وتهدّلت ملامحه في يأس وخذلان وفقدان للأمل. ثم قال بصوت لم يكُن أحسن حالًا من ملامحه:

- نجاة.

- نجـ... صمت نادر في منتصف الكلمة، ثم أكمل سائلًا:

- نجاة مين؟ بطلة رواية **(معدن نادر)**؟

أومأ الرجل برأسه في أسًى.

- أنت... بتحبّها؟

بكى الرجل مُجيبًا عن سؤال نادر بصمت بليغ لا يحتاج

لكلام. اعتصر بُكاؤه قلب نادر بقبضة من حُزْن. اختفى كل شيء حولهما، ولم يبقَ إلا براح من ألم ألمَّ بهما دامجهما في كيان واحد ناكرًا للذات؛ فنادر أراد أن يزيل ألم الرجل حالًا، والرجل أراد أن ينقذ نجاة، وكُلٌّ منهما يعيقه عن مُهمّته حاجز عصي على التخطي.

نادر يعيقه المنطق، والرجل يعيقه عجزه عن إقناع الأول.

متاهة من عجز أحاطت بهما، يرى كلٌّ منهما مَن يرغب في إنقاذه أمامه في تيه أبدي، ولا يستطيع فِعل أي شيء لإنقاذه.

نظر نادر للرجل بفخر أب يرى ابنه يفوق توقعاته؛ خلقه قاتلًا بلا قلب؛ فأنبت لنفسه قلبًا دفعه للسفر لعالم آخر لإنقاذ عالم حبيبة، قد لا يراها مرة أخرى، من الاحتراق.

لو لم يكُن هذا هو العشق مُجسَّدًا، فماذا يكون؟

(44)

قاد نادر سيّارته وهو لا يتذكّر الدقائق التي احتاج لها ليغادر مكتب حازم، ويصل إلى حيث تركها.

شَعَر وكأنه خضع لعملية جراحية، وأنه يجاهد للخروج من تحت تأثيرها المُخدر، عملية استئصال حدود المنطق، أو عملية توسيع خيال.

شَعَر بالضآلة، بل شَعَر بنفسه تتضاءل، ينكمش من خجل بدا الموت -إذا ما قُورِن به- مصيرًا مقبولًا جدًّا.

***

بعد خروج نادر الذي كان أشبه بالترنُّح منه للسير من المكتب، وعودة المحتجز للزنزانة، أخرج حازم هاتفه الذي كان قد وضعه على وضع الطيران من علبة مناديل وأوقف التسجيل الذي بدأه قبل خروجه من المكتب، وبدأ في الاستماع للمحادثة التي ما كان ليسمح بأن يغيب عنها، لولا تأكُّده من أن الرجل لن يتكلم في وجوده بالصراحة التي سيتكلم بها مع نادر في غيابه، وتأكد من أنه كان على حق عبر رؤيته شحوب وجه نادر بعد اللقاء، وبعد سماعه كذب الأخير عن أن الرجل مُجرد مجنون يهذي بكلام غير مفهوم.

***

عاد الرجُل لزنزانته ممتلئًا بأمل زرعته فيه ملامح نادر عبد القادر. بدا نادر عند انتهاء اللقاء وأنه صدَّق، بل صُدِمَ بعد معرفته هول تأثيره في حيوات شخصيات كان يتعامل معها قبل اللقاء على أنها مُجرد عرائس مسرح خشبي مصنوعة من خشب وقماش.

شَعَر لأول مرة منذ جاء لهذا العالم، أنه قد ينجح في إنقاذ عالم حبيبته، وإتمام المُهمة الانتحارية التي فيها نهايته، وبداية الرخاء لعالم يضم أحب المخلوقات على الإطلاق إلى قلبه.

***

كان نادر مؤمنًا، نوعًا ما، بأن الله لم يخلق كونًا واحدًا، بالرغم من تعارُض هذه الفكرة مع كل الأدلة العلمية التي لم تثبت أن للحياة، بمعناها المعروف، وجودًا خارج الأرض، ولكنه لم يتخيّل أن يكون هناك عوالم «خيالية» موازية، هذا أبعد من أن يراه المنطق مُستعينًا بتليسكوب فضائي.

***

أكّد حوار نادر مع المُحتجز كلام الأول الذي قاله لحازم قبل مغادرة مكتبه: «**رجل مجنون يهذي**»، ولكنه لم يُفسِّر شحوب نادر، وعدم تركيزه، وزوغان بصره.

«**هل يُصدق نادر كلام هذا المجنو...**». وقبل أن يكمل حازم تساؤُله في سرِّه قطعه آخر شيء قاله الرجل لنادر قبل أن يقطع حازم لقاءهما.

الدليل على صِدق كلامه!

وشلّته الصدمة.

***

عاد حوار نادر مع الرجل -الذي تمنى لو أنه أعطاه اسمًا في رواية (**العاقِبة**)- ليدور في رأسه كتعويذة سحرية مُسيطرة، مسحت من رأسه كل شيء وجعلت من نفسها الهم الوحيد فيه.

بعد أن بكى نادر على بكاء مخلوقه، الذي تمكّن من تطوير نفسه ليعشق، ويضعف، ويطلب المُساعدة، طلب منه طلبًا أخيرًا ليصدقه؛ كان الطلب ببساطة هو دليلًا على صحة حكايته. وبرغم صعوبة الطلب، لم يلُمه الرجل، وصرَّحت ملامحه بالتفهُّم، ثم بالحيرة، ثم بالتفكير العميق، وبعدها أخبر نادر بمعلومة سمعها من العالِم الذي فتح الجسر، فريد، أن الاتصال، أي اتصال، بطبيعته مُتبادَل، بمعنى أن عبور رجُل للجسر من ناحية لأخرى، لا بُد وأن يقابله عبور رجُل، له نفس الكُتلة في الاتجاه المُعاكِس؛ حفظًا لتوازُن دقيق يميّز الكون

الذي يحيط بكل العوالم المتوازية، ويحفظها بتناسق إلهي عظيم.

***

تمنى المحتجز في مكانه على أرض زنزانته أن يكون كلام العالم فريد دقيقًا، وأن يكون الدليل الذي قدَّمه لنادر كافيًا لإثبات صِدقه، والذي إذا ما تأكَّد منه الأخير سيكون سببًا في أن يتوقف عن الكتابة لإنقاذ عالَمه.

***

«**ما هذا الذي سمعتُ؟! أيُعقَل؟**». تردد هذا السؤال في رأس حازم وهو يُخرِج ملف قضية اختفاء وليد سرحان من مكانه، وينظُر إليه دون حركة وكأنه يستنطقه.

«**وما سر شحوب نادر؟ هل يعرف نادر عن اختفاء وليد؟ أو أنه صدّق حكاية الرجل؟**».

***

ما هزّ كيان نادر، واعتصره بقوة، حتى أكثر مما سمع من حديث مجنون، كان سؤال (العاقِبة) الذي صدمه كقطار سريع.

- عاوز أسألك عن حاجة. قال بصوت خجول، وكأنه شخص

آخر غير الذي كان يتحدث بغضب منذ لحظات.

- اسأل. قال نادر.

- أنا كنت باخاف من إيه وأنا صغير؟

- نعم؟!

- أنت كتبت إني خُفت كتير جدًّا وأنا صغير من أحداث حصلت لي، ودفنتها في ذاكرتي، وقررت أنساها، عشان أبطّل أخاف. إيه هي الأحداث دي؟ أنا مش فاكرها، وكل ما أحاول أفتكرها دماغي بتوجعني، يمكن عشان أنت ما كتبتهاش.

«كان (العاقِبة) يفقد أعصابه فورًا في مواجهة أي ضحية ترتعد أمامه خوفًا، كان يحتقر الخوف ويزدريه ويمقته، كان قد أفرغ كل ما بجوفه من خوف في صغره، خاف كثيرًا بسبب أحداث قرر عقله أن يدفنها، ثم توقف فجأة عن الخوف وتحوّل لوحش لا يخاف، وكانت رؤية الخوف على ملامح الناس تُذكِّره بأيام لا يتذكرها، ولكنه يمقتها، وتثير فيه غضبًا حارقًا، فكان بمجرد رؤية الخوف على ملامح ضحية يواجهها يسارع بقتلها عقابًا لها».

قفزت دموع التأثُّر إلى مُقلتي نادر رغمًا عنه، وخفق قلبه، شيء في طريقة سؤال (العاقِبة) جعله يذوب، بدا وكأنه طفل يلوم والده على عدم تنشئته كما يجب.

الحقيقة أن نادر لا يعلم لهذا السؤال إجابة، هو رسم شخصية هذا الرجل جيدًا بعد مرحلة تحوُّله إلى وحش، ولم يهتم، كسلًا، لملء فراغ لن يُفيد في أحداث الرواية. ونسي، أو بالأحرى لم يعلم، أنه رجُل له كل الحق في معرفة من أين جاء، وما أدى إلى أن يكون على ما هو عليه الآن.

شَعَر نادر، أمام شخصيته التي لم يُحسِن رسمها، بالخزيان، وبالعجز عن دفعه هذا الشعور عن نفسه.

لم ينقذه من عجزه سوى انتهاء وقت اللقاء.

ولكن تأثيره، لم، ولن، ينتهي على حياة نادر.

كان شيء جديد ينمو داخل نادر، ويشق طريقه عبره إلى الحياة.

كان نادر يشعر بالرجل، وكأن جزءًا منه فيه، يشعر بأمله في نادر بعد لقائهما، يشعر بعشقه لنجاة، يشعر برغبته في التضحية بكل شيء في سبيل إنقاذها.

كان مفهوم إنكار الذات مفهومًا جديدًا على نادر، ولكنه جاء مع اتصال نشأ بينه وبين «عاقِبته»، وملأ نادر بإحساس لا يعلم كيف يتعامل معه.

أحب نادر، الذي لم يسمح لنفسه بأن يحب من قبل،

«عاقِبته»، الذي حاول قتله مرتين.

أحبّه، بالرغم من غرابة الفكرة.

***

قرّر حازم، وسط عاصفة من الشكوك، أنه لا شيء مُستبعَد الآن، وأنه لا بُد وأن يبقى على دراية بكُل ما يحدث، وليس بصفته ضابطًا مُحَقِّقًا فقط، بل كونه فضوليًا صاحب خيال خصب يتم تحدي منطقه بقوة لا يمكن مضاهاتها.

أمر بمراقبة نادر على مدار الساعة، مُتجاهلًا وخز ضميره له بسبب خداع صديقه.

***

لم يجد نادر أمامه سوى حنان؛ نظرًا لأنها الشخص الوحيد الذي لن يحكم عليه بالجنون، وأيضًا نظرًا لنفوذ والدها، وسلطته، التي ستفتح أمامه الأبواب المُغلقة لمحاضر الشرطة التي تحوي داخلها قضايا الاختفاء.

بحث عن هاتفه، واتصل بها.

(45)

أمضى نادر الأيام التي تلت لقاءه الذي غيّر حياته في حالة من عدم الفهم وعدم الاتزان، يشويه الصبر، ويأكله الانتظار؛ فمنذ أن وعدته حنان بأن تبذل كل ما تستطيع من جهد للإتيان له بكل تفاصيل حالات الاختفاء، وسرقة الأموال، التي حدثت في الشهرين السابقين، وهو لا يريد أن يضغط عليها، فكان يبذل جهدًا يستنزفه، فقط حتى لا يفعل أي شيء.

***

حنان طلبت من والدها أن يتحصّل على التفاصيل التي طلبها نادر، وبالطبع سألها والدها عن السبب؛ فكذبت، وأخبرته قصة ضعيفة الحبك عن اختفاء زوج صديقة، ولكن والدها لم يصدقها، فهو بحكم طبيعة عمله كان جهاز كشف الكذب من دم ولحم، فصارحته بالحقيقة، فرفض التدخل في البداية، ثم رضخ بعد إصرارها، كيف لأب أن يرفض طلب وحيدته؟

***

غرق حازم في بحر كبير من الرمال المتحركة اسمه قضية اختفاء وليد سرحان، تسبّبت كل محاولة منه للخروج من

القضية في انغماسه أكثر في بحيرة من الحيرة اللزجة، حتى إنه أعاد مشاهدة تسجيلات كل كاميرات المراقبة التي استطاع رجاله الحصول عليها من المنطقة المُحيطة بمنزل وليد، وأمضى ساعات وساعات في المراقبة؛ على أمل أن يظهر وليد في واحدة منها، فيدحض كلام الرجل المجنون، الذي هزّ ثقة حازم في كُل شيء؛ فالعوالم المتوازية فكرة تنتمي لعالم الروايات، أمّا العوالم الخيالية فهي حتى لم تُذكَر كثيرًا في القصص الخيالية حسب علمه، ولهذا سبب منطقي، أنها ببساطة فكرة مجنونة كليًّا، ثم تأتي معلومة إمكانية السفر بين عالم خيالي وآخر حقيقي لتُضيف إلى المزيج المجنون جنونًا.

***

كنحلة عاملة نشيطة تنتقل بين الأزهار لتمتص رحيقها وجمع حبوب اللقاح، تنقلت بين القنوات والبرامج، المُسجَّل منها والمباشر، حضورًا وهاتفيًّا عبر المُداخلات، واستقبلت اتصالات هاتفية، ووزعت وعودًا كزهرة لا تبخل برحيقها على أحد، ولكنها لا تسمح لأحد بقطفها. هكذا عملت داليدا منذ سرَّبت خبر تعرُّض نادر لمحاولة اغتيال على يد قارئ مجنون للإعلام.

استقبلت يوميًّا أكثر من اتصال من رجل الأعمال ماجد

الذي منذ أيام قليلة كان يُمثِّل لها ولنادر طوق نجاة من الغرق في بئر النسيان، وتجاهلت مكالماته أحيانًا، وراوغت عروضه دائمًا، وتحمَّلها هو بصبر مقامر يعلم أن الفرس الأسرع والأقوى يحتاج لمجهود أكبر لتلجيمه، ولكنه بكل تأكيد يستحق كل قطرة عرق تُبذَل في سبيل ضمِّه إلى الفريق.

(46)

قفز نادر من على سريره قفزة أفزعت العصافير التي تجمَّعت خارج زجاج غرفته حول طبق الأرز الأبيض المليء بالرزق، وبالرغم من أن الزجاج كان مُغلقًا، فإن العصافير شعرت بهزة آتية من خلفه؛ ففزعت، وطارت بعيدًا.

بعد دقائق من تلقيه اتصال حنان الهاتفي، الذي أخبرته خلاله أن والدها وجد ما كان يبحث عنه نادر، كان الأخير جاهزًا للخروج مرتديًا أول شيء وقعت عليه يداه في الدولاب. وبقي يدور في شقته انتظارًا لرنة هاتفها حتى ينزل لتصحبه إلى بيت الرجل الذي اختفى في ظروف غامضة.

في الطريق إلى بيت المدعو وليد سرحان أطلعته حنان على تفاصيل تحقيقات الشرطة؛ مما زاد من إثارة الأخير وتحمُّسه وانفعاله. وأخبرته أيضًا أن مكتبًا للصرافة تعرَّض لعملية سرقة بالإكراه كما توقَّع نادر بعد اختفاء وليد بأيام. الحادثة التي قُيِّدَت؛ لعدم توافُر الأدلة، ضد مجهول.

- معقول يعني كلام الراجل ده يبقى صح؟

- مش عارفة يا نادر، بس بجد كلام مراته في المحضر غريب وما لهوش تفسير.

(47)

بدت زوجة وليد، وهي تقف ساهمة في شرفة منزلها، الذي لا تعلم كيف ستدفع إيجاره بعد أيام، كسيّدة عجوز مضغها الزمن الملول، وملّها بعد نفاد سُكرها؛ فبصقها. كانت تشيخ عُمرًا كل يوم. أتاها صوت أولادها من غرفة نومهما صاخبًا، الصخب الذي كان يثير غضبها من قبل وما عاد يفعل، مُذكِّرًا إيّاها بمسئولية أكبر من أن تحملها وحدها.

رفعت رأسها للسماء وسألت الرحمن العفو، والمغفرة، والعون، هبطت دموع القهر منها، فرفع هبوطها دُعاءها للسماء شفيعًا، لتأتيها الإجابة على بابها في هيئة زائرَين، قدَّما نفسهما على أنهما يعملان في منظمة لا تهدف إلى الربح، تعمل في مجالات عدة، منها حالات الاختفاء التي تترك خلفها مسئولية بلا حامل بديل.

دخلت حنان ونادر الشقة البسيطة، واستقبلتهما الزوجة بترحاب صادق وفضول. رفضا أن يشربا القهوة، وطلبا منها الجلوس والإجابة عن أسئلتهما القليلة بدقة، وسعة صدر.

- إحنا عشان نقدر نكمِّل الملف. قال نادر الذي حمد ربه أنها لم تتعرفه، بالرغم من أنه كان مستعدًّا لهذا الاحتمال بالإعلان عن أنه يساعد المُنظمة المزعومة بصفته سفيرًا لها. وأكمل:

- محتاجين نتأكد من شوية حاجات.

هزّت السيّدة رأسها، فبدأ استجوابه:

- في المحضر مكتوب إن... بدا وكأنه يحاول تذكُّر اسم زوجها.

- وليد. قالت بتأثُّر مُكشِّرةً، وكأن ذِكر اسم زوجها يؤلم.

- وليد. اختفى قصادك. يعني إيه اختفى قُصادك؟

- مش قُصادي. وتنهّدت وكأنها تُجهِّز روحها لألم سيستدعيه الحكي.

أصابت جملتها ملامح نادر بخيبة أمل، تبددت مع قادم الكلمات.

- هو كان قاعد مطرح حضرتك كده. وأشارت نحو نادر. وأنا كنت واقفة هنا. وأشارت نحو الردهة الصغيرة التي تقع بين باب المطبخ وباب الشقة. وكنت داخلة المطبخ، حسيت حاجة زي الهوا بيتحرك ورايا جامد، لفيت أبُص عليه ما لاقيتهوش.

صمتت للحظات استجمعت خلالها القدرة على منع دموعها، ثم أكملت:

- قُلت رمى نفسه من البلكونة، جريت بصيت ما لاقتش

حاجة.

- يعني هو ما... سألت حنان سؤالها المبتور، وقبل أن تجد الكلمات المناسبة قالت الزوجة:

- والله ما خرج من الباب. أنا كنت واقفة قصاد الباب، هيخرج إزاي؟

تحشرج صوتها، وخانتها الدموع، نظرت نحو الستارة التي تفصل الصالة عن غرف النوم؛ لتتأكد من أن ولديها لا يسترقان السمع، وأكملت بكلام ممزوج بالندم والبكاء:

- أنا مش مجنونة والله. أنا عارفة إن الكلام ده كلام مجانين، بس والله العظيم هو ده اللي حصل. ده عقاب كبير من ربنا، وإحنا نستاهله.

بكت بصوت مكتوم.

- عقاب على إيه؟

- وليد. قالت الزوجة فأسكتها البكاء، وصبر الضيفان بتأثُّر حتى أكملت:

- كان دايمًا بيقول: «نفسي أختفي». فقام ربنا استجاب له.

لم يجد نادر وحنان ما يُعلِّقان به؛ فأكملت الزوجة وكأن سدًّا داخلها انكسر:

- ضيق الحال وقلة الرزق كانوا وحشين على نفسيته، وأنا برضه ما كُنتش بارحمه. كنت كل يوم أقول له ما لكش لازمة ما لكش لازمة. طغى الندم على صوتها المكسور. قام ربنا عرَّفني قيمته وحقق له دعوته.

مزق بكاؤها روح حنان، فقامت واحتضنت السيدة بحنان افتقدته السيدة على ما يبدو من استسلامها لضيفتها. قام نادر ووقف أمام صورة لوليد مُعلَّقة على الحائط تبدو حديثة التعليق، وكأن اختفاءه من المنزل استوجب حضورًا موازيًا له.

هاجمته فكرة أننا لا نُدرِك قيمة الأشياء إلا بعد زوالها، وأجبرته على النظر نحو حنان بشعور جديد، وكأنه يراها للمرة الأولى.

وسأل نفسه كم من نِعَمٍ منسية لا يحمد ربه عليها، وبالكاد يلاحظها!

انقبض قلبه عندما تصوَّر زوال نِعَمه المنسية، أو بالأحرى نعمته المنسية الأهم، فهو يملك حائطًا كاملًا يُخلِّد نعمه، فلن تُنسَى، قد يُنسَى هو وتبقى نعمه من بعده طويلًا، ولكن حنان، النعمة الأكثر قيمة من بين ما أعطاه ربه لم تكُن، قبل هذه اللحظة، ضمن قائمة نعمه التي يُقدِّرها حق قدرها.

شعر بنفسه يتضاءل أمام الفقد الذي يملأ المكان من حوله، وما زاد شعوره بالضآلة هو رؤيته لملاكين صغيرين يسترقان النظر من خلف ستارة هزَّها تدافُعهما للفوز بالنظرة الأولى.

صار نادر كتلة من الشعور بالذنب، ثقيلة ثقل الحديد، شعر بحركته أبطأ، وبأنفاسه أثقل، وبروحه تُثقل، لا يعلم ما الذي فجَّر ندمه هكذا، هل هو إهماله لحب حنان له، ورغبته في التخلُّص منها؟ أو أنه شَعَر، بشكل ما، أنه مسئول عما حدث لهذه العائلة؟

أراد الهروب من المكان، وكأنه سيترك ندمه خلفه إذا خرج.

- بعد إذنك. خرج صوته مهزومًا. إحنا مضطرين نمشي عشان عندنا شغل كتير، وبنوعدك إن حالتك هتكون رقم واحد في الدعم إن شاء الله.

فهمت حنان الرسالة، وطلبت من السيدة رقم هاتفها، وتركتها تشكر ربها على استجابته السريعة، وطلبت بطمع، مُستغلةً ساعة الاستجابة، أن يعود لها الرجل الذي تمنَّت كثيرًا أن يرحل.

(48)

خارج زجاج السيارة الفارهة جدًّا، كان الصيف صاخبًا لزجًا، وبداخلها كان الصمت أصخب وأشد وطأةً، وله حضور مادي؛ غرق نادر في الصمت مسحوقًا حد فقدانه القدرة على الشعور بجسده. وسهمت حنان وغرقت في دوَّامة من الحيرة؛ «**أيُعقَل؟!**».

اعتصر الذنب نادر بعدة أيادٍ، أراد أن يهرب من هذا الشعور الحارق، وفشل.

- نادر. قالت وكأنها شعَرت بسخونة احتراقه بجانبها. أنت ما لكش ذنب في كل ده، وما فيش أي دليـ...

أسكتتها نظرة نادر المتوسلة؛ توسَّلها الصدق، أرادها أن تواجهه بالحقيقة، أو على الأقل بما تظنّه حقيقة. كذب الناس حوله كثيرًا، وأسعده كذبهم، وتملُّقهم، ورفعهم له لمكانات لا يستحقها. ولكنه اليوم يرغب في التعرّي من طبقات الكلام الذي غلَّفه بأغطية تشبه أغلفة الروايات الخادعة، التي لا تكشف عمّا بداخل الكتاب من وضاعة، وانحطاط، وركاكة وابتذال لا يليق إلا بالصحف الصفراء، والمواقع المشبوهة.

صمتت وأخبرته عيناها بما ظنّت، واتفقا على الصمت دون كلام.

بماذا تفيد مواجهة المُجرم بجريمة لن يُعاقَب عليها؟!

كان هو السبب. وهذا ليس جلدًا لذات بريئة، بل لذات غارقة في الخطيئة؛ لو لم يحتَج عالمه الخيالي للإنقاذ من شرِّه، لما جاء الرجل لقتله، ولما ذهب وليد مكانه.

دفعت عائلة وليد الثمن، ويدفعه (العاقِبة) أيضًا، الثمن الذي قبضه الروائي الأكثر مبيعًا، إيرادات، وشهرة، وتأثيرًا، ونفوذًا.

اعتصر نادر الناس كفاكهة مُحرَّمة ليستمتع بعصيرها اللذيذ المسموم، ولكن على عكس ما حدث في قصة آدم، دفعت الفاكهة الثمن بطردها من الجنة، وبقي هو فيها يعتصر المزيد.

اختل ميزان العدل، وبات المخلوق مُضطرًّا لمحاكمة خالق لم يعرف ميزانه سوى كفّة واحدة.

(49)

أبلغ الأمين الذي يقودّ دراجة بخارية، والمُكلَّف بمراقبة تحركات نادر، رئيسه حازم، بما رأى. لم يتعجّب حازم من استطاعة نادر الحصول على تفاصيل حالات الاختفاء؛ فالرجل لديه علاقات قوية، ولكن ما أثار تعجُّبه فعلًا هو بحثه في الأمر! «**هل يُصدق هذا المجنون؟!**». لم يستطِع الإجابة عن هذا السؤال؛ لأنه هو نفسه لا يستطيع الجزم قطعًا بالحقيقة.

«كما قال (شيرلوك هولمز): عندما تستبعد المستحيل، أي شيء يبقى، مهما كان غير محتمل، على الأرجح هو الحقيقة».

في قضية وليد، أول احتمال سيُستبعَد لاستحالته، هو ما تُشير إليه أقوال الشهود، بافتراض أن المُحتجَز هذا شاهد، والأدلة.

رن هاتف حازم المحمول قاطعًا سيل أفكاره قبل أن تجرفه بعيدًا عن الواقع، كان المُتصل هو وكيل النيابة المسئول عن التحقيق في قضية المحتجز المجهول؛ بالتأكيد اتصل للحديث عن التسجيل الذي أرسله له حازم لسببين؛ الأول: أنه يُعَد دليلًا بالرغم من جنونه، فلا يمكن لجهة جمع

الاستدلالات المُمثلة في حازم منعه عن النيابة. والسبب الثاني: هو أن حازم احتاج لأن يسمع شخصًا آخر، غير نادر، الذي يبدو وأنه صدَّق كلام مجنونه بالفعل، ما قيل، ليتناقش معه نقاشًا موضوعيًا بعيدًا عن الخيال الذي يحتَل أفكار حازم، ويشوِّه حُكْمه.

- إيه يا حازم الكلام ده؟ الراجل ده ضارب حاجة، يا ريته فضل ساكت.

- تفتكر بيقول كده ليه؟

- عادي. الناس ممكن تقول أي حاجة عشان تفلت من العقوبة. مرة راجل كان قاتل مراته، وقصادي قال وحلف إن روح مراة أبوه لبستها، عشان كانت عاوزة تغتصبه وهو صغير بس هو كان بيرفض، فعملت له لعنة عشان تتجسد في جسم كل ست يشتهيها، وإنه كان بيشوف وشها بدل وش مراته، والتحقيق أثبت إنه هو اللي حاول يعتدي على مراة أبوه أصلًا. الناس خيالها واسع، وخصوصًا لو حياتهم معتمدة عليه.

- عندك حق. قال حازم. فيه نظرية بتقول إن معظم المُجرمين، هما روائيين ضلُّوا الطريق للكتابة، أو العكس. المهم، ناوي على إيه؟

- بعد عرضه اللي جي، يتحوّل للطب النفسي للبت في سلامته العقلية، ومناسبتها للمحاكمة، وبعدها تُستخرَج له هوية لعدم الاستدلال على هويته، ويتحوّل للمحكمة.

أغلق حازم الخط، ومعه حاول إغلاق نافذة شعوره بأن ما قيل في جلسة نادر والمسجون ليس مُجرد تخاريف، وفشل. منذ اللحظة الأولى الذي دخل فيها غرفة مكتب نادر ليلة إطلاق النار وهو يشعُر بأن شيئًا غير عادي حدث هنا، كيان غير أرضي مر من هنا، حتى إنه شمَّ رائحة الكتب الجديدة حوله، وبقي هذا الشعور مُلازمًا له طوال فترة تحقيقه في قضية محاولة اغتيال نادر، ولم يشبه هذا الشعور سوى شعوره في أثناء تحقيقه في قضية اختفاء وليد، وأيضًا منذ لحظاته الأولى فيها. هل يُمكن أن يكون هذا التشابه مُجرد مصادفة؟ «**مستحيل!**». ولكن بديله أيضًا، بمعايير المنطق، كان مُستحيلًا.

(50)

غرق نادر في بحر من الشعور بالذنب بلا أمل في النجاة. اقترب من هاوية فقدان الرغبة في الحياة، فعندما تفقد الأمل في تصحيح المسار، يجب التوقف عن السير، على الأقل لإيقاف نزيف الأضرار التي يتسبب فيها السير، أو البقاء على قيد الحياة.

إذا كان موته سينقذ بعض ضحاياه من مصير أسود لا يعلمه إلا الله؛ فليُقدِّم روحه طواعيةً، لعل تقديمها يشفع له عند سؤاله عن بقية ضحاياه الذين لن يكفي موته لإنقاذهم، بسبب فوات أوان ذلك.

أمضى أيامه في عصر خياله لإيجاد وسيلة يُكفِّر بها عن سيئاته، ليس طلبًا للجنة في المقام الأول، ولكن رغبةً في إيقاف احتراق روحه بالشعور بالذنب.

ولأول مرة في حياته، لا يُقدِّم خياله حلولًا.

اختلف علماء علم النفس عند اختيار أسوأ شعور يمكن أن يشعر به الإنسان، بعضهم قال الشعور بالذنب، والبعض الآخر اختار العجز! فما بالك بمَن يشعر بالذنب بسبب أخطائه؟ وأيضًا بالعجز عن تصحيحها؟

رن هاتفه، وبالرغم من عدم رغبته في الكلام، أجاب:

- فينك يا نادر؟ أنا بقى لي يومـ...

- فيه إيه يا داليدا؟ معلش مزاجي مش حلو.

- أنا محتاجة أقعد معاك، ماجد بيطاردني حرفيًّا عشان يمضي معاك.

- ده وقته؟

- ما فيش وقت أنسب من دلوقت يا نادر. الراجل مستعد يعمل أي حاجة. ده حتـ...

لم يسمع نادر باقي الكلام، كاد أن يصرخ «يوريكا!» باليونانية، والتي تعني «أنا أملكه» بالعربية، والمعروفة أكثر بـ«وجدتُّها!» التي صرخ بها أرخميدس وهو يجري عاريًا في شوارع سيراكيوز بعد اكتشافه قانون الطفو.

- حدِّدي لي ميعاد مع ماجد لوحدنا في مكان عام في أقرب وقت. قال نادر مُقاطعًا داليدا بحماس خرج منه جارفًا بالرغم من محاولته السيطرة على انفعاله.

- لوحدكـ...

- داليدا. قاطعها نادر بحزم. اعملي اللي باقول لك عليه، هأفهمك بعدين كل حاجة. بس صدقيني بكرة تشكريني لما تفهمي. كذِب مُضطرًّا. يلّا، مستني منك الميعاد والمكان.

سلام.

(51)

جلست حنان تنظُر نحو النيل وهي بالكاد تراه من كثرة ما بها من خوف، وقلق، وحيرة. منذ مكالمة نادر لها وهي تشعر أن شيئًا ما ليس على ما يُرام، بدا لها نادر وكأنه على وشك الانفجار انفعالًا، كان متحمّسًا، على عكس ما كان عليه في الأيام التي لحقت زيارته لمنزل وليد، حيث كان مسحوقًا بالشعور بالذنب، ولم تفلح كل محاولات إنقاذه من هذا الشعور الذي كان يأكل روحه، مُتلذذًا، على مهل.

طار طائر فوق صفحة الماء بحُرّية، فانقبض قلبها؛ شعرت وكأن شيئًا عزيزًا عليها يغادرها، وهي عاجزة عن الإبقاء عليه.

جاء وجلس نادر أمامها، مبتسمًا، مُشرقًا، وكأن الشمس قد اختصته بنورها اليوم ليعكسه هو للعالم حوله.

خافت!

نادر هذا غير نادر الذي عرفته، هذا رجل جديد، وبالرغم من أنها تمنّت كثيرًا أن تراه مُشرقًا كما تراه الآن، ولكنها خافت من السبب.

- مساء الورد. قال ببهجة ناثرًا حوله لمعانًا إضافيًا.

- مساء الخير، فيه إيه يا نادر؟

- ما فيش. جبتي الحاجة؟

- كل حاجة هنا. قالت وهي تُشير إلى حقيبة متوسطة الحجم كانت على المقعد المجاور لها. مش هتفهِّمني عاوز الحاجة دي ليه؟

- هتفهمي كل حاجة في وقتها.

- ما هو طالما مش عاوز تقول، تبقى عارف إني هارفض لو عرفت. صح؟

- حنان. قال بحنان. مش عاوز أضطر أكدب عليكي. ممكن بلاش أسئلة تخليني مُضطر أكدب؟

- أنا خايفـ... بكت، ولم تُكمِل كلامها.

مد يده واحتضن يدها بحنان، وقال وهو ينظُر إليها مؤكدًا صدق ما يقول:

- أنا دايمًا كنت باقول لك إني مش جدير بيكي، وابعدي عني. وإني لعنة. صح؟

هزّت رأسها وانتبهت.

- أنا لاقيت ترياق اللعنة خلاص. قال وضغط على كفِّها. أنتِ

يا حنان، أنتِ العلاج. بس لازم عشان أقتنع إني أكون معاكِ، أبقى جدير بيكِ. وعشان أكون كده؛ أنا محتاج أعمل حاجة الأول. وبعدها، لو كنتِ لسة عاوزاني هأكون أسعد إنسان في الدنيا.

- هتبعِد؟ سألت بخوف من خلف دموعها.

- أنا طول فترة معرفتنا. جنبك، بس بعيد. لكن الوضع ده هيتعكس. ثم أنا نويت أعمل الحاجة اللي كنتِ نفسِك أعملها من زمان. قال ليُطمئنها. هاكتب.

بكَت هي، ومال هو وقبّل كف يدها من الداخل لأول مرة في حياته، لتشعُر هي لأول مرة في حياتها بسريان الحياة فيها.

قام وغادر المكان، وتابعته بنظر مشوّش بفعل الدموع، وكأنها تراه من خلف زجاج في ليلة ممطرة. ذاب، ولم يتبقَّ منه إلا رحيق عَلِق في كفِّها؛ إثر قُبلته.

قبّلت مكان قُبلته وهي تُخبِر نفسها أن هذه لم تكُن قبلة وداع.

(52)

في شوارع القاهرة قاد نادر سيارته، وبالرغم من حرارة الجو، فإنه فتح زجاجها، ورفع صوت محمد مُنير، ونظر أمامه ساهمًا وكأنه يسأل الأفق البعيد عن مستقبله.

إيديّا في جيوبي وقلبي طِرِب

سارِح في غُربة بس مش مغترِب

وحدي لكن ونسان وماشي كده

بابتعد، ما أعرفش أو باقترب

اتصل بحازم عبر مكبر الصوت في السيارة، فسكت مُنير مؤقتًا.

- يا باشا أنت منفض لي خالص.

- مسحول والله. أجاب حازم.

- ما فيش جديد؟

- ولا الهوا. قال حازم بضيق. وأنت؟

- شرحه. كنت عاوز آجي أقعد تاني مع الراجل يمكن أطلع منه بحاجة، إيه رأيك؟

- لا أنت جي تهزر بقى يا عم. سخر حازم. مش هينفع، ثم إن وكيل النيابة أمر بترحيله بكرة على العباسية للبت في صحة قواه العقلية، وبعدها هيتجدد له بس خمستاشرات، يعني هيترحل على سجن مركزي، مش هيرجع القسم تاني.

- خسارة! تنهَّد نادر. ابقى عدِّي طيب ما تختفيش كده، ولّا هي كانت معرفة تحقيق وخلصت؟!

- عيب عليك.

أغلق نادر الخط، وابتسم وهو ينظُر إلى الرجل الذي يقود الدراجة البخارية خلفه عبر مرآة سيارته، سامحًا لصوت مُنير، الذي عاد تلقائيًّا للغناء بمُجرد انتهاء المكالمة، بأن يغسل روحه بشجن حنون، وملامحه يملأها التفاؤل، والتصميم.

بابتعد، ما أعرفش أو باقترب

(53)

أغلق حازم الخط ببال شارد، فبالرغم من إعلانه الخيبة، فإن نادر بدا له وكأنه قد حصل على ما اتصل من أجله. تمزَّق حازم بين دوره بصفته ضابطًا، يتعامل مع كل مَن يتضمنه ملف القضية كمتهمين محتملين، وبين صداقته لنادر التي بدأت دون ترتيب؛ شعَر وكأنه يخون صديقه بالشك فيه، وفي نفس الوقت لا يمكن أن يفترض، كونه ضابطًا، حُسن نيّة مَن تشي أفعاله بالعكس.

فتح سليم باب المكتب ودخل؛ فانتزع حازم من شروده.

- ما لَك يا حازم؟

- هاه؟ أجاب حازم دون استيعاب حقيقي للسؤال. ما لي؟ ما فيش.

اتصل حازم بالأمين المُكلَّف بمراقبة نادر، وأكّد له أن يلتصق به كالظلّ، ثم ترك هاتفه ونظر إلى ورقة تحمل تحركات نادر.

- لقاء رومانسي مع حنان.

- لقاء عمل مع رجل الأعمال ماجد كامل.

كلها تحركات عادية، ومنطقية، ولا تبدو مترابطة بأي شكل،

أو خارج الإطار العادي، أو الطبيعي؛ مُجرد شخص يمارس حياته الشخصية، والعملية بشكل عادي.

ولكنه كان يشعر في قرارة نفسه أن نادر يُدبِّر أمرًا ما.

وكان على حق.

(54)

فتح نادر باب شقته لتندفع داليدا، التي ارتدت قميصًا زهريًا، وبنطلونًا جينزًا أزرق سماويًا، إلى الداخل بغضب هائج، ولم تنتظره حتى ليغلق الباب. فصرخت:

- ممكن أعرف إيه اللي يخلّيك تمضي عقد مع ماجد من غيري؟ وتُصِر على عدم حضوري! فاكرني مش هاعرف؟ ومش بترُد على تليفونك. عاوز تسيبني؟ ما تقول! إيه شغل التطفيش ده؟ ما تفتكرش إني ما عنديش نجوم تانية في الدار. أنا زي ما عملت نادر عبد القادر، ممكن أعمل ألف نادر. ما تنساش إني فضلت معاك في أسوأ أيامـ...

- شششش. قال بخفوت رافعًا يديه مُقاطعًا.

صمتت وعقدت ذراعيها وملامحها ما زالت غاضبة ومجروحة، فقال نادر باسمًا:

- أنا كنت ممكن أسيبك تكمّلي كلام، وتعُكّي، وتعايريني بأيامي الصعبة.

صبغت جملته وجهها بحمرة الخجل، ولكن ما لبث وجهها أن عاد لغضبه، وفتحت فمها لتتحدث، ليعود نادر لمقاطعتها مُجدّدًا بنفس ابتسامته المُهدّئة:

- ولا أنا عاوز أسيبك، ولا عملت حاجة من كل اللي مضايقك ده، ولو على تليفوني، يا سيدتي أنا آسف، بس بجد ما ليش نفس أتكلم، ومتطمّن إنك بتعملي كل حاجة في صالحنا صح، ده دليل على ثقتي فيكي، مش العكس، الثقة اللي منتظرها منك في المقابل.

فتحت فمها لتتكلم، ولكنه أكمل دون توقُّف:

- وبخصوص عقد ماجد، العقد موجود تقدري تبُصي عليه، كل اللي كان نفسِك فيه وزيادة. القصة وما فيها إن حكاية الاغتيال دي شكلها هتطلع فشنك، وأنا بعد قعدتي مع الراجل المجنون في القسم، وكلامي مع حازم، عرفت إنه غالبًا هيطلع من المستشفى تقرير بيقول إنه مش مجنون، وهيتحوّل للمحكمة، يعني كلها كام يوم وكل حاجة هترجع زي ما كانت، فقلت أستغل الزخم، وأمضي العقد. مش ماجد كان عاوز مُعالجة؟ جت في دماغي فكرة، عرضتها عليه، وعجبته. بس كده.

(55)

سمع نادر أذان الفجر، وشعَر لحظتها وكأنه يُؤذَّن من أجله، قام وتوضأ وصلَّى، لم يكُن منتظمًا في الصلاة، كان يُصلِّي، ولكنه سها عنها كثيرًا، ولكنه اليوم شعَر أنه من دونها لن تستقيم حياته، دائمًا ما نتذكر الله عندما تخذلنا الدنيا، أو بالأحرى عندما نخذل أنفسنا في الدنيا، وكأننا نطمئن أنفسنا أن هناك فرصة ثانية مضمونة عند الرحمن. تُذكِّرنا إخفاقاتنا، وضآلتنا دائمًا بعظمة الخالق، كما يُبرِز الغامقُ الفاتحَ من الألوان.

بعد الصلاة وقف كما اعتاد أن يفعل خلف زجاج مكتبه، ينظُر إلى الشارع الهادئ، والذي كان يكشف عن أسراره الواحد تلو الآخر في ضوء الشمس الآيب من بعيد.

ابتسم عندما رأى ابنة البوّاب الجميلة خارجة من العمارة بترنّح ناعس لجلب إفطار العائلة الذي لا يتغيّر؛ العيش البلدي، والفول، والطعمية. ثم رأى جاره المُسِن يعود بخطوات بطيئة، وكأنه يطالب الزمن بالتأنِّي، نحو عمارته، وعَلِم أنه سينزل بعد دقائق مُصطحِبًا كلبه في جولتهما المُنعِشة اليومية المتكررة. ولإضفاء المزيد من اللطف إلى المشهد، كشف له الشارع عن سر جديد؛ أن القطة التي تسكن مدخل عمارته، رُزِقت بقطط صغيرة خرجت تلهو على

الرصيف قبل أن تكسوه شمس الصيف الحارقة.

منذ أيام تعرَّض نادر لحادث غيَّر حياته، ولكنه الآن، في هذه اللحظة، شَعَر وكأن كل شيء يعود لما كان عليه قبله، وكأن العالم يُخبِره أن للدنيا قدرة هائلة على التأقلم، والتخطي، تفوق قدرة البشر على الاستيعاب. كم منا مرَّ بتجربة قاسية ظنّ بعدها أن العودة لما قبلها مُستحيلًا! ثم اكتشف بعد وقت قصير، أن كل شيء عاد لوضعه السابق دون أن يلاحظ هو نفسه.

تبقى الندوب، ويبقى الأثر، ولكن تستمر الحياة كقطار لا يعرف التوقف، لا يُعطِّله سقوط مسافر منه، ونحن المسافرون الذين لا نعلم في أي محطة سيلفظنا القطار دون إبطاء، ولا تمهيد.

تكدّر مزاج نادر؛ لا يريد أن يعود لما كان عليه، لا يرغب في أن يبقى أسيرًا في قفص نادر عبد القادر الذهبي، وأن يستمر في تقديم عروضه كنمر السيرك الذي يبهر الناس بما يستطيع تأديته من حركات، وبجماله، وبشراسة مُدَّعاة، وهو في الحقيقة مُجرد حيوان مُستأنَس، يرقص مقابل الطعام، ولا يستطيع أن يكون سوى ما يرغب المُشاهدون في رؤيته.

أغلق الستار وكأنه يُقلِّب صفحة لا تعجبه في كتاب أُجبِرَ على قراءته، ودار مُعطيًا ظهره للحياة. أول ما وقعت عليه

عيناه، بعد أن عاد بوعيه إلى مكتبه، كان حائط إنجازاته، نظر إليه كعجوز يشاهد تسجيلًا دقيقًا لطيش شبابه، رأى الأمر مُبالَغًا فيه لأقصى حد.

ما الإنجاز في أن تنشُر عددًا من الروايات، إذا لم تُثرِ هذه الأعمال حياة مَن قرأها؟ بالطبع المُتعة التي يتحصَّل عليها قُرّاؤه إنجاز في حد ذاته، ولكنه في سبيل هذه المتعة يؤذي الكثير، حسب أقوال «عاقِبته». أليس من الأفضل أن يُمتع القارئ دون أن يُضر؟

شيء جيّد أن تترك خلفك أثرًا يحكي عنك، ولكن ليس كل أثر يُترَك يستحق الاحتفال. هناك مَن يترك خلفه علمًا يُنتفَع به، وهناك مَن يترك خلفه علمًا يُفسَد به في الأرض. فهل يستويان؟

مدفوعًا بقناعة لم تحتَج لكثير من الوقت لتترسخ في عقله، دار حول مكتبه، وشرع يخلع إطارات شهاداته، وصور أغلفته، وصور تكريمه، وكأنه يتراجع عنها، وكأن خلعها عن حائطه سيزيلها من صفحة أعماله.

«**يا ليت الحياة بهذه البساطة!**» فكّر، أن تنتزع أعمالك من صفحتك، لتذهب وكأنها لم تكُن. ثم أدرك فجأة أنها، أي الحياة، بالرغم من تعقيدها، فهي بالفعل بهذه البساطة، وإلا ما احتوت اللغة على مفردات مثل التوبة، والمسامحة،

والمغفرة، والتغيير... إلخ.

ملأه هذا الإدراك بالطاقة، فشرع يخلع أعماله بنشاط أكبر، وكوّمها كلها على الأرض بجانبه، وأخفى بها بقعة الدماء التي جفّت، ثم أخذ ينظُر إلى الحائط الفارغ المليء بالثقوب والمسامير، الذي ذكّره بذراع المُدمن.

أسره شعور أن هناك شيئًا مفقودًا في الحائط، عاد خطوتين إلى الوراء، حتى استند إلى مكتبه، بقي يبحث في الجدار وكأنه يستنطقه عن العنصر الناقص، تسمّر مكانه لدقائق حتى وجده.

وقف معتدلًا ونظر خلفه نحو جهاز الكمبيوتر الذي كان يكتب عليه منذ دقائق، ثم نظر إلى الحائط مرة أخرى وكأنه يختبر الفكرة، حتى اقتنع.

ثم خرج من المكتب بخطوات سريعة عازمة.

(56)

فقرة من قصة «ذهاب وعودة» بقلم نادر عبد القادر

اعتاد الأمين خميس جمعة على نوبات السعال التي تثنيه كورقة مهترئة، والتي يشعر خلالها؛ من شدّتها، أنه سيبصق رئتيه. كان والده صاحب (مزَاج) وحس فكاهي، واسمه جمعة، فقرر تسمية ابنه خميس؛ كنوع من الدعابة، التي حوّلت طفولة ابنه إلى مسرحية هزلية.

مرّت نوبة السعال، وتركت أثرًا صغيرًا يكاد لا يُلاحَظ من الدم على منديله، ولكن بقي الصداع، وضيق التنفس؛ كضيفان ثقيلان لا يرحلان عن جسده الهزيل، وأحيانًا يزيد عليهما ألم العظم.

في مؤخرة سيارة الترحيلات جلس، وأشعل سيجارته ونظر إليها وهو ينفُخ دُخانها نحوها، وكأنه يحاول رد جميلها عليه إليها؛ سرطان الرئة.

وصلت سيارة الترحيلات إلى السجن، وفتح الأمين خميس الباب، فخرج المساجين الواحد تلو الآخر، والذين تبيّن عند استقبالهم، ومطابقة عددهم مع كشف الأسماء الآتي معهم، أن رجُلًا منهم لم يصل إلى السجن، والذي تم التأكُد بعد التحقيق الذي أُجرِي فورًا، بما لا يدع مجالًا للشك، أنه ركب

في هذه السيارة بعد عرضه على الطبيب في مستشفى العباسية.

اختفى (العاقِبة) وكأنه لم يكُن.

الجزء الأخير

(57)

كان باب الشقة مواربًا، دفع حازم الباب ودلف إلى صالة شقة نادر الفارغة. باردة كانت بفعل مُكيّف الهواء، وخلوّها من الناس، خطا إلى الداخل وكأنه يدخلها للمرة الأولى، لم يشعُر بالرغبة في إغلاق الباب خلفه، ولكنه فعل، لا يعلم لماذا يشعُر وكأن المكان تغيَّر؟! بحث عن التغيير ولم يجده. لكل مكان طاقة مميزة، وهذا المكان تغيّرت طاقته منذ أن كان هنا آخر مرة.

- قهوة؟ جاءه صوت نادر المرِح من المطبخ، مُعيدًا إيّاه إلى الواقع، وإن بقي عالقًا في مؤخرة عقله أن هناك شيئًا تغيّر في هذا المكان.

- يا ريت. أجاب بصوت عالٍ سبقه إلى المطبخ.

دخل المطبخ، وما إن وقعت عيناه على نادر، الذي نظر لضيفه بود، ومنع نفسه من النظر لحذائه الذي انتهك نظافة سجادته، حتى تأكد أن التغيير الذي يشعر به لم يطَل المكان فقط؛ كان نادر مُشرقًا، يتحرك بخفّة وكأنه يطفو، وكأنه فقد كل وزنه؛ مما ذكَّره بـ(سكوت كاري) بطل رواية (انعتاق - Elevation) لـ(ستيفن كينج).

- بتبُص لي كده ليه؟ سأل نادر وهو يُقلّب القهوة على النار. عشان سِبت لك الباب مفتوح؟ ما أنا عارف إنك طالع.

- مش عارف. أنت فيك حاجة غريبة.

- وإيه الغريب في كده؟

- إيه الحاجة الغريبة؟ ولّا إيه الغريب إن فيك حاجة غريبة؟

- لأ التاني. قال نادر وهو يضحك. واحد نجا من محاولة اغتيال، فرصة جديدة للحياة، طبيعي تكون مُنعشة.

- تفتكر؟ سأل حازم متشكّكًا.

- عندك شك؟

صمت حازم، كان يزن الكلام في عقله قبل أن يقوله، ثم قاله دون تفكير:

- بصراحة يا نادر، أنا مش عاوز أكون ظابط مباحث وأنا قاعد معاك، بس أنا للأسف ظابط مباحث.

- فيه إيه يا حازم؟ قال نادر وهو يصُب القهوة.

- تعالَ نقعد برة وهاقول لك.

ناول حازم قهوته، ثم حمل نادر فنجانه، وتبع ضيفه إلى

الصالة.

- أنا سجّلت الحوار بينك وبين المسجون. قال حازم وهو يجلس، ونظر إلى وجه نادر مُدقِّقًا ليرصد رد فعله الحقيقي قبل أن يُجيب، ولم يجد أي رد فِعل. كانت ملامح نادر عادية ومحايدة بشكل غير مفهوم، وكأن الأمر لا يعنيه. وبعد لحظات من الصمت قال نادر وهو يبتسم بودٍّ حقيقي:

- وبتقول مش عاوز تبقى ظابط؟

- أنت مش زعلان؟

- لأ طبعًا، وحتى لو كان الموضوع ده ممكن يزعلني، مُجرد إنك أنت اللي قلت لي عليه يخليني ما أزعلش. بس أنت خبّيت عليَّ ليه؟

- لو كُنت قُلت لك، ما كُنتش هتكون على طبيعتك.

- عندك حق. قال نادر، ورشف من قهوته. فيه اعترافات تانية؟

- آه فيه. قال حازم وهو يُعيد فنجانه لمكانه على الطاولة. من يوم...

- غير الأمين اللي بيراقبني.

توقفت يد حازم في منتصف الطريق على الطاولة للحظة،

ثم أكملت طريقها، وشقت ابتسامة المهزوم طريقها نحو ملامحه، ثم قال:

- واضح إن مش أنا بس اللي ظابط.

- تلميذك.

- العفو، ده إحنا اللي تلامذة يا عم.

- عمومًا أنا مش زعلان منك. قال نادر وهو ينظُر إلى حازم مباشرةً. كل واحد فينا وارد يكون عنده اللي يخلّيه يخبّي حاجة مُعينة عن شخص بعينه؛ عشان لسة ما جاش وقت إنه يعرفها.

أومأ حازم موافقًا.

مرت دقيقة صمت، ثم قطعها حازم:

- بما إننا مكشوفين كده، أنت مصدّق كلام المجنون ده؟

- أنت مصدّقه؟ سأل نادر.

- أنا اللي سألت الأول.

- ده خوف من الرد؟

- نادر، أنا عارف إنك زُرت بيت وليد سرحان.

- وفيها إيه؟

- يعني مصدّق كلامه! استنكر حازم.

- وأنت مش مصدّقه؟

بدا الحوار وكأنه يدور حول نقطة، ولا ينوي الاقتراب منها، فقام حازم بالتوجه نحوها مباشرةً بقوله:

- أنا شايف إن المصادفات كتير إنها تكون مُجرد صُدف، ملامحه، والجرح اللي في وشه، وموضوع الاتصال بين العوالم، واختفاء شخص في نفس يوم ظهوره. كل دي حاجات بتؤيد نظريته، بس خلّينا نقول برضه إن اللي هو بيقوله مستحيل.

- زي ما كان الطيران مُستحيل في يوم من الأيام؟ سأل نادر باسمًا.

- دي مش زي دي. قال حازم وهو يشيح بيده اعتراضًا.

- بلاش الطيران. قال نادر متجاوبًا. التخاطُر، الحاسة السادسة، تحريك الأشياء عن بُعد. كل دي قدرات لها حالات مرصودة، بس ما فيش أي تفسير لها. العالم مليان ظواهر ما لهاش تفسير.

صمت حازم مُفكرًا، ثم قال بعد تنهُّده بحيرة:

- مش عارف.

أنهيا قهوتهما، فقام نادر ليُعيد الفناجين إلى المطبخ، وقام حازم وتوجه نحو مكتب نادر كالفراشة التي تطير مسلوبة الإرادة نحو الضوء. ما إن خطا إلى داخل المكتب حتى فاجأه التغيير، هذا المكان لم يكتفِ بتغيير طاقته، بل تغيَّر تغيرًا ماديًّا مرئيًّا وملموسًا، كل ما كان مُعلَّقًا على الحائط يقبع الآن على الأرض أمامه في كومة ذكَّرته بمحارق الكتب في رواية (فهرنهايت 451 - Fahrenheit 451) لـ(راي برادبري)، وتساءل عما يُمكن أن تفعله تلك الدرجة من الحرارة في هذه الغرفة.

أمامه على المكتب رقدت كومة صغيرة من الأوراق، خطا نحوها، وقرأ سطرها الأول؛

«ذهاب وعودة»

قصة قصيرة

بقلم نادر عبد القادر

تبدو مكتوبة حديثًا، تملَّك منه الفضول؛ فشرع يجري بعينه على السطور مُلتهِمًا إيّاها.

بعد إتمامه القراءة، رفع بصره ليفاجئه مُجدَّدًا ما حدث للحائط، هذا التغيير الذي لم يلاحظه عند دخوله؛ لوجوده

في المنطقة المعتمة من بصره، على الحائط الذي كان يحمل إنجازات نادر عبد القادر، كُتِبت كلمة «**ارتداد**» باللون الأحمر القاني، بريشة غرقت في الطلاء لدرجة أن بعضه سال من أطراف الحروف، فبدت الكلمة وكأنها جرح في الحائط ينزف دمًا طازجًا.

استقبل هاتفه في هذه اللحظة مفاجأة أخيرة، وكأن المفاجآت السابقة لم تكفِ، على شكل رسالة، فرفعه أمامه ببال مشغول، وقرأ رسالة وصلته من وكيل النيابة تُفيد بأن (العاقِبة) اختفى في أثناء ترحيله إلى السجن من المستشفى، حيث شُخِّص بسلامة العقل.

(58)

بعد دقائق جلس الصديقان مرة أخرى في صالة المنزل، وبالرغم من أن هذه الجلسة تفصلها دقائق عن جلستهما السابقة، فإن الفرق بين الجلستين كان عظيمًا.

نظر حازم إلى الأوراق وكأنها ستُفصِح له عن شيء غائب إذا أطال النظر إليها، وعلى النقيض تمامًا استرخى نادر استرخاءً يليق ببطل أوليمبي أنهى سباقه بفارق كبير عن أقرَب مُلاحقيه، وملامح الانتصار تغطيه من رأسه حتى قدميه.

- أنت كتبت القصة دي ليه؟

وقبل أن يُجيب نادر، أكمل حازم، الذي كان في حقيقة الأمر يكلّم نفسه:

- وأنا دلوقت المفروض أحرّز القصة دي بقى؟ وأقول إيه لمحفوظ بيه؟ المحتجز رجع عالم الخيال تاني، والدليل أهو؟ ورفع الأوراق أمامه.

ثم انقلب صوته للسخرية:

- ولّا أقول لك. ونظر إلى نادر. ما تكتب قصة إن أنا دخلت وراه عالم الخيال عشان أقبض عليه هناك. ويساعدوني فيها

الظباط بتوعك. وأشار إلى نادر. اللي في الروايات بتاعتك، مش كُلّهم هناك؟ وبالمرة بقى وأنا هناك أعلمهم الشغل الصح. إيه رأيك؟

كتم نادر ضحكة كادت تفلت منه، وقال:

- أنت حالتك صعبة خالص يا عيني.

- أنت فاهم أنت عملت إيه يا عم أنت؟

- لأ. أجاب نادر ببساطة. أنا كُنت بأجرّب.

رمى حازم الأوراق على الطاولة أمامه، وأسند ظهره على ظهر الكنبة بإنهاك وهو يتنهّد بحَيرة.

- والتحقيق في القصة دي وصّلكم لحاجة؟ سأله نادر.

- كل اللي عرفته لما كلّمت وكيل النيابة إن الراجل ركب عربية الترحيلات من المستشفى، وما وصلش السجن.

قام حازم فجأة بعد إنهاء جملته، وقال وهو في طريقه للباب:

- أنا هامشي، لازم أجيب قرار الموضوع ده. وبعدين إيه اللي أنت عملته في المكتب ده؟

- مش بيقولوا كُل الفنانين مجانين؟ استنى، مش عاوز

الحِرز؟ سأل نادر مازحًا وهو يشير إلى الأوراق التي تركها حازم على الطاولة.

- هزّر هزّر!

خرج حازم، وقام نادر مُسرعًا وذهب على غرفة نومه، وأخرج هاتفًا محمولًا صغيرًا من النوع الذي لا إمكانات فيه سوى القدرة على إجراء المكالمات. وجد على شاشته عدّة اتصالات فائتة من أحدهم؛ فأعاد الاتصال به، وقال بمجرد سماعه صوت الطرف الآخر:

- ها؟

ارتاح نادر وتنهّد بعمق بعد سماعه إجابة الطرف الآخر، ثم قال بصوت متحمّس:

- تمام. زي ما اتفقنا، وخُد بالك كويس.

(59)

في سيارة الترحيلات منعَت أفكار (العاقِبة) صاحبها من ملاحظة نظرات الأمين، المسئول عن غلق باب السيارة خلف المساجين، له، وانصاع دون وعي عندما أمره الأمين بالجلوس بجانبه، على عكس الطبيعي. دارت أفكاره حول حديث وكيل النيابة الساخر له، حيث أخبره، قبل تحويله للمستشفى للكشف على قواه العقلية، خارج إطار التحقيق، بما دار بينه وبين نادر عبد القادر في غرفة معاوني المباحث في القسم؛ مما يعني أن نادر لم يُصدّقه، بالرغم من أن ملامح الأخير عكست تصديقًا حقيقيًا، وبالرغم من أنه كان يشعر في داخله عبر شعور غير مُفسَّر أن نادر صدّقه، ولكن يبدو أن نادر كان مُجرد وسيلة لحمله على الكلام، والدليل على ذلك أنه أخبر الضابط بكل شيء، والذي بدوره أخبر وكيل النيابة الذي سخر منه ومن حكايته.

تحرّكت السيارة، و(العاقِبة) جالس إلى جوار الأمين، الذي أخذ يسعل بقوة، وبدا وكأنه على وشك بصق روحه في إحدى نوبات السعال الشديد.

كان آخر أمل عنده لإنقاذ حبيبته من مصير غير معلوم أن يُقنِع نادر عبد القادر بالتوقف عن الكتابة، ولكن يبدو أنه فشل في هذا أيضًا.

كئيب هذا العالم، لا يشبه عالمه في شيء، شَعَر فيه أنه يحارب وحشًا في كل دقيقة، على عكس عالمه الذي كان يطفو فيه كالأفكار.

لم يؤمن يومًا بوجود رب في السماء في عالمه الخيالي، وهنا كان خالقه هو نادر، هذا هو أقرب شيء للرب عرفه، ولكنه، في هذه اللحظة، قام بما لم يتصوّر يومًا القيام به، رفع عينيه للسماء، التي أتاح له وجوده إلى جوار الأمين خارج قفص سيارة الترحيلات رؤيتها، وبحث فيها عن رب آخر، رب يستحق لقبه، وطلب منه، دون أن يراه، أن ينقذ حبيبته. أن يحميها من خالقها الشرير. وعرض، سرًّا، أملًا في استطاعة الرب سماع سرّه، أن يفديها. طلب من رب السماء أن يلقى هو المصير الشنيع المكتوب لها، وتنجو هي. طلب منه أن تنجو مُقابل أي شيء، وسيقوم به مهما كان، ولكن بشرط أن تنجو نجاة.

اقشعر جسده كله، وشعر بروحه تهوي، ثم تطفو، شَعَر باتصال يحدث لأول مرة، بينه وبين شيء عظيم عصي على التوصيف. ارتعد جسده وسرى فيه دفء غريب لا علاقة له بحرارة الجو.

فرّت منه دمعة، وشَعَر في هذه اللحظة، لأول مرة في حياته منذ خُلِق من كلمات، أنه حيّ.

فجأة شَعَر بنفسه يسقُط، سقوطًا غير متوقع، انتزعه من أفكاره، وقذف به إلى الأسفل.

بالكاد تمكّن من الاتزان، كان جسده يتحرك بسرعة على عكس أسفلت الطريق الثابت، فكاد يسقط على وجهه وسط الطريق، ولكن لياقته أسعفته، واتزن.

نظر إلى سيارة الترحيلات التي كانت تنعطف بعيدًا عنه في ذهول سمّره للحظات احتاج لها ليدرك ما حدث لتوه.

دفعه الأمين الساعل خارج السيارة قبل أن تنعطف.

نظر (العاقِبة) إلى السماء ووجهه تغسله الدموع، وروحه يُطهِّرها البُكاء.

جُملة، لم أتصوّر أن أكتبُها يومها.

(60)

منذ أيام، قال نادر لرجل الأعمال ماجد كامل في اللقاء الخاص الذي جمعهما:

- مُستعد تسمع الحقيقة؟

- أكيد. قال ماجد بشَك.

- الحقيقة إن (العاقِبة) ده مُجرد قارئ مهووس، واللي حصل كان ترتيب بيني وبينه، وكل ده جزء من قصة فيلم أنا شغّال عليها، الغلطة الوحيدة اللي حصلت إنه اتقبض عليه، المفروض كان الظابط يسمعنا، وهو يهرب، بس الظابط سبقنا وقبض عليه. الفيلم ده هيكسّر الدنيا، بس بشرط واحد، إن الراجل ده يختفي.

وبعد أن حكى نادر قصته كاملة، وأجاب عن كل أسئلة ماجد، طلب منه أن يرتب هروب (العاقِبة) بعلاقاته، وجعل هروبه يبدو وكأنه اختفى من السيارة، والمقابل كان توقيعه على عقد فيلم سيحكي فيه نادر قصة مجنونة عن «عاقِبته»، الذي جاء من عالَمه الخيالي ليقتله بسبب اقتراب قيامة عالَمه الذي امتلأ بشر خيال خالقه المريض. الفكرة التي أبهرت ماجد، ووافق فورًا على تنفيذ ما طُلِب منه في المقابل.

ورتّب نادر أيضًا، بمعرفته، بعيدًا عن ماجد، أن يقوم شخص بمراقبة سيارة الترحيلات، وأن ينتظر نزول (العاقِبة) منها ليعطيه ورقة دوَّن عليها عنوان عمارة استأجر فيها نادر شقتين؛ إحداهما لـ(العاقِبة)؛ ليختبئ فيها، والأخرى لرجل كلّفه نادر بمراقبة الهارب، وإبلاغه بمُجرد وصوله إلى الشقة، التي ترك مفتاحها أعلى بابها من الخارج، وهو ما فعله الرجل.

(61)

فتح (العاقِبة) باب الشقة، التي وُجِّه إليها بعد أن طَلَب من رب السماء المُساعدة بلحظات، فتوجه نحوها دون تأخير، ودلف إليها وأغلق بابها خلفه، ثم فتّشها جيّدًا كعادته عن دخوله أي مكان لأول مرة.

وجد في غرفة النوم سريرًا ودولابًا به بعض الملابس التي تناسب مقاسه وخزينة مُغلقة تُفتَح بالأرقام، وأمامها ورقة عليها بيانات وليد سرحان الذي اختفى في ظروف غامضة، وفي غرفة المعيشة كنبة وحيدة، وطاولة وتلفزيونًا مُعلقًا على الحائط، وفي غرفة المكتب وجد كنبة تُرِك عليها نسخة من رواية **(معدن نادر)**، فسرَت رعدة حنين في جسد الرجل إثر رؤيتها، ووجد إلى جوارها رسالة مكتوبة بخط اليد، فشرع يقرؤها:

«خرجتَ، بإرادة حُرة، من العالم الذي خلقتُك فيه، وأخطأتَ، وتُبتَ، وسامحتُك، وها أنا ذا أعطيك فرصتك الكاملة؛ ستجد في الخزينة -تاريخ ميلادك هو رقمها السرّي- بعض النقود، وهاتفًا، فلتبدأ حياتك، وسأراقبُك، إذا كان يمكن للعاقِبة أن يتغيّر؛ فيُمكن لنادر عبد القادر أن يتوقف عن كتابة الشر.

نجاتُك مرهونة بأفعالك.

توقيع: نادر».

ذهب (العاقِبة) إلى الخزينة، وأدخل التاريخ الوحيد الذي يعرفه، تاريخ انتقاله من عالمه إلى هذا العالم بالطبع، وليس تاريخ يوم ولادته؛ لأنه لم يُولَد، وهو ما لمّح إليه نادر بوضعه ورقة تحمل بيانات وليد وقصة اختفائه أمام الخزينة، الورقة التي لم تعلن عن تاريخ اختفاء الأخير بالطبع.

أراد نادر بهذه العقبة الأخيرة أن يطمئن قلبه إلى صِدق (العاقِبة).

وجد الرجل داخل الخزينة ما أتى ذِكره في رسالة نادر، وبعض المعلومات التي ظنّ نادر أنها أساسية ليبدأ حياته، مثل عنوان شقته، وأرقام هواتف بعض محلات الطعام، والخدمات حول منزله.

عَلِم (العاقِبة) أن نادر هنا كان مُجرد وسيلة سخَّرها له الخالق الأعلى، لتنفيذ دعوته، «**هكذا إذن تعمل منظومة الدعاء والاستجابة في هذا العالم!**» فكَّر، ثم ابتسم، ثم رفع رأسه ونظر إلى السماء عبر شباك الغرفة مُعلنًا، بصمتٍ بليغ، عن امتنانه.

(62)

عاد حازم إلى مكتبه مُنهكًا ومُستهلكًا بعد يوم طويل أمضاه في التحقيق مع كل مَن تعامَل مع (العاقِبة) يوم اختفائه، وخلفه دخل رئيسه في العمل، وأشار بتحيّة عابرة لسليم الجالس إلى مكتبه، ثم قال لحازم:

- وده معناه إيه تفتكر؟

- اتنين من المساجين اتفقوا إن الهارب ما قعدش معاهم في القفص، وإنه فضل قاعد برة جنب الأمين.

- والباقي؟ سأل محفوظ وهو يجلس.

- ما أنت عارف سيادتك. برّر حازم. المساجين في اليوم ده حالتهم بتكون إزاي، ترحيلة من الصبح، وحر وخنقة القفص. معظم الباقيين مش فاكرين إنهم شافوه أساسًا، ولا حتى في الترحيلة الأولى اللي كان معاه فيها تلاتة منهم. باختصار ما ينفعش نعتمد على شهاداتهم.

- والأمين؟

- مش بيقول غير إنه ما يعرفش المسجون ده راح فين. قال حازم وجلس خلف مكتبه بإنهاك.

- والنيابة عملت إيه؟

- أمرت بالقبض على الأمين طبعًا. وأشاح بيده. وهيتحقق معاه لحد ما يعترف.

- تفتكر هو اللي عملها؟

- مش عارف يا محفوظ بيه. حقيقي مش عارف. وتنهّد بحَيرة مُحاولًا أن يزيح عن عقله قصة نادر.

(63)

صدق نادر عندما قال في الندوة التي بدأت خلالها الأحداث التي غيّرت حياته، إنه لا يعتمد على مصدر إلهامٍ ليكتب، أو مكان مُحدد ليكتب فيه، كان دائمًا يكتب وقتما أراد. لم يعُقه عن الكتابة سوى التفكير فيما سيكتب، أو في كيفية حَبْك الأحداث، أو ضبطها، ولكنه بمجرد انتهائه من التفكير كان يعرف طريق الحفرة جيّدًا؛ الحفرة التي كان يبحث عنها (بول شيلدون)، الروائي الشهير، بطل رواية (بؤس- Misery) إحدى روائع (ستيفن كينج)، وهي الحفرة التي كان يجدها البطل في منتصف الورقة؛ فيسقط فيها غارقًا في الكتابة لينجو بحياته.

وهو مثال ليس ببعيد عمّا كنتُ أفعله هنا.

كان نادر يكتب لينجو، ولكن ليس بحياته، بل لحياته، كان يتخلّص من حمله الذي ناء تحت ثقله ظهره، ويستفيق من كابوسه الذي عاش فيه طويلًا دون أن يعرف للخروج منه سبيلًا.

كان يكتب ويشرب القهوة، يكتب ويطلب الطعام، يكتب ويتجاهل اتصالات شهد -هذا ليس اسمها الحقيقي بالمناسبة- تارةً بالاعتذارات اللبقة، وبعدم الرد تارةً أخرى،

يكتب ويراوغ أسئلة داليدا عن خططه المستقبلية، ويتركها تخططها بدلًا منه، يكتب ويتلقى تقارير مراقبة (العاقِبة)، يكتب ويُطمئِن حنان التي لا تطمئن أبدًا من فرط حبها له، ولم يتوقف عن الكتابة إلا ليقف خلف شبّاكه يستطلع نسائم الخريف التي بدأت تلوح في الأفق القريب.

بعد ساعات أمضاها أمام الكمبيوتر، شعر بنسمة خجولة تتلاعب بستارة مكتبه، فأسند ظهره واسترخى ببطء تاركًا لها المجال لتلهو حوله، وكأنها قطة صغيرة ستفزع إذا شعرت بأحدٍ يراقبها.

سَمَح لنفسه بالتأمُّل، ونظر بفخرٍ كبير إلى حائط إنجازه، وليس إنجازاته؛ لأنه الآن لا يحمل سوى إنجاز وحيد، لم يكتمل بعد، ولكنه سيكون، كما عَلِمَ نادر يقينًا، أعظم شأنًا بكثير من كل ما حمل حائطه سابقًا من إنجازات تبدو الآن جوفاءً مُقارنةً بمشروعه الأخير.

قطع صوت وصول تقرير جديد عن (العاقِبة) أفكاره، فشرع يقرؤه بحماس.

(64)

استيقظ (العاقِبة) من نوم استمر لأيام لم يعرف عددها؛ فحساب الأيام في هذا العالم المنضبط شيء جديد عليه، فتعاقُب الليل والنهار والشتاء والصيف هناك حيث عاش، كان يحدث بشكل أشبه بتغيير ديكور المسرح المُزيَّف. كان يعرف عن هذا العالم كل شيء، ولكنه لم يختبره قط، ولم يعتَده بعد، بالرغم من مُضِي شهور على وجوده على الأرض.

مثل الذي قرأ عمرًا عن الشمس، فهل تغنيه القراءة عن رؤيتها؟

كان الجوع أيضًا شعورًا جديدًا قاسيًا عند اشتداده، فطلب الطعام وأكل بنهم شديد وتخدَّر بعدها لساعات.

بعد يومين أو أكثر صرفها بين الكنبة والسرير، وفي التعرف إلى التلفزيون وبرامجه، قرر أن يبدأ في التحرك، والخروج من منطقته الآمنة؛ بحثًا عن المزيد.

لم يكُن خوفًا الذي شعر به أول مرة يخرج من البيت، ولكنه توجس؛ فقبل اليوم، كان مفترسًا، يخرج لاقتناص ضحايا لا قِبَل لهم به، ولكنه اليوم يخرج في ثوب الضحية، ولكنه لا يخاف مثلها؛ لأنه ما زال مفترسًا، برغم اعتزاله الافتراس، وهو الشيء الذي سيضحي به راضيًا على مذبح الدنيا؛ لتظفر

حبيبته بجنة تستحقها.

ولكنه خاف من نفسه، ومن أن يضعف أمام قوّته، وسأل المُعين أن يعينه على نفسه.

خرج للبحث عن عمل شريف، قبل أن تنفد النقود القليلة التي تركها له نادر.

مرّ على كل المحلات، وبدأ يندمج في أحاديث عابرة مع أصحابها، وكان يدس أسئلته بين السطور، ويحصل على إجابات محبطة في الغالب، ولكنه تقدَّم ببطء. عَلِم أنه من دون أوراق، اختياراته محدودة جدًّا فيما يخُص الوظائف، وبعد أقل من أسبوع كان قد قرر أنه سيعمل عامل توصيل، وبقي أن يُقنِع صاحب محل من المحلات القريبة بأن يُوظِّفه، وهي ليست بالمهمة السهلة، ولكنها لم تكُن مستحيلة أيضًا، فهي تستلزم بعض التخطيط، وهو ما كان بارعًا فيه، وبعض التوفيق؛ فقرر أن يُحسِن عملًا؛ أملًا فيه.

(65)

لساعات وساعات غرق حازم في دوّامات من الصراع بين ما هو منطقي، وبين ما هو مستحيل، أو بالأحرى ما كان يظنّه مستحيلًا قبل أسابيع. منذ بدأ رفع الستار عن التفاصيل الغريبة التي احتوت عليها كلٌّ من قضية اختفاء وليد، وقضية اغتيال نادر، وهو يحاول قدر إمكانه البقاء في جانب المنطق، والتفكير وفقًا لما هو ممكن، ولكن كل شيء واجهه في هاتين القضيتين يدفعه نحو الجانب الآخر.

اختفاء وليد، وشهادة زوجته، وعدم ظهوره وكأنه دخان، حتى الدخان تعلَق رائحته في الهواء لبعض الوقت، ولكن وليد تلاشى وكأنه العدم. بالطبع كل هذا يمكن تفسيره، ببساطة اختبأ وليد في شقة أخرى في نفس العمارة لمدة يومين، وهي المدة التي راجعتها المباحث من أشرطة المراقبة حول العقار، ثم خرج متنكرًا وذاب وسط الناس. بسيطة!

ومحاولة اغتيال نادر، يلزمها بعض المال، ويمكن تنفيذها، الشيء الصعب الوحيد، وليس المستحيل، هو جروح نادر، والدماء على المقذوف.

أمّا المُنَفِّذ، فهو أجير يُمثِّل مقابل المال، حتى إنه يمكن أن

يكون من قُرّاء نادر المهوسين. ليست بسيطة! ولكن يمكن تنفيذها.

ثم هناك اختفاء الرجل من سيارة الترحيلات، يمكـ...

- الأمين عنده سرطان؟ قال سليم لحازم وهو يغلق باب المكتب خلفه. واضح كده إنه قِبِل رشوة عشان عارف إنه رايح رايح فقال يأمن مستقبل عياله.

أضاء كلام سليم في عقل حازم شمسًا حجبتها غيمة من التفاصيل الغريبة التي أحاطت بهذه القضية منذ يومها الأول.

- يا ابن الصايعة. قال حازم وهو يقف ويتصل برامي الفرماوي.

- مين؟

- مش دلوقت يا سليم. قال حازم، ثم توجَّه بالحديث لرامي عندما أجاب.

- إزيّك يا رامي؟ سيب اللي في إيدك وركّز معايا.

وخرج من المكتب وهو يكمل كلامه.

(66)

استجاب نادر لجرس الباب، وفي رحلته من المكتب إلى الباب توقَّع أن تكون داليدا في إحدى مطارداتها السخيفة له، أو شهد، بالرغم من استبعاده، أن تأتي إلى منزله، ولكنه راوغ دعواتها لوقت ليس بالقصير، فتوقَّع منها تصرفًا غير مُعتاد، أم أنه البوَّاب، ربما يكون عامل توصيل قرأ رقم الشقة بالخطأ.

كان حازم!

لأول مرة يزوره حازم دون إبلاغه. حملت ملامح حازم ضيقًا، وكاهله حملًا، لم يبذل جُهدًا لإخفائهما، أم أنه حاول وعجزا تنحى نادر جانبًا مُنحيًا تساؤلاته جانبًا أيضًا، وسمح له بالدخول.

- قهوة؟ سأل بصوت خائن، فخرج السؤال وكأنه آتٍ من مُحقِّق وليس مُضيّفًا، حيث حمل سؤاله أكثر مما نُطِق، بدا وكأنه يسأله لماذا جاء، ليس فقط ما يشرب.

- ليه لأ! أجاب حازم وتوجَّه نحو المطبخ.

تعجّب نادر، حتى إنه لم ينظُر إلى حذاء ضيفه كعادته. لم يفعل حازم أي شيء غريب، أو خارج نطاق المألوف، ولكن شيئًا ما مفقودًا.

لم يلتفت نادر للشعور المُقبِض الذي انتابه بأن حازم هذا، ليس حازم صديقه، وتبعه نحو المطبخ بشكل عادي.

- ما لَك؟

- ما لي؟ ما فيش.

- مش عارف، شكلك كده جيّ تقبض عليَّ. وابتسم نادر ابتسامة غير حقيقية.

- ليه؟ أنت عملت حاجة تستحق الحبس؟

- عملت كتير. أجاب وهو يضع السكر في الكنكة.

- زي؟

- ياما قتلت وسرقت وظلمت. وأضاف البُن.

- بس ده كله على الورق.

- تخيّل بقى لو شيلنا الحد الفاصل بين الورق والحقيقة؟ وسكب الماء البارد.

- آه. تخيَّل. قال حازم ساخرًا.

قلَّب نادر المزيج، وصمت.

- أنت عارف إن أنا كمان باكتب قصص قصيرة؟

- مش ناوي تخليني أقرأ حاجة أنت كاتبها؟

- يا سلام. قال بصوت بارد يفتقد للدفء المعتاد. أعتقد ده حلم كل كاتب مبتدئ إن العظيم نادر عبد القادر يقرأ له.

نظر نادر لحازم طويلًا، ثم وضع الكنكة على النار، وقرر ألا سبيل لمعرفة ماذا ألمَّ بحازم سوى الاستمرار في لعبة الكلمات هذه، التي يبدو وأن الأخير قد خطط لها جيّدًا؛ فقرر اللعب، ففي لعبة الكلمات، نادر عبد القادر هو السيد.

- طب يلّا.

- دلوقت؟

- وراك حاجة؟

- لأ خالص. وأخرج هاتفه، وأرسل قصة قصيرة إلى هاتف نادر، ثم قال:

- بعت لك حاجة. بس عاوز رأيك بأمانة.

قصة قصيرة بعنوان **(تعفُّن الأسرار)**، صدم العنوان نادر، وقرر أن يقترح على حازم تغييره كأول ملاحظة له على القصة، ولكنه لم يفعل؛ لأن الرسالة الخفية التي تضمنتها القصة كانت أوضح من أن يتعامل معها وكأنها مُجرد قصة.

حكت القصة عن طبّاخ عمل لسنوات لدى عائلة غنية،

زوج وزوجة وشاب حلّق بعيدًا طلبًا للعلم، وتحقيقًا لحلم الطيران. ضاق الطبّاخ ذرعًا بأصحاب القصر؛ بسبب فسادهم، وخيانتهم، التي كانت تحدث أحيانًا تحت سمعه وبصره، وقرر في يوم رأس السنة الجديدة أن يفضحهما، فكتب لهما ملاحظة، أنه وضع لهما السم في الطعام الذي أكلوه لتوّهم، ووضعها أسفل باب غرفة الطعام، وأغلقه جيّدًا، وفصل هواتف المنزل، وتأكد من عدم اصطحابهما لهواتفهما الذكية، وقال في الملاحظة إنه لن يفتح لهما الباب إلا إذا اعترفا لبعضهما بكل الأسرار التي يخبئونها، وأن أمامهما ثلاث ساعات، وبعدها لن يفلح الترياق في إنقاذهما. وبعد ساعة من المحاولات المستميتة للخروج استسلما، وبدءا في الاعتراف، ثم ثارا، وحمّل كلٌّ منهما الآخر الذنب، وبعد ساعة أخرى من محاولات الخروج صرخا خلالها كثيرًا دون مُجيب، استسلما مرة أخرى، ولكن لمصيريهما، وسامح كلٌّ منهما الآخر، وناما في حضن بعضهما على وعد بلقاء في الجنة، أو الجحيم، واستيقظا صباحًا ليكتشفا أن الطعام لم يكُن مسمومًا، وأن الطبّاخ فعل كل هذا فقط ليُعلّمهم الدرس الأهم في العلاقات؛ أن الأسرار حتى وإن بقيت أسرارًا فهي تتعفّن وتجعل العلاقات غير صالحة، وأن كشفها، بغض النظر عن مدى تعفُّنها، يُصلحها.

- حلوة أوي. قال نادر بصوت حشرجته الرسالة الخفية.

- عارف يا نادر؟ قال حازم وهو يُعيد فنجان قهوته، الذي أنهاه في أثناء قراءة نادر للقصة، إلى الطاولة.

لم يُجِب نادر، ولكنه انتبه.

- (شيرلوك هولمز) له جملة شهيرة أوي. «عندما تستبعد المستحيل، أي شيء يبقى، مهما كان غير محتمل، على الأرجح هو الحقيقة». صمت للحظات، لم يقُم خلالها نادر بأي ردة فِعل؛ فاستطرد:

- أنت قدرت تضحك عليّ. برافو عليك بجد. استغليت ميلي للخيال، ورغبتي في التصديق، والأهم، ثقتي فيك. وخلّتني أصدق اللي أنت عاوزني أصدّقه. رامي أكّد لي إن المقذوف والجرح ممكن يتعملوا لو فيه حد محترف نفذهم؛ الرصاصة يتحط عليها دمك، وتنشف، وبعدين تتضرب في الحيطة من بعيد، والجرح بتاعك يتنفذ على إيد أي جرّاح. وطبعًا الممثل العبقري اللي عمل دور القاتل عارف إنك هتهرّبه. أو مش بعيد يكون واحد مهووس ومجنون بيك فعلًا من اللي بتقابلهم كتير، وأنت استغليته، وخليته يصدق إنه (العاقِبة).

نظر نادر إلى الأرض، فاستطرد حازم شارحًا المُخطط كاملًا:

- وأكيد أنت زي ما لاحظت إنك متراقب من يومين،

لاحظت قبلها في الفندق، وعملت قصة الخطف دي عشان توهمني إني أنقذتك، وعشان تنفي تهمة إنك مدبّر كل ده، وتقدم متهم يخلينا ما نركزش أوي في قصة تزييف الجرح والأدلة، وطبعًا أنت متفق معاه ما ينطقش ويطلب يقابلك، وجيت قعدت معاه في القسم، وغالبًا كُنت متوقع إني أصر أحضر المقابلة، أو أسجلها، وممكن تكون سجّلتها أنت، وكنت ناوي تسمّع لي التسجيل لما جيت لك بعدها، بس أنا وفّرت عليك المجهود لمّا سجلتها وقلت لك، وغالبًا عشان كده لما قلت لك إني سجلت المقابلة أنت ما زعلتش. مش عارف! بس أنت أكيد كُنت ناوي تعرّفني بأي شكل اللي دار بينك وبينه في مكتبي، وأنا ساعدتك لما عملت صايع وسجلت اللقاء، قال يعني أنا اللي باضحك عليكم. لا برافو بجد. وأخيرًا القصة القصيرة اللي سيبتها على المكتب ما كانتش صدفة، كل ده كان تخطيط عبقري منك عشان تخلّيني أشوف اختفاء المسجون على إنه شيء خارق، والموضوع يمشي في سكة تانية. وطبعًا اختفاء وليد سرحان مُدبَّر بكل سهولة، وبالاتفاق معاه هو ومراته، وزُرتها تحت سمعي وبصري، قال إيه، بتحقق في الموضوع. لأ، برافو بجد. دي تقريبًا أصيع حبكة كتبها نادر عبد القادر، وطبعًا قصة (معتز) ده، ونادر صِدِّيق، وكل ده كان لزوم إني أتعاطف معاك.

لم يُجِب نادر، ولم يحتَج حازم لجواب، فملامح نادر لم

تنفِ ما قاله. لم تكُن ثقة حازم فيما قاله كاملة، ولكن عند رؤيته ملامح نادر بعد أن قال ما قاله اكتملت. شَعَر بالخيانة، جرحه ادعاء نادر صداقته، واستغلاله سذاجته التي دفعته للظن بأن نادر عبد القادر الروائي الأشهر يُمكن أن يرغب حقًّا في صداقته.

- ومستغرب إنك ما لكش أصحاب!

ضربت جملة حازم نادر في الصميم، ولكنه تماسك، الآن ليس وقت الدفاع عن نفسه، وإلا سيطلب من حازم، الذي غالبًا سيوافق، أن يشاركه جريمته، التي ارتكبها، بالاتفاق مع ماجد؛ أملًا في الخلاص من نفسه. الآن وقت الصمت، الذي أحيانًا يكون أصعب شيء على الإطلاق. فهو لا يرغب في تدنيس حازم بإشراكه في مخطّطه، يكفيه مَن دنّس، وظَلَم.

تعرَّض نادر لأقسى ألم شعر به منذ وعى، كان يشعر بأن أحدهم ينتزع عضوًا عزيزًا من جسده دون تخدير، وحتى الصراخ لم يكُن مسموحًا.

يُنتزَع منه صديقه الحقيقي الوحيد، وهو يفلته بوجه جامد، وقلب يُعصَر.

- طب حتى دافِع عن نفسك يا أخي!

صمت نادر وكسا وجهه بجمود التماثيل.

- أنا توقعت كده. قال حازم وهو يقف. وعلشان أنا ما اتعوّدتش أضرب الناس في ضهرهم، جيت أبلغك إنك من النهار ده مُشتبه فيك، وإنك هتتحاسب على كل ده بمُجرد ما يبقى الدليل في إيدي، وأوعدك إن ده مسألة وقت، والمرة الجاية اللي هآجي فيها هنا هيكون معايا كلبشات على مقاسك.

(67)

فات على كل المحلات التي تُقدِّم خدمات يُمكن توصيلها للمنزل في المنطقة التي تُحيط بمنزله، أتعبه السير، واستنزفته حرارة الشمس، وفقد سوائل جسمه واستزاد ماءً اشتراه ليُعِينه على المواصلة، ولكنه لم يفقد الأمل.

رأى صيدلية في صدر مبنى تجاري؛ فدخل يبحث عن رزق لم يعرف له بعد السبيل.

- السلام عليكم.

- عليكم السلام. أجابت الطبيبة دون أن ترفع عينها عن جهاز كمبيوتر قديم أمامها، ثم نظرت إليه وسألت بهزة رأس عن طلبه.

- أنا آدم. قال بصوت غير واثق وكأن الناس ستعرف أنه يكذب.

- أهلًا وسهلًا. قالت بنفاد صبر، وعدم فهم.

- أنا كُنت باسأل لو حضرتك محتاجة لحد يشتغل معاكي توصيل للمنازل.

لانت نظرتها قليلًا وظهر طيف تعاطُف على محياها، وفحصته جيّدًا ولكن سريعًا، ثم قالت:

- دلوقت مش محتاجين لحد.

شَعَر أنها تكذب، فهو يعرف الناس جيّدًا، وإن كان يتفاعل معهم لأول مرة بشكل حر، ولكنه يعرفهم.

- أنا... صمت للحظة. ممكن أبقى أعدّي على حضرتك تاني بعد فترة أسأل لو فيه فرصة.

- ما فيش مانع. استحسنت جوابه.

- شكرًا.

قبل أن يدور ليُغادر رأى عينيها تنظُران إلى الشارع، ثم لمح طيف خوف ينبت كعشب ضار على ملامحها، ولكن بسرعة جنونية، تصاعد غضبه رغمًا عنه؛ فهو يمقت الخوف والخائفين، ولكنه تحكَّم في نفسه، ودار ليغادر المكان وكأنه لم يلاحظ شيئًا، فرأى سبب خوفها.

لم يحتَج آدم، وهو الاسم الذي أطلقه (العاقِبة) على نفسه؛ كضرورة للتواصل مع الناس، إلى أكثر من نظرة واحدة إلى الرجل القادم نحو الصيدلية ليعرف أنه مُدمن، آتيًا ليتحصّل على دواء لا يُصرَف لأمثاله.

غادر آدم وأمسك الباب للرجل بأدب، وعبَر الطريق بخطوات سريعة ثم دار ونظر نحو الصيدلية. سمع الحوار

بالداخل مُترجمًا لغة جسد الطبيبة والمدمن، هي تنكر وجود الدواء الذي يطلبه، وهو يسأل عن صنف آخر، أنكرت وجوده أيضًا ولكن بخوف أكثر، الرجل يغضب ويبدأ في التهديد، الطبيبة تحاول أن تبدو متماسكة وتفشل.

جعل مرأى خوف الطبيبة ذكرى غائبة تلسع روح آدم، لا يتذكر سبب خوفه وهو صغير، ولكنه يعلم جيّدًا كيف يبدو الخوف، ويمقته.

عبَر الطريق ودخل إلى الصيدلية بهدوء وأطرافه ترتعش من الغضب. وكان الرجل يصرُخ غاضبًا:

- هو أنا مش هادفع فلوس؟ بلاش ترامادول، هاتِ أبتريل ليرولين، أي حاجة. يعني إيه ما فيش ما فيش؟

- ما بالراحة يا بني آدم!

شعر آدم وهو يقول جملته الأخيرة وكأنه يتحرر من قيود استمرت حول معصمه طويلًا، أو بالأحرى حول روحه. نفض غبارًا تراكم على شخصيته الحقيقية؛ (العاقِبة)، واستدعاها، ولكن في سبيل الخير هذه المرة، فأشعره هذا بشعور مُسكِرٍ بالرضا عن النفس.

- خلّيك في حالك يا أخينا.

- ولو ما خلّتنيش في حالي؟

هنا دار الرجل ليواجه (العاقِبة) وخطا نحوه مُهدِّدًا، وبمُجرد أن أصبح على بُعد خطوة منه؛ تراجع (العاقِبة) برأسه للوراء، فشعر المدمن أنه خائف منه، وقبل أن يدرك ما يحدث عاد رأسه بسرعة رهيبة ليضرب أنف الرجل ويفقده ما تبقَّى له من اتزان، وقبل أن يسقط أمسك به (العاقِبة) من ملابسه بقبضة من حديد، ودار وفتح باب الصيدلية وألقى به غير مدرك لما أصابه على الرصيف ككيس قمامة، وتبعه، ثم نزل على ركبته، واقترب من أذنه وهمس بصوت جمَّد دماء الرجل المسمومة:

- لو عدّيت في الشارع ده تاني هاقتلك.

نظر الرجل إلى مهاجمه؛ فرأى صدقًا لا تشوبه شائبة.

قام (العاقِبة) بجسدٍ أنعشته دفقة أدرينالين افتقدها، ونظر إلى داخل الصيدلية مُطمئِنًا، فرأى الخوف ما زال عالقًا على ملامح الطبيبة، فعاد إليها، وقال بصوت هادئ:

- أنا معايا الحزام الأسود في الكاراتيه. فسَّر، وكان صادقًا. بينفع ساعات. ما تخافيش، مش هييجي هنا تاني.

- أنا متشكرة. قالت وهي تتابع المدمن يجمع ما تبقَّى من كرامته من على الرصيف، ويختفي كالكابوس الذي يتبخّر

بمجرد أن نصحو منه، وعَلِمت أنه لن يعود.

- العفو. ما تخافيش من حد. قال آدم باسمًا، ثم دار ليغادر.

- أنت معاك فيسبا؟ استوقفته سائلة.

- نعم؟!

- علشان التوصيل، هتوصّل الحاجة للبيوت إزاي؟

(68)

حصل حازم على إذن من النيابة ليراقب اتصالات نادر بعد أن شرح بالتفصيل لوكيل النيابة الخطة التي رسمها ونفَّذها نادر، والمسجون الذي هرب. هذا الإذن الذي لم يُفِد في شيء؛ كانت كل اتصالات نادر عادية بشكل مُستفِز. وتحرُّكاته معدومة، لم يغادر منزله منذ أيام. وهو ما أثار حنق حازم وريبته.

قرر حازم أيضًا توزيع صورة الهارب على كل النقاط الشرطية، ومحطات القطار، والأتوبيسات، والمطارات، كان يعلم أن الرجل موجود في مكان ما، وكان مُصِرًّا على القبض عليه، وكشف الستر عن مُخطط نادر الخبيث.

ما أكد شكوكه كان إعلانًا تشويقيًّا عن عمل جديد للروائي الأكثر مبيعًا من إنتاج رجل الأعمال ماجد، إعلان لم يُفصِح عن أي تفاصيل سوى أنه سيحكي قصة حقيقية أغرب من الخيال. اكتملت الصورة؛ محاولة اغتيال فاشلة، محبوكة جيّدًا، يتبعها القبض على الفاعل، واعترافه أنه (العاقِبة)، ثم اختفاؤه، ثم تُنشَر قصته في شكل فيلم مضمون النجاح.

كان السبيل الوحيد لهدم القصة من أساسها، هو القبض على الرجل.

الخطة التي كان حازم عازمًا على هدمها.

(69)

كان يوم نادر يبدأ بعد الفجر بقليل، يُصلِّي، ويُعِد قهوته الأولى، ويجلس ليكتب على أنغام الصباح الخريفي المُنعشة، وصخب العصافير التي يعتبرها ضيوفه المُرحَّب بهم دائمًا.

استخدم للتواصل مع الرجل المُكلّف بمراقبة آدم هاتفًا صغيرًا غير هاتفه؛ لأنه كان يعلم أن في لحظة ما سينتصر رجل المباحث الشريف في حازم على صديقه فيه.

اتصل به الرجل مرتين يوميًا؛ ليخبره بالمُستجدات، وعلم منه أن آدم اشترى عجلة، وأنه تحصّل على عمل كعامل توصيل الطلبات في صيدلية قريبة من شقته المؤجرة، وأنه أصبح له صديق اسمه (أحمد الباشا)، وهو صاحب محل اسمه (الباشا) في الحي التاسع في مدينة العبور، كان يشتري منه آدم الأرز الذي يتركه للعصافير خارج شباكه كل يوم، وأن تلك الصداقة تحوّلت لعلاقة عمل، عندما استعان أحمد بآدم ليوصل له طلباته أيضًا، ولكن دون أجر من المحل، وكان يعتمد آدم في هذا العمل على إكراميات الزبائن.

ما أذهل نادر حقًّا هو علمه أن آدم ذهب ليزور منزل وليد سرحان. لم يتأكد تمامًا الرجل الذي راقبه مما فعله، ولكنه أبلغ نادر أن آدم دخل العمارة، ولم يبقَ داخلها سوى لدقيقة

واحدة، ثم خرج وركب عجلته وغادر مُسرِعًا. وبمساعدة حنان التي اتصل بها نادر من هاتفه السري، والتي اتصلت بزوجة وليد واستدرجتها في الكلام، علِم أن آدم ترك لها بعض النقود على باب شقتها.

لم يشعُر نادر بالفخر أبدًا كما شعر به وهو يتابع تحوُّل «عاقِبته» إلى آدم.

حقًّا، الحُب يصنع المعجزات!

(70)

في ليلة غاب فيها النسيم، وصمت الشارع وكأن جِدادًا أُعلِنَ، وشَعَر نادر فيها بنذير شؤم لم يعلم له سببًا، رنّ هاتفه السري في غير موعده المُعتاد. قام من خلف شاشة الكمبيوتر، وبقلب مقبوض أجاب اتصال الرجل الذي قضى على آماله كلها بتقرير صادم.

كان آدم جالسًا مع صديقه أحمد، وجاءت مأمورية من البلدية التابعة للحيّ لمخالفة المقهى المجاور لمحل (الباشا) لتعليمات الحي بافتراشه الرصيف، وهو المقهى المملوك لأحمد أيضًا، وفي أثناء التعامل الشرطي مع أحمد، زاد آدم عن صديقه، فتم القبض عليه بعد رفضه تقديم أي إثبات شخصية عند سؤاله عنه.

لن يتذكر نادر، مهما حاول، كيف أنهى اتصاله مع مُرشده في هذه الليلة. سيتذكر الخبر، وكيف شعر أن روحه تختنق، ودفء دموعه على وجهه، ولكنه لن يتذكر كيف أنهى المكالمة. ولن يتذكّر كيف أنه نسي حذره واتصل بحنان من هاتفه الشخصي المُراقَب، وبكى دون كلام، ولكنه سيتذكر خوفها عليه.

هذه المكالمة التي ستؤكد لاحقًا لحازم عندما يسمعها أن

نادر عبد القادر دبَّر كل شيء، والتي سيفسر بكاءه خلالها بخوفه من اقتراب دخوله السجن.

وكان على حق فقط في الجزء الخاص باقتراب دخوله السجن.

(71)

أمام حازم المتحمس بنشوة انتصاره الذي تحقق بعد صبر طويل، جلس آدم فاقدًا للنُّطق.

- يعني طلع لك اسم أهو. قال حازم هازئًا. أحمد صاحب المحل قال إن اسمك آدم.

رأى حازم الأمور بشكل معكوس، كعبد ضعيف الإيمان، لا يفهم حكمة ربه من ابتلاءاته، إلا بعد أن تتضح الصورة كشمس الصيف، ويعلم أنها أنقذته من بلاء أشد.

- هتسكُت تاني؟ براحتك، بس المرة دي، ما حدّش هيهرّبك.

لم يبدُ عليه أي اهتمام بما يدور حوله، لم يُهمّه سوى إنقاذ حبيبته، وهو ما بذل كل جُهد أمكنه في سبيله، يعلم أنه أجاد، وأنه التزم بوعده للسماء، وكان على يقين أن مَن أنقذه يوم سقوطه من سيارة الترحيلات كان رب السماء الذي استجاب له، ولم يكُن نادر عبد القادر سوى وسيلة.

ما ضايقه قليلًا أنه تمنّى لو أن حبيبته تعلم ما حدث معه، لو أنها تعلم أنه تغيَّر من أجلها، من أجل إنقاذها، تمنى لو أنه يراها مرة أخيرة ويُخبِرها بما فعله من أجلها، ولكنه عَلِم أن هذا مُستحيلًا، حسبما أخبره به فريد؛ هذا اتصال يحدث مرة واحدة، ولكن ألم يكُن كل ما حدث معه مُستحيلًا؟ فلِم لا؟

رفع رأسه إلى سقف الغرفة وطلب سرًّا من الله أن يستجيب له إذا كان قد أحسن صُنعًا.

- زهّقتك؟ سأله حازم ردًّا على رفعه لرأسه إلى أعلى. لا أنا عاوزك تنشف شوية، أنت لسة مطوّل معانا.

ابتسم آدم رغمًا عنه؛ من فرط سذاجة حازم، وضيق أفقه، ففهمها الأخير استخفافًا به، فقرر مُعاقبته. قام منتفضًا، وطلب الأمين بضغطة جرس خلف مكتبه، وقال له عندما حضر:

- يترمي في الحجز، ويتوصى عليه. لحد ما يبان له أصحاب.

(72)

وصلت حنان لمنزل نادر ووجدته مُنهارًا. احتضنته كطفل. بكى بين يديها، وترك نفسه يهوي وعَلِم أن وجود حنان إلى جواره سينقذه من التحطم. هذا ما كانت تُمثّله له منذ عرفها؛ الأمان، طالبها كثيرًا بالابتعاد عنه، وهو يعلم أنها لن تفعل، عَرِف أنها ستكون إلى جواره عند الحاجة دون طلب منه، ولهذا عشقها، وهذا ما أخافه كثيرًا؛ الضعف المقترن بالوقوع في الحُب، ولكنه الآن، بين أحضانها، عَلِم أن ضعف الحُب قوة، وأن القوي مهما كانت قوته، وحده ضعيفًا.

اطمأن نادر، وطلب من حنان أن ترحل، ولكنها رفضت كعادتها.

- أنا بقيت كويس. قال بإنهاك. بس محتاج أنام.

- نام يا قلبي. وهتصحى تلاقيني.

لم يكُن ما قالته هو ما أرادها أنت تقول، ولكنه كان ما يحتاج لها أن تقوله، فقام لينام دون كلام.

فبأي كلمات سيصف جنّة هيّأها الله له على الأرض اسمها حنان؟

(73)

انتشر خبر القبض على آدم كالشائعات في عصر الإنترنت، تحدَّث عنه كل الناس، وتعمَّد حازم أن يسرِّب نظريته، وفي غضون أيام كانت كل برامج التلفزيون تتحدث عن اليأس الذي دفع الروائي ناضب الخيال إلى أن يُلفِّق محاولة اغتياله، وعن براعة رجال الشرطة في كشف المُخطط.

حتى رجل الأعمال ماجد، تبرّأ في العلن من نادر، وأعلن عن فسخ تعاقُده معه، وعن دفعه الشرط الجزائي إذا لزم الأمر؛ لأنه كونه «رجلًا شريفًا»، لا يقبل أن يضع يده في يد كاذب ومُدَّعٍ.

أمّا داليدا، فنفت تمامًا كل ما وُجِّه إلى نادر من اتهامات، وتوعدت في مداخلة على الهواء مباشرةً كل مَن نال من سمعة نادر بالملاحقة القضائية بعد إثبات براءته من تُهم لم تُوجَّه له بعد من الأساس.

أمضى نادر أيامه خلف الكمبيوتر حيث ينتمي، في حفرته الساحرة، حيث كان يشعُر أنه ما زال مُسيطرًا، ولم يرد على اتصالات أحد سوى حنان.

(74)

جلس حازم خلف مكتبه بعد أسبوعين من القبض على آدم، الذي ما زال صامتًا، يراجع أقوال أحد المقبوض عليهم في قضية سرقة بالإكراه، غارقًا في التفاصيل، حتى انتزعه سليم من تركيزه قائلًا:

- نادر نزِّل رواية جديدة.

- نادر مين؟ خرج منه السؤال عفويًا، فهو كان يعلم إجابته، ولكنه احتاج لبعض اللحظات ليستوعب ما قيل.

- نادر عبد القادر. مستنكرًا أجاب سليم وهو ينظُر إلى هاتفه. هيكون نادر مين؟ بس فيه حاجة غريبة.

- حاجة إيه؟ سأل حازم، ولم ينتظر الإجابة؛ التقط هاتفه ولم يحتَج سوى للحظات ليجد الخبر.

«نشر الروائي الأكثر مبيعًا، والأكثر إثارة للجدل مؤخرًا، رواية جديدة تحمل عنوان **(ارتداد)**، تحت اسم **(نادر صِدِّيق)** وليس اسمه المُعتاد، والغريب أنه نشرها مجانًا للتحميل المباشر للقُرّاء من موقعه الرسمي، في سابقة هي الأولـ... إلخ».

لم يُكمِل حازم قراءة الخبر، حيث سارع بفتح موقع نادر

عبد القادر، وحمّل الرواية وشرع يقرؤها بنهم وقلبه ينبض كطبل حرب قارعها مجنون.

(75)

جلس آدم في آخر عنبر الاستقبال في السجن الذي أصبح موطنًا له في أيامه الأخيرة، وكأنه جزء من ديكور المكان، ينظُر إلى السماء خلف القضبان الحديدية بلومٍ خجول، وبعشمٍ هائل.

مر أمام الشبّاك الصغير طائر جميل، وارتفع بعيدًا، وهُيِّئ لآدم أنه اختفى، ولكن الحقيقة أن كل شيءٍ حوله اختفى، القضبان، والجدران، والمساجين، والسجن، والعالم كله.

تبخَّر (العاقِبة) في مكانه.

تلاشى كحلم جميل نُسِي لحظة الاستيقاظ، ولكنه ترك مكانه ابتسامة صنعت يوم النائم.

***

سجدت زوجة وليد سرحان، وبلل بكاؤها سجادة الصلاة، وتابت عن ذنبها توبة نصوحًا، وطلبت من الغفّار بعد المغفرة رد وليدها إليها، وتعهدت بتقدير نعمه المنسية حق قدرها.

شَعَرت بتوتر في هواء الغرفة، وكأن الخريف يستعيد زمام الجو من موجة حر حلّت لأيام، رفعت رأسها وقعدت بين السجدتين، ولكن رؤيتها لزوجها العائد المذهول، تمامًا حيث

اختفى، أعادتها باكيةً للسجود مُجدَّدًا، ولكن للشكر هذه المرة.

تمت...

نهاية رواية **ارتداد**

نادر صِدِّيق

الخاتمة

(76)

هزّ خبر نشر نادر عبد القادر روايته الجديدة مجانًا للجمهور، مجتمع القُرّاء، وخاصةً لأنه أتى بعد ما سبقه من جدلٍ، لم تهدأ عاصفته بَعد، أُثير حوله.

تابَع نادر عدد مرات تحميل الرواية، الذي تخطى الآلاف في الساعة الأولى لنشرها بعد إعلانه عن إتاحتها على موقعه، عبر حساباته على مواقع التواصل، وانتظر.

بعد ساعات من طرحها، تداولت الصفحات المشهورة المهتمة بالقراءة والنشر، مثل: (BOOKMARK)، و(ساحر الكُتب)، و(أسرار الكُتب)، وغيرها، تفاصيل ما جاء في الرواية بعد أن قرأها أسرع القُرّاء، وأكثرهم نهمًا، وهي التفاصيل التي أثارت موجة من الجدل حول حقيقة ما جاء فيها، هذا الجدل الذي دفع الملايين لتحميل الرواية والشروع في قراءتها.

كتب الشاب الذي أوحى لنادر بفكرة رواية **(الانفصال)** على صفحته، أنه سيقوم باتخاذ كل الإجراءات القانونية الممكنة ضد اللص نادر عبد القادر الذي اعترف بسرقته.

تصدَّر محتوى الرواية عناوين الأخبار المحلية، وخصصت برامج التلفزيون الحوارية مساحات لمناقشة ما طرحه نادر. حتى إن بعض وكالات الأنباء العالمية قامت بإذاعة الخبر، مع وعد بتغطية الموضوع، والكشف عن تفاصيله لاحقًا.

ملأ اسم نادر عبد القادر صفحات التواصل الاجتماعي، حتى إن (ستيفن كينج)، الروائي الأكثر مبيعًا في العالم، كتب تغريدة عن نادر قال فيها بالإنجليزية ما ترجمته: «زارته إحدى شخصياته؟ وما الجديد في ذلك؟ أنا أراهم طول الوقت، ولكنهم لم يحاولوا قتلي، بَعد. هذه سابقة!».

أرسلت داليدا رسالة صوتية عبر تطبيق التليجرام لنادر؛ لأنه لم يرد على اتصالاتها المتكررة، تخبره فيها أن عليه أن ينكر أن أحداث الرواية حقيقية، وأنها كانت مُجرد خيال، وأكّدت أن هذه هي توصية المحامي الذي أكد لها أن موقف نادر -قانونًا- سليم، في حالة تمسُّكه بأن ما كتبه كان محض خيال. وأنه، أي المحامي، سيتمكن من الدفع بأن وزارة الداخلية تسعى لأن يتحمل نادر المسئولية لتخفي فشلها في الاحتفاظ بسجينها الذي تمكّن من الهرب مرتين. وأنه سيطالب بوضع نادر تحت حماية الشرطة حتى يتم القبض على مَن رغب في قتله.

ابتسم نادر وهو يسمع الرسالة، وتجاهلها، كما تجاهل كل

الاتصالات التي وردته.

حتى جاءه، أخيرًا، مَن كان ينتظره.

(77)

فتح نادر باب شقته وسمح لحازم بالدخول.

- جبت كلبشات على مقاسي زي ما وعدت؟

نظر حازم إلى نادر بخجل طويلًا، ثم قال:

- حد يروح لصاحبه بكلبشات برضه؟!

- صاحبه؟ قال نادر وهو يغلق باب الشقة، ويقف في مواجهة حازم، الذي تجاهل اللوم الخفي، وسأل:

- أنت بدأت تكتب الرواية دي من يوم ما كتبت اسمها على الحيطة في مكتبك. صح؟

أومأ نادر.

- (العاقِبة) أو آدم، اختفى من السجن. قال حازم. بس المرة دي كل اللي حواليه شهدوا بكده، ووليد سرحان رجع، ومش بيقول غير إنه كان نايم بيحلم حلم غريب وصحي.

تنهّد نادر، وزفر زفرة ارتياح سُجِنَت طويلًا بداخله، وتهدل جسده مُنهكًا على الكنبة دون إرادة منه.

ارتاح أخيرًا.

كان يشعُر، بعد انقطاع اتصاله الخفي مع (العاقِبة)، أن

الأخير عاد إلى حيث ينتمي، ولكنه الآن تأكد.

- عملت كل ده عشان تنقذه؟ سأل حازم وهو يجلس.

ضحك نادر ضحكة منهكة، خرجت كزفرة خافتة، وقال مستنكرًا:

- أنقذه! معقول بعد كل ده لسة مش فاهم؟

- مش فاهم إيه؟

- أنا ما أنقذتوش يا حازم، هو اللي أنقذني. ورجوعه لجثّته كان مكافأة له على حُسن سيره على الأرض. كان ببساطة؛ العدل.

تنهّد عميقًا، ثم استطرد بعد لحظات:

- أنا عِشت طول عمري تاجر كوابيس مكتوبة، وعايش في كابوس مُزيّف، كنت فاكر إن ما فيش منه خلاص. وأعمالي اللي مليانة شر بتعفّن جوّايا زي السرطان الخبيث، وبأخرجها على ورق بيأذيني أكتر ما بيفيدني، ويا ريته كان بيأذيني لوحدي. لحد ما يوم طلبت من ربنا إشارة في المكتب جوّا هنا. وأشار نحو غرفة مكتبه. وفي اللحظة اللي طلبتها فيها، ظهر لي (العاقِبة).

لم يحاول منع دموعه من السقوط وهو يُفرِغ كل ما فيه

من حِمل:

- يا حازم، اللي زيي كان المفروض يموت يوم ما أنت أنقذتني، ويطلع يتحاسب على أفعاله، بس أنا ربنا أراد، لحكمة منه، يخلّيني أشوف «عاقبتي» قصادي من لحم ودم. يبقى إزاي أنا اللي أنقذته؟

- طب وهو ليه ما اختفاش يوم القصة القصيرة؟

- أنا يومها كنت بأجرب، وكنت عاوز أخلّي حد غيري يقرأها، يمكن تتحقق، وعلشان كده سِبتها على المكتب، مش علشان أضلّلك زي ما قُلت. بس ما حصلش حاجة، فقلت يبقى لازم العمل يتنشر وملايين تقراه عشان يؤثر في حياة شخصياتي فعلًا؛ لأنهم موجودين في خيال الناس، مش في خيالي لوحدي.

- بس أنت رتّبت هروبه.

- صحيح، عشان لو القصة ما نفعتش، يهرب، ويبقى حُر في بيئة خارج إطار الشخصية المُسيَّرة اللي أنا باتحكم في مصيرها على صفحات كتبي. ولو (العاقِبة) قِدر يتغيّر، يبقى أنا لسة عندي فرصة. قال وابتسم.

أومأ حازم مُتفهمًا، ثم سأل لائمًا:

- وليه ما دافعتش عن نفسك لما جيت هنا واتهمتك بتدبير كل ده؟

- ساعتها كنت هأطالبك تكون شريكي في التستر على مجرم هارب؟ وأخليك تختار بين صداقتي وبين نزاهتك؟

نظر حازم بخجل إلى الأرض، وقبل أن يعتذر استوقفه نادر مُقاطعًا:

- أنت ما عملتش غير اللي أي ظابط شريف كان المفروض يعمله، ما تزعلش من نفسك. إحنا مش دايمًا بنشوف الصورة كاملة، وطبيعي بنظرتنا الضيقة، حُكْمنا على الأمور بيطلع مش دايمًا صح.

ابتلع حازم ريقه، وقال بصوت جاف:

- أنت عارف إنــ...

- عارف إنك جيّ تقبُض عليَّ؛ بسبب اعترافي بتهريبه في الرواية. بس من غير كلبشات الموضوع ده مش هيكمل. وابتسم.

- لا هيكمل. وابتسم حازم أيضًا. إلا لو حاولت الهرب.

- ما كُنتش استنيتك.

- أنا عارف. قال حازم باسمًا.

- نفسي أقابل وليد سرحان، ينفع؟

- هأحاول.

أومأ نادر بامتنانٍ باسِم، ثم قال:

- أضحكك؟ داليدا بعتت لي بعد ما قرت الرواية إنها استشارت محامي، وإنه طمنها إن موقفي سليم، وإنه هيلبسها للوزارة بتاعتك؛ بسبب فشلها مرتين في الحفاظ على المسجون، بس بشرط إني أنكر إن كل اللي في الرواية حقيقة.

- وأنت هتعمل كده؟

- أنا عاوز أرتاح يا حازم. وتنهّد بارتياح. نادر صِدِّيق محتاج يرتاح ويتخلص من إرث نادر عبد القادر كله. (العاقِبة) جه عشان يخلّيني أبطل كتابة، لكنه عمل أكتر من كده بكتير، عرّفني إن حياتي فيها حاجات أهم بكتير من النجاح. عرّفني إني عندي حياة برة سجن نادر عبد القادر الدهب.

- بس الموضوع ده ممكن يبقى فيه حبس.

- أنا فضلت سجين توقعات الناس لمدة طويلة، على الأقل المرة دي هاقدر أكون نفسي. ثم أنت هتبقى تزورني في السجن وتجيب لي روايات، صح؟

أومأ حازم باسمًا.

توجه نادر نحو باب الشقة، وقال وهو يفتحه:

- بذمتك ده منظر واحد مقبوض عليه؟ زمان فيه صحفيين قصاد القسم، كنت عاوز أتصوّر بالكلبشات يا أخي، كانت هتضرب مبيعات كتبي في السما الصورة دي.

ضحك حازم، وقال:

- مش كُتبك يا عم، دي كتب نادر عبد القادر.

- صح، صح، بلاش كلبشات.

- بس أوعدك هآخد معايا كلبشات وأنا رايح لماجد.

- ينفع آجي معاك؟ سأل نادر مازحًا.

- وما له؟ ما إحنا طالعين رحلة!

ضحكا وهما يتوجهان نحو المصعد.

- على فكرة. قال نادر وهو يستدعي المصعد. أنا بعت القصة القصيرة بتاعتك لمُخرج فرنسي، معرفة حد في دار نشر من اللي ترجموا لي كذا حاجة، ومتحمس جدًّا، وعاوز يصوّرها، وهينزل بالفيلم مهرجانات كتير. القرار قرارك لو عاوز تتواصل معاه أبعت لك رقمه. وداليدا على أتم استعداد

تنشر لك، وكمان تحت اسم مستعار، عشان ده ما يتعارضش مع شغلك في الوزارة.

نظر حازم إليه، ولم يعرف بماذا يُجيب، ولكن نادر أكمل:

- بس لو قررت تكتب يا حازم، افتكر إن كل حرف، كل حرف بتكتبه هتتحاسب عليه، وإن كل ما زاد عدد قُرّائك، أو مشاهدينك، أو حتى متابعينك على مواقع التوصل، كل ما زادت مسئوليتك. ومش في الكتابة بس، في كل أفعالنا. إحنا في عصر كل حاجة فيه بتقول إن الناس نسيت إنها هتتحاسب على كل اللي بتعمله. حتى لو كُنت من برة باين إنك ناجح وسعيد وحياتك مُستقرة، هتفضل الشرور اللي بتسيبها وراك تسمم حياتك. لحد ما هييجي يوم وهتقوم قيامتك من كتر الشر. هتنسى عاقِبتك، هتجي لَك، ومش مضمون تنجو زي نادر صِدِّيق.

وصل المصعد، ودلف إليه الصديقان وكلٌّ منهما سعيد بوجود الآخر إلى جواره.

فُتِح باب المصعد في ردهة العقار، ليجد نادر حنان في مواجهته، فابتسم بالرغم من أنها كانت تبكي. احتضنته بقوة، واعتصرها وكأنه يريد أن يُبقِي رحيقها فيه لوقت طويل بعد ابتعادها، وسأل مازحًا:

- السؤال المُهم، أبوكِ هيرضى يجوّزِك لواحد رد سجون؟

- ده بعينك، يا بتاع شهد!

تمت

نهاية رواية الكابوس الأعلى مبيعًا

معتز شرباش

12/10/2021

شُكْر خاص

أحمد المغرَبي - محمد محمود

رامز نبيل

***

مروة أحمد

خالد الموري

محمود عبد الرازق - عاصي - مجدي النجار

ياسمين يسري - عبد الرحمن زكي - غادة حمدي - ريهام منسي

بسمة الخولي - مروة عليان - دينا يسري

***

أحمد عبد المجيد

شُكْر لن يكفي

إلى مَن حملتني داخلها تسعة أشهُر، وإلى اليوم، دون شكوى، ولا نيّة في إسقاطي، تحملني. فهي لا تعترف بتقدُّم العمر، ولا بتبادُل الأدوار.

هي أُمي، وأنا ما أزال طفلها.

حُب وامتنان

مروة - وائل - رهام - وسيم

مريم - آدم - جودي - هانيا - خديجة

رسالة خاصة جدًّا

إلى

يحيى معتز شرباش

شكرًا يا صغيري، على تحمُّلكَ، بقلب كبير، كُل خيباتي

لن تكفي، لوصف كم أنا فخور بك، كُل كلماتي.